

ديوان الوقف الشيعي  
مكتب المنشآت العام



# الإمام علي عليه السلام

في كتابات المستشرقين  
دراسة تاريخية تحليلية

الدكتور  
حاتم كريم جيايد

نشر بمناسبة اعلان النجف الاشرف عاصمة الثقافة الاسلامية عام 2012 م

ديوان الوقف الشيعي  
مكتب المفتش العام



# الإمام علي (ع) في كتابات المستشرقين دراسة تاريخية تحليلية

الدكتور  
حاتم كريم جواد

نشر بمناسبة اعلان النجف الاشرف عاصمة الثقافة الاسلامية عام ٢٠١٢م

نشر

مكتب المفتش العام في ديوان الوقف الشيعي ببغداد  
بمناسبة إعلان النجف عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠١٢ م

٢٠١٢ م - ١٤٣٣ هـ

الكتاب : .....الامام علي (ع) في كتابات المستشرقين / دراسة تاريخية تحليلية  
المؤلف : ..... د . حاتم كريم جواد  
الطبعة : ..... الاولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م  
عدد النسخ المطبوعة : ..... ١٠٠٠ نسخة  
الإخراج الفني: ..... حسام الشريفي ٠٧٨١٢٤٩٦٤٣٦  
المطبعة : ..... دار الضياء للطباعة والتصميم / النجف الاشرف  
موبايل ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣٨٦) لسنة ٢٠١١ م

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الناشر
٧	المقدمة ونطاق البحث
١٧	الفصل الاول: المستشرقون ودراسة سير الرجال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انموذجاً
١٩	مدخل
٢١	المبحث الاول: الدراسات غير الموضوعية
٥٦	المبحث الثاني: الدراسات الموضوعية.
٦٩	الفصل الثاني: مناهج المستشرقين في دراسة شخصية الإمام علي (عليه السلام).
٧١	مدخل
٧٢	المبحث الاول: اسبقية الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام.
٨٩	المبحث الثاني: زواج الإمام علي (عليه السلام).
١٠٠	المبحث الثالث: الإمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن.
١٠٦	المبحث الرابع: الصفات الشخصية للإمام علي (عليه السلام).
١٢٠	المبحث الخامس: شجاعة الإمام علي وفروسيته (عليه السلام).
٣٩	الفصل الثالث: موقف المستشرقين من الخلافة.
٤١	مدخل



١٤٢	تمهيد: الخلافة مفهوماً وممارسة.
١٥٥	المبحث الاول: الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
١٨٧	المبحث الثاني: الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (عليه السلام).
٢١٣	المبحث الثالث: الرد على الدراسات الاستشراقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الإمامية.
٢٢٧	الفصل الرابع: الحروب التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) ضد الخارجين عن السلطة ﴿الضالين﴾ في الدراسات الاستشراقية.
٢٢٩	مدخل
٢٣٠	المبحث الاول: حروب الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين في معركة الجمل.
٢٦٦	المبحث الثاني: حرب الإمام علي ضد القاسطين في معركة صفين.
٣٠٦	المبحث الثالث: حرب الإمام علي ضد المارقين (الخوارج) في معركة النهروان.
٣٢٥	الخاتمة
٣٢٧	قائمة المصادر والمراجع
٣٥٩	ملخص اللغة الانكليزية Abstract

## مقدمة الناشر

اتاحت لي ظروف الغربة عن الوطن فرصة التدريس الجامعي في معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن حيث اللقاء باساتذة الاستشراق والحوار المتواصل معهم في تاريخ الحضارة الاسلامية ومناقشتهم فيما يشرونه من تحليلات وافكار مستنبطة في جو علمي يحترم الرأي الآخر في سعي جاد الى التوصل للقناعة بالحقيقة التاريخية في مقابل كم هائل من الدراسات المتباينة والكتابات الاستشراقية التي تنطلق من دوافع غير موضوعية لتحقيق اهداف محددة سيما فيما يختص بسيرة رسول الله محمد (ص) واهل البيت (ع) .

ومن ابسط الحقائق المعروفة ان الامام علي (ع) لم يكف عن البيان بان الخلافة حق خالص له لكنه طلب من الناس حين احاطوا به بعد مقتل الخليفة الراشد الثالث على اثر تمرد دام عليه قائلاً " دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمرا له وجوه والوان ... واعلموا اني ان أجبتمكم ركبت بكم ما اعلم " لانه كان على علم بان من الصعب على الناس في تلك المرحلة تقبل وتفهم قيادته الشرعية وكان ان واجه الامام عليه السلام ذيول حادثة مقتل الخليفة الثالث ، وما ترتب على حرص الامام وصلابته في تطبيق احكام الاسلام ، وصدقه وصراحته في الحكم وسياسة الدولة فضلاً عن موقف الخوارج وقتال اهل البغي .

والبحث الذين بين ايدينا جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من كلية الآداب بجامعة الكوفة باشراف الدكتور حسن عيسى الحكيم مكون من اربعة فصول وخاتمة بمثابة دراسة تحليلية تاريخية شاملة لمواقف المستشرقين ومناهجهم في دراسة شخصية الامام علي (ع) وخلافته والحروب التي خاضها للحفاظ على الاسلام نقياً خالصاً يكتشف القارئ من خلالها اهمية

التوجه الى اغناء المكتبة بالبحوث المترجمة التي تعكس دراسات علماء مدرسة اهل البيت (ع) باللغة الانجليزية واطاحتها لابناء الثقافات الاخرى .  
ولعل دأب مكتب المفتش العام في ديوان الوقف الشيعي على اشاعة ثقافة النزاهة والشفافية كما وردت في سيرة رسول الله (ص) واهل البيت (ع) بتوجيه من سماحة السيد صالح الحيدري رئيس الديوان فضلاً عن الدراسات المختصة بعلماء مدرسة اهل البيت (ع) وعلوم القرآن الكريم كان من اهم الدوافع لنشر هذا البحث العلمي الذي يتضح فيه ما بذله مؤلفه من جهد ودأب بمنهج موضوعي يستحق التقدير .. نسأله تعالى ان يتقبل عملنا خالصاً لوجهه انه نعم المولى ونعم النصير .

**الدكتور**

**جعفر صادق حمودي**

**المفتش العام**

## المقدمة ونطاق البحث

اهتم المستشرقون بدراسة التاريخ العربي الإسلامي عبر العصور الماضية دفعهم في ذلك عوامل عدة من بينها ما هو ديني او اقتصادي او سياسي او علمي، وانصب اهتمامهم على الإسلام ونبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الشخصيات الإسلامية، الى جانب علوم وآداب اللغة العربية في العصر القديم وعصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي.

وقد اختلف الباحثون المسلمون في تقييمهم لآثار المستشرقين بين من هو معترف بجهودهم في اثناء المكتبات الاوربية والعربية بكل ما من شأنه احياء التراث العربي الإسلامي بدراسة الكثير من مخطوطات اسلافنا النفيسة في الاختصاصات المختلفة، كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والادب واللغة، وبين آخر يقلل من شان المستشرقين ويتهمهم بالهدس ومحاوله تشويه التاريخ الإسلامي. والامر الذي لا يختلف فيه اثنان ان المستشرقين ليسوا على مستوى واحد من الثقافة والكفاءة العلمية، وان الدوافع لدراساتهم التاريخ الإسلامي تختلف بين شخص واخر، فمنهم من عمل لحساب مؤسسات علمية والبعض الاخر قد جندته جمعيات تبشيرية او استعمارية، فمن الطبيعي تباين احكامهم بشأن الموضوع الذي يهتمون به، ومن الخطأ الحكم على كل المستشرقين بانهم قد اضرروا بالإسلام او جميعهم قد اسدوا خدمة اليه، وانما الحكم يكون على وفق استخدام معايير البحث العلمي وتطبيقه على دراساتهم.



في ضوء ما تقدم ذكره؛ وانطلاقاً من رغبة الباحث في ان تتمحور دراسته في المرحلة حول سيرة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الاطهار - عليهم السلام -.

فضلاً عن الغاية السامية في مشوار البحث العلمي يسر الله تعالى للباحث اختيار موضوع هذه الاطروحة الموسوم (الإمام علي -عليه السلام- في كتابات المستشرقين دراسة تاريخية تحليلية). فالحمد لله أولاً وآخراً.

يضم هذا البحث اربعة فصول متفاوتة في عدد صفحاتها لضرورات طلبها البحث ولطبيعة هذا الموضوع، الفصل الاول الذي يعد فصلاً تمهيدياً تحت عنوان (المستشرقون ودراسة سير الرجال-الرسول محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم) نموذجاً)، ويشمل مبحثين، احدهما يتناول الدراسات الغير موضوعية تجاه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وال بيته الاطهار (عليهم السلام)، والثاني يتناول الدراسات الموضوعية.

كانت الغاية من هذا الفصل هي القاء نظرة سريعة على رؤية المستشرقين للشخصية الإسلامية، وأول شخصية اولها المستشرقون بحثاً هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فضلاً عن معرفة المنهج الذي استخدمه المستشرقون في تقويمهم لبعض هذه الشخصيات، وهل انهم استخدموا المعايير نفسها مع الكل او انهم حاولوا التمييز بين واحد واخر.

اما الفصل الثاني فيحمل عنواناً هو: ((مناهج المستشرقين في دراسة شخصية الإمام علي ﷺ عليه السلام))، ويقسم الى خمسة مباحث تمحورت حول اسبقية الإمام علي في الإسلام، وزواجه من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأثره في جمع القران، وصفاته الشخصية فضلاً عن شجاعته وفروسيته. والغاية

من هذا الفصل هي معرفة انطباعات المستشرقين عن شخصية الإمام علي -عليه السلام- وتقويمهم لكل ما يتعلق بسيرته وشخصيته.

وفيما يتعلق بالفصل الثالث فقد تناول موضوع (موقف المستشرقين من موضوع الخلافة)، وعرض الاشكالية التي رافقت هذا الموضوع عبر كتابات المستشرقين، والمتمثلة بان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لم يعين خليفة من بعده، وكذلك ما ورد من روايات تناقض هذا الرأي توضح انه قد استخلف، وقد استعرض الباحث وجهات نظر بعض المستشرقين بشأن هذه المسألة وما ورد على لسان بعض مؤرخينا او ما اجتهده الباحث به للرد عليها على وفق ثلاثة مباحث.

وختام الفصول كان الفصل الرابع الذي أطره عنوانا هو (الحروب التي خاضها الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ ضد الناكثين والقاسطين والمارقين) ابان تسلمه الخلافة وقد اماط هذا الفصل اللثام عن ما افرزته بعض الدراسات الاستشراقية حول اسباب واحداث ونتائج معارك الجمل وصفين والنهروان على وفق ثلاثة مباحث، وعالج هذا الفصل مدى تقييم المستشرقين لهذه الحروب من حيث كونها قد خاضها الإمام علي (عليه السلام) من اجل الاحتفاظ بالخلافة ام لان اعداءه قد حاولوا شق صف المسلمين والضرر بالإسلام؟.

لقد اعتمد في اعداد هذا البحث على مصادر ومراجع عربية واجنبية و مترجمة من بينها مسند احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) وصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، وصحيح الترمذي (ت ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، والمستدرك على الصحيحين للنيسابوري (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

وتمثلت الفائدة من هذه الكتب بتخريج الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في بحوث بعض المستشرقين، او اللجوء اليها عند ذكر مناقب الإمام علي (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام).

ومن المصادر الاخرى التي اعانت الباحث في تتبع بعض الروايات التاريخية التي وردت في كتابات المستشرقين او الاستعانة بها في الرد على الاشكالات التي عرضوها، كتاب المغازي لابن اسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، وكتاب انساب الاشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، يضاف لهذه المصادر كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، الذي يعد من الكتب الغنية عن التعريف لاي باحث في التاريخ الإسلامي، فهو يتميز بسعة المعلومات التي اوردها فيه وبطرق اسناد متعددة، وكان مؤلفه حريص على الشمولية في نقل النصوص والتفصيل في ذكر الاحداث المتعلقة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) وما رافقها من عقبات.

ومما اعان الباحث في تعقب بعض الروايات ايضا، مؤلف (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، ومن المصادر المهمة الاخرى التي اعتمد الباحث عليها في ترجمة بعض الشخصيات التي وردت في ثنايا الاطروحة، كتابي (الاصابة في تمييز الصحابة) و(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

اما كتاب (الأعلام) للزركلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) يُعد من المراجع فقد اعتمد الباحث عليه في ترجمة بعض الشخصيات لما تميز به من السعة اذ انه يحمل تراجم لشخصيات عاشوا الى حقبة تاريخية متأخرة فضلا عن ترجمته لعدد من المستشرقين.

ومن المراجع العربية الذي تكرر ذكره في اكثر من موضع في الاطروحة كتاب (الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ) للمؤرخ ابراهيم بيضون، ويعد من الكتب التي سلك فيه مؤلفه منهجا تحليليا بعيدا عن السرد التاريخي، فضلا عن كتاب (الإسلام والغرب) لمؤلفه راجي انور هيفا الذي وقف فيه على آراء بعض المستشرقين بشأن الإسلام وناقشها في ضوء الحقائق المعلنة في كتب التاريخ الى جانب اجتهاده في تقديم الرؤى المتعلقة ببعض الاشكالات التي عرضها المستشرقون.

اما المراجع الاجنبية المترجمة الى اللغة العربية فكانت ذات فائدة جلية للاطروحة وكان من بينها كتاب (عقيدة الشيعة) للمستشرق الانكليزي دونالدسن (Donaldson)، ولا يمكن لاي باحث يحاول دراسة سيرة الائمة او معتقدات الشيعة الاستغناء عن هذا الكتاب، اذ حاول (دونلدسن) فيه الاعتماد على مصادر ومراجع مؤرخي الشيعة الى جانب مصادر ومراجع مؤرخي السنة، واستخدم آليات البحث التاريخي من تحليل وربط ونقد ومقارنة واستنتاج، واسهب في وصف الاحداث التاريخية المتعلقة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) والحروب التي دارت في عهده الى جانب دراسته موضوع الإمامة الذي يعد في صميم العقيدة الشيعية.

لقد قسم دونالدسن كتابه آنف الذكر الى اثنين وثلاثين بابا، افرد الباب الاول منها لدراسة حدث تاريخي مهم، هو الخلافة، متخذنا من حديث غدیر خم اساسا انطلق منه لتوضيح ملاسبات هذا الموضوع وما جرى في السقيفة من خلاف بشأن اختيار خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الباب الثاني يتحدث عن مجريات الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية خلافة عثمان بن عفان



(رضي الله عنه)، فيما خصص الباب الثالث لدراسة خلافة الإمام علي (عليه السلام) وما صاحبها من احداث حتى يصل الى استشهاده، بعد ذلك يحاول (دونلدسن) دراسة سيرة الائمة الاثني عشر على وفق ابواب فخصص لكل امام باباً، ولكل مرقد مقدس باباً ايضا يعرض فيه بناء المرقد والتطورات العمرانية التي طرأت عليه، ودرس (دونلدسن) خلال المباحث الخمسة الاخيرة موضوع الإمامة وعصمة الائمة والانبياء وشفاعتهم.

وكان للمستشرق الفرنسي أميل درمنغهم (Dermenghem,E) كتابا عنوانه (حياة محمد) تمكن الباحث من خلاله الحصول على معلومات تاريخية تتعلق بجوانب مهمة من شخصية الإمام علي (عليه السلام) وموضوع الخلافة بعد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن الكتب المترجمة الاخرى كتاب (الخوارج والشيعة) للمستشرق الالماني يوليوس فلهوزن (Julius well Hausen)، ويعد من الكتب التي كانت ذات قيمة ملموسة في الاطروحة، اذ يقف فيه على احداث ما بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وذَكَرَ معركتي الجمل وصفين باختصار شديد ليناقدش بعد ذلك نشأة الخوارج وظهورهم على مسرح الاحداث لاول مرة والصراع الذي دار بينهم وبين الإمام علي (عليه السلام) في معركة النهروان.

وللمستشرق فلهوزن ايضا كتاباً آخر عنوانه (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الاموية)، وقد قسمه الى تسعة فصول، خص الفصل الاول لدراسة عصر الرسالة الإسلامية والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) حتى نهاية عهد الخليفة عثمان، اما الفصل الثاني فقد تناول فيه الحروب التي حدثت في عهد الإمام علي، وقد تم الاستفادة من هذا الفصل بوضوح لعلاقته

المباشرة بالبحث، اما باقي الفصول فقد استعرض فيها احداث الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الاموي. ومما يلاحظ على المنهج الذي استخدمه فلهوزن في هذا الكتاب هو اللجوء الى الاختصار الشديد الذي لا يخلو من الفائدة.

وهناك كتاب مترجم للمستشرق الالماني (جرهارد كونسلمان) تحت عنوان (سطوع نجم الشيعة)، ويتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة عن الشيعة في التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث، مبتدئاً بذكر احداث الهجرة النبوية الى يثرب ودور الإمام علي (عليه السلام) في المييت في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحاول كونسلمان الوقوف على الاحداث التاريخية البارزة التي حظيت باهتمام الشيعة ومن بينها خلافة الإمام علي والحروب التي دارت خلالها وكذلك خلافة الإمام الحسن واستشهاد الإمام الحسين (عليهم السلام) وتولي الإمام علي بن الحسين زين العابدين الإمامة، ومن ثم يذكر تفصيلات عن الإمامة في نظر الشيعة وغيرها من الاحداث التاريخية، وينتقل بعد ذلك الى حقبة تاريخية متأخرة تمثلت بالثورة الايرانية عام (١٩٧٩م) ويصل بالاحداث حتى عام ١٩٨٩م.

وكان لكتاب (محمد وخلفاؤه) للمستشرق الامريكي واشنطن ايرفنج (W.Irving) فائدة في هذه الاطروحة، وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يعد من الكتب التي تناولت سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الا انه قد تمت الاستفادة منه من خلال الوقوف على احداث تاريخية خصت الإمام علي (عليه السلام).

اما كتاب المستشرق الانكليزي بودلي (Bodley,R.V) الذي يحمل عنوان (حياة محمد) فهو الآخر من الكتب التي عنيت بالسيرة النبوية ايضا ولكن تخلله احداث

تاريخية تتعلق بالإمام علي وتم توظيف هذه المعلومات بالاتجاه الذي يصب في فائدة البحث.

ومن الكتب المترجمة الاخرى ذات الصلة المباشرة بالموضوع كتاب المستشرق الدانيماركي بترسن (Patterson) المعنون (علي ومعاوية في الرواية) المبكرة الذي ترجمه الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي، وهو مؤلف قيم استخدم فيه مؤلفه مصادر ومراجع مختلفة واستعان بالقصائد الشعرية التي اطلق عليها مصطلح الرواية الشعرية. لقد كان بترسن في هذا الكتاب مؤرخا تعامل مع الاحداث التاريخية بشكل ملفت للنظر، فهو يسعى للوصول الى الحقائق بايراد الروايات المتعلقة بالحدث التاريخي المراد التحقق من صحته على اختلافها ثم يلجأ في النهاية الى ترجيح واحدة على اخريات.

وكان للمراجع الاجنبية اهمية لا تقل ان لم تقل انها اكثر من المراجع المترجمة في اغناء الاطروحة بالاراء الاستشراقية وخاصة في الفصلين الثالث والرابع، وكان من بينها كتاب المستشرق الانكليزي ميور (Muir) الذي يحمل عنوان (The caliphate its Rise Decline and Fall) (الخلافة-انحدارها-سقوطها)، وكان ذا اهمية لصلته المباشرة بموضوع الاطروحة، اذ يتناول ملابسات موضوع الخلافة واحداث خلافة الإمام علي (عليه السلام) بشيء من التفصيل.

وكتب باللغة الالمانية المستشرق الالمانى (شبولر Spuler) كتابه الموسوم (Geschichte Der Islamischen Lander) وقد عالج شبولر في كتابه الحروب التي خاضها الإمامعلي (عليه السلام) ضد الناكثين والخوارج في معركتي الجمل والنهروان.

ومن الكتب الأخرى كتاب المستشرق الإنكليزي (ترتون Tritton) الذي كان بعنوان (Islam Belief and Practices) - الإسلام الممارسة والتطبيق - ويمكن تلمس الفائدة منه من خلال متابعة وإطلاع القارئ على صفحات الأطروحة.

وكان للموسوعات باللغتين الإنكليزية والعربية فائدة جمة في هذا العمل وتمثلت بكونها تضم بحثاً قيمة - وخاصة الإنكليزية - لعدد من المستشرقين تناولوا فيها مواضيع تتعلق بالفكر الشيعي وأحداث خلافة الإمام علي (عليه السلام).

وأهم هذه الموسوعات هي (Encyclopaedia of Islam, New Edition) و (Encyclopaedia of Religion and Ethics) موسوعة الأديان والأخلاق.

أما الموسوعات العربية فكانت موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ذات أهمية كبيرة، إذ تضمنت ترجمة لنخبة من المستشرقين ومؤلفاتهم مع تحليل لبعض هذه المؤلفات وما تحويه من مفردات مع استخدام النقد وتحديد ميول أصحابها.

إن لدائرة المعارف الإسلامية المترجمة عن اللغة الإنكليزية إسهام في ظهور الأطروحة على ما هي عليه، فقد ضمت مواضيع مختلفة كمواقع مدن ومصطلحات تاريخية ولغوية وترجمة شخصيات وذكر معارك مما ساعد في الاستفادة منها في مجال معرفة انطباع المستشرقين عن بعض الشخصيات



الإسلامية كحمزة بن عبد المطلب عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبخصوص المشاكل التي واجهت الباحث فلا يخفى على أكاديمي منصف ما يعانيه الباحثون من ظروف ولا سيما الذي يكتبون في مواضيع مصادرها الأساسية باللغات الأجنبية، وأقل ما يمكن وصف هذه الظروف أنها استثنائية.

# الفصل الأول

المستشرقون ودراسة سير الرجال  
الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنموذجاً

المبحث الأول: الدراسات غير الموضوعية

المبحث الثاني: الدراسات الموضوعية



## مدخل

تعمق فريق من المستشرقين في دراسة الإسلام عامة وسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة من خلال تناول جوانب متعددة، منها فكري ومنها اجتماعي او اقتصادي. والملاحظ على اغلب هذه الدراسات صفة التباين في احكامها تبعا للخلفيات الثقافية التي يحملها مؤلفوها، او نتيجة للتأثر بميول واتجاهات اصحاب الموارد التي استسقى المستشرقون منها معلوماتهم، او لطبيعة الظروف السياسية التي كان لها فعلها في التأثير على مجريات احداث التاريخ عبر مختلف العصور.

وارجع أحد الباحثين مواقف بعض المستشرقين عندما ينكبون على تشريح مفاهيم الإسلام واحكامه وسائر قضاياها، الى الجدل وحده، وان هم اصفوا عليه صفة العلمية كما يزعمون، وتشكل هذه الظاهرة اتجاهاً خطيراً في تقويض دعائم العلم والخلق معاً<sup>(١)</sup>. في حين ان الجدل يرمي الاقناع والسعي عن قصد واضح الى التأثير او الضغط على الطرف الاخر من اجل تنازله عن افكاره ان كانت من دون أدلة، أو كسب تأييده.

ولسنا في هذه الدراسة المتواضعة بصدد تبيان تلك المؤثرات على اختلافها بقدر ما يكون من واجبتنا والمفيد بمكان ان نسلط الضوء على بعضها من خلال التطرق الى ابرز الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في ابحاثهم ولا سيما فيما يتعلق في

(١) ينظر، مغلي، محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (الرياض - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)،



سير الرجال ويأتي في مقدمتهم سيرة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الصحابة الكرام، لنتمكن من معرفة حقيقة مهمة هي، هل ان انطباعهم عن شخصية الإمام علي (عليه السلام) هي امتداد لانطباعاتهم عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه (رضي الله عنهم)، ام انها اخذت منحى آخر، والامر الذي لا يختلف عليه اثنان، ان استقراء ما كتبه المستشرقون حول الإسلام والشخصيات الإسلامية بدقة في غاية الصعوبة نظراً لتباين الابحاث الاستشراقية التي تناولت هذا الموضوع.

فمن الجوانب المهمة التي احتلت المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في ابحاث المستشرقين، هو موضوع الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يختلف المستشرقون في أمر مثل اختلافهم في شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين الإسلامي، فقد اوضح بعضهم سمو مبادئه، وتعصب ضده آخرون وحاولوا التقليل من شأنه، بل نعتوه بكلمات نائية لا تنم الا عن حقد متأصل، ودليل على ان بعض المستشرقين يحملون عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) افكاراً مسبقة، وبذلك هم مجردون انفسهم من الموضوعية التي يجب على كل باحث اكاديمي ان يلتزم بها في دراسته المعمقة واحد مبادئ هذه المهنة هو ان لا يحمل الباحث أية فكرة مسبقة عن الموضوع الذي يحاول ان يكتب فيه.

لقد اهتم اغلب المستشرقين بكل ما يتصل بالإسلام وبشخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، حياته، اصحابه، زوجاته، دعوته للإسلام وغيرها من الجوانب التي يمكن ان تشكل بمجموعها مجمل تاريخ الإسلام، لذلك سنجتزئ البعض منها من خلال البحث في بعض الآراء التي تصدت لهذه

الجوانب، على وفق مبحثين مهمين الاول يتناول الدراسات المتحاملة والثاني يتطرق الى الدراسات المنصفة أو المعتدلة.



## ((المبحث الاول))

### الدراسات غير الموضوعية

اتخذت اغلب الدراسات الاستشراقية التي تناولت السيرة النبوية الشريفة طابع التحامل المبني على أسس مخطوءة، بعضها مستمد من الخلفيات الفكرية لأصحابها فتكون احكامها متمعدة وقاسية والبعض الاخر تكون ناتجة عن جهل بالحقائق التاريخية لاعتمادها على بعض المصادر الإسلامية التي تجانب الحقيقة، وبذلك تكون احكامها غير منصفة ومتحاملة.

ويرجع اهتمام الاوربيين في الإسلام والسيرة النبوية الشريفة الى العصور الوسطى الأوربية، وقد اتسمت معظم تلك الدراسات بطابع العدوانية والساق التهم، والاسباب الكامنة وراء هذه النزعة واضحة لكل باحث اكاديمي وتتمثل بالاسباب الدينية والسياسية التي تاتي في المقام الاول، وتتبعها عوامل اخرى قد تكون باعتقادنا هي اقل شانا.

لقد اعتمد المستشرقون على بعضهم في الحصول على المعلومات المتعلقة بالإسلام او الاعتماد على القصص والاساطير الخيالية التي زينت بعض الكتب الاوربية، التي تعد من المآثر التي يشار لها بالبنان في نظر الكثيرين من الادباء في العصور الوسطى او في عصرنا الحالي.

من بين تلك القصص والملاحم، (الكوميديا الآلهية) لمؤلفها دانتي «Dant Alagherii» (١٢٦٥-١٣٢١م)، وهي ملحمة من نسج رؤاه الخاصة، يصور من خلالها الآخرة على انها رحلة ذات عوالم ثلاث، (الجحيم، المطهر، الفردوس)، وقبل الجحيم هناك مكان يدعى (الشفاء)، مخصص لارواح الاطفال

الذين يتوفاهم الله قبل ان يعمرّوا، و ارواح ((الوثنيين الفاضلين)) الذي يقصد دانتى بهم اولئك الذين عاشوا قبل ظهور المسيحية<sup>(١)</sup>.

ان ما يهمننا هنا هو النظر في رؤى دانتى التي عرضها في ملحمة عن الإسلام ؛ وكذلك ما تناوله من افكار حول بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة في ملحمة.

وضع (دانتى) النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنطقة الثامنة من مناطق ((الجحيم)) وهي المنطقة المقسمة الى عشرة جيوب للشر، وقد وصفها دانتى على انها جيوب كالحة مظلمة تحيط بمعقل ابليس في الجحيم<sup>(٢)</sup>.

اما الصورة التي تخيلها دانتى في ((العذاب)) المزعوم للنبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، فقد ظهرت على نحو مثير للتعجب، وملخصها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يُشق)) الى نصفين ابتداءً من الذقن باتجاه اسفل الجسم، ثم يتناول دانتى بالبحث المستفيض احشاء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٣)</sup>.

وذكر دانتى الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فوضعه في الدرجة نفسها التي وضع فيها ابن عمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووصف الطريقة التي ((يعذب)) فيها الإمام علي (عليه السلام)، بان يقوم الشيطان

---

(١) ينظر، دانتى، الجيري، الكوميديا الالهية، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف (مصر - ١٩٥٥)، الصفحات ٦١-٦٨.

(٢) ينظر، الصباح، رشا حمود، التصورات الاوربية للاسلام في العصور الوسطى وتأثيرها في الكوميديا الالهية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١/ع ٣، ١٩٨٠، ص ٩٤.

(٣) ينظر، الصباح، التصورات الاوربية للاسلام، ص ٩٥.

المكلف ((بشقه)) الى شطرين ابتداءً من الذقن صعوداً حتى فروة الرأس، وقد اراد دانتي بهذا الوصف ان يجعل عقاب الإمام علي (عليه السلام) بشقه من الذقن الى الجبهة مكملاً للعقاب الذي انزل بأبن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ان طريقة العقاب التي صورها دانتي بحق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام)، هي التصوير الرمزي في نظرة نتيجة ((للشقاق)) الذي بذراه هما واتباعهما في جسد الكنيسة التي تعد بمثابة جسد المسيح نفسه (عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

ويبدو لنا من خلال وصف دانتي الخيالي للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وللإمام علي (عليه السلام)، مدى الكره الذي يكنه للإسلام لما أحدثه من تغييرات جوهرية في خارطة العالم نتيجة لقوته التي كانت تزداد يوماً بعد يوم، لتوقف زحف المبشرين النصارى.

وقد برزت قصص واساطير اخرى كان القاسم المشترك في طبيعة تناولها لسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتمثل بانه كان مسيحياً وانشق عن الكنيسة او كان متأثراً بها.

ويعد المتشرق البريطاني جورج سيل (George Sale ١٧٣٦-١٦٩٧) الذي وصف بانه نصف مسلم لشدة اهتمامه بالإسلام<sup>(٢)</sup>، والمترجم للقرآن الكريم والذي مهد لترجمته بملاحظات متزنة، تعد بحق تاريخية وموضوعية على رأي

(١) ينظر، الصباح، التصورات الاوربية للإسلام، ص ٩٥.

(٢) ينظر، عقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ط ٣ (مصر - ١٩٦٥)، ٤٧١/٢.

لأحد الباحثين<sup>(١)</sup>، من المؤيدين لفكرة ان يكون للديانة المسيحية تأثيرها الفاعل في ظهور الدين الإسلامي الى حيز الوجود وبلورته.

ففي اثناء تعليق (سيل) على قول الله سبحانه وتعالى: ((إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ))<sup>(٢)</sup>.

قال سيل: ((يبدو ان هذه الحكايات مأخوذة من بعض التراثيات الخرافية للمسيحيين الشرقيين))، وحاول (سيل) في مواضع اخرى من كتابه الذي ترجم فيه (القرآن) النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال تعليقاته على بعض الايات القرآنية التي خصت موضوع الزواج، فقد ذهب الى ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ميز نفسه عن باقي المسلمين في قضية الزواج وانه كان يفضل ما يحلوه في عدد الزوجات وطبيعة تعامله معهن، في حين يراه قيّد غيره من المسلمين في عدد الزوجات وكيفية التعامل معهن<sup>(٣)</sup>.

ان المستشرق جورج سيل وعلى الرغم من تصريحاته بالتزام الموضوعية في ترجمة القرآن الكريم، الا انه قد تآثر بالآراء الاستشرقية التي كانت سائدة في

(١) ينظر، مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ص ٣٩٦.

(٢) آل عمران، ٥١، ٥٢.

(٣) ينظر، بشير، مشتاق، تطور الاشتراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية، رسالة ماجستير

غير

منشورة، كلية التربية ابن رشد، (جامعة بغداد - ٢٠٠١م)، ص ٧٠.

عصره والمتعلقة بالسيرة<sup>(١)</sup>، ومنها ما يتعلق بتعدد زوجات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

فالرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يكن كما يصوره بعض المستشرقين من انه رجل يتلاعب بعقله الهوى فيجعله يسعى وراء الشهوة او الغرام، واذا كان بعض الكتاب المسلمين في بعض العصور قد اباحوا لانفسهم ان يقولوا هذا القول، وان يقدموا لخصوم الإسلام عن حسن نية هذه الحجة، فالسبب يعود الى إيمان هؤلاء واولئك بالمادية، فارادوا ان يصوروا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - عظيماً في كل شيء، عظيماً حتى في شهوات الدنيا، وهذا التصور خاطئ ينكره تاريخ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد انكار وتأبى حياته كلها ان تقره<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا ان نذكر دليلاً آخر على ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقصد المتعة من وراء تعدد الزوجات، اذ كان عمره بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) قد تجاوز الخمسين ومن المتعارف عليه ان نشاط الانسان الجنسي في هذه المرحلة وبعدها يتراجع الى الحد الذي لا يستطيع الزواج باكثر من امرأة او على اكثر تقدير من امرأتين، اذ لا بد من اسباب اخرى دفعته لذلك. وقد اشارت اليها بعض الدراسات<sup>(٣)</sup>.

(١) بشير، تطور الاستشراق البريطاني، ص ٧٠.

(٢) ينظر، هيكل، محمد حسنين، حياة محمد، مكتبة النهضة، ط ٥ (مصر - ١٩٥٢)، ص ٣١٧.

(٣) ينظر، الصراف، محمد محمود، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، ط ٣، (القاهرة

- ١٩٧٩)، ص ٥٥، النعمة، ابراهيم، الإسلام وتعدد الزوجات، (الموصل - ١٩٨٢)،



ومن الدراسات الاخرى التي ركزت على موضوع التأثير المسيحي ما اشار اليه المستشرق البريطاني (بودلي Bodly, R. V. E)، حيث اكد بروج مثل تلك القصص في فكر مؤرخي العصور الوسطى بقوله: ((كانت بعض الافكار المقبولة في تلك الاوقات وهمية خيالية، فقد اظهر محمد مثلاً في شعر القرن الثاني عشر كأمر من امراء الاقطاع يتلقى الاوامر المسيحية المقدسة، فلما اخفق في ان ينصب نفسه باباً ثار لنفسه بان ابتدع ديناً جديداً))<sup>(١)</sup>.

وهناك بعض الاشارات الاستشراقية التي حاولت ايجاد علاقة بين معتقدات الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - والنصرانية واليهودية، ومن بينها ما ذكره المستشرق الفرنسي (درمنغهم Dermenghem, e) الذي اتهم الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بانه التقى بالراهب (بحيرى) في احدى رحلاته الى الشام وان الراهب رأى فيه علامات النبوة على ما تدله عليه انباء الكتب الدينية. وفي الشام عرف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اخبار الروم ونصرانيتهم وكتابهم<sup>(٢)</sup>.

- 
- ص ٨٢، ٨٣، الترماني، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، (الكويت - ١٩٨٤)، ص ٢٥، ٢٦.
- (١) بودلي، رونالد فكتور، حياة محمد الرسول، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج (القاهرة - ١٩٦٤)، ص ١٢.
- (٢) ينظر درمنغهم، اميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة احياء الكتب العربية، (القاهرة - ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م)، ص ٦٠.

ومن الجدير بالذكر ان حادثة بحيرى الراهب قد تناقلها بعض مؤرخينا وكان في مقدمتهم ابن اسحق<sup>(١)</sup> (ت ١٥١هـ).

وافادت بعض الابحاث التي تبنت دراسة مناهج المستشرقين بان بعضهم قد زعم ان ثقافة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مستمدة من ((العالم المسيحي)) ورقة بن نوفل (ت نحو ٦١١م)، من بني اسد وابن عم السيدة خديجة بنت خويلد (ت ٣ق.هـ) الذي كان بجوار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تنصر وكان يترجم التوراة والانجيل الى العربية وعاش الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجواره ما يقارب خمسة عشر عاماً قبل البعثة، هذا ما حمل بعض المستشرقين الى الاعتقاد بان هذه الفترة كافية لان يتعلم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منه تعاليم التوراة والانجيل<sup>(٢)</sup>.

لقد شخص عدد من الباحثين الاسباب الدافعة لمثل هذه الاساطير، فعلى سبيل المثال يذكر (خودابخش) بان الحملات الصليبية التي هاجمت الشرق الإسلامي قد اعطت فرصة لاصحاب الخيال الخصب في اختلاق القصص والحرفات، التي كانت تلاقي رواجاً في اوربا، على الرغم من ان صراع السنوات الطويلة بين الغرب والشرق قد منحت الجنود الاوربيين فرصة الاطلاع المباشر

(١) ينظر في تفاصيل هذه الحادثة، محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة ابن اسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت-١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص ٧٣، ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (القاهرة- ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج ١، القسم الثالث، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) ينظر تقره، التهامي، مناهج المستشرقين، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٨٥)، ١٠٣/١.

على الإسلام، حيث كان معظم هؤلاء ينقلون قصص مزيفة لشعوبهم بدافع التعصب الديني<sup>(١)</sup>.

واضاف (الخربوطلي) سببا اخرًا يتلخص بان الانتشار السريع للإسلام في الشرق والغرب قد جعل رجال الكنيسة الكاثوليكية يشعرون بالخطر ازاء هذا الدين الجديد فعملوا بكل ما في وسعهم من اجل تشويه صورة الإسلام امام شعوبهم، لضمان سيطرتهم التامة على عقلية الأوربيين في العصور الوسطى<sup>(٢)</sup>.

ويعلل الدكتور جواد علي محاولة بعض المستشرقين الربط بين الدين الإسلامي والدين المسيحي الى ان معظم هؤلاء من النصارى ومن رجال الدين او المتخرجين من كليات اللاهوت، فعندما يتكلمون عن الدين الإسلامي، من الطبيعي ان يكون للأفكار والمعتقدات التي يحملونها اثر واضح في التعامل مع الموضوعات الحساسة في الإسلام، فيحاولون دائماً ارجاعها الى اصل نصراني<sup>(٣)</sup>.

ورد الشيخ محمد الغزالي رداً منطقياً على المزاعم نفسها بقوله:

((ان العقل كان يمكن ان يميز هذا التوهم لو كان السابق اغنى من اللاحق واقدر. لكن اذا كان الدين الذي اتى به محمد (صلى الله عليه وآله

(١) ينظر خداجنخش، صلاح الدين، الحضارة الإسلامية، ترجمة علي حسني الخربوطلي،

(بيروت - ١٩٧١)، ص ٤٥.

(٢) ينظر، علي حسني، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، (مصر - ١٩٨٨)، ص ٥٥.

(٣) ينظر، تاريخ العرب في الإسلام، مؤسسة الشريف الرضي، (ايران - ١٩٦٣)، ص ١٢.

وسلم) اوسع اقطاراً او أرحب آفاقاً مما سبقه، فكيف يتصور ان ياخذ الغني من الفقير، وان يستعين القادر بالعاجز؟<sup>(١)</sup>.

وافاد الدكتور محمد البهي بان محاولة اثبات هذه التهمة على الإسلام يرجع الى عاملين اثنين: احدهما نفسي ويتمثل في الغزو العلمي لدى المستشرقين، والاخر يرجع الى العداء التاريخي القديم<sup>(٢)</sup> بين الغرب والشرق الإسلامي.

ومن ابرز المستشرقين والذي تجنى على الحقائق التاريخية، هو المستشرق النمساوي الاصل، الانكليزي الجنسية، (شبرنجر) (1813-1893 Aloys Sprenger)، ويعد كتابة (حياة محمد وتعاليمه) انجازاً علمياً لا يحسد عليه فقد كان نمودجاً تقليدياً ردد فيه شبهات سابقة وافاض، حيث زعم ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مصاباً بهستريا الاعصاب والرأس التي تؤدي الى السقوط على الارض واحمرار الوجه وصعوبة التنفس، والانكى من ذلك فقد نسب بعض فضائل وجهه الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الخليفتين ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

فعلى سبيل المثال يذكر في حق الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) انه: ((استخدم الوسائل التي كان واجبا وممكناً للنبي ان يستخدمها لاختضاع العرب

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الكتب الحديثة، (القاهرة -

١٩٦٣)، ص ٩٨.

(٢) ينظر، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، (بيروت - ١٩٧٣)،

ص ٥٩٩.

فعلا وحقا، لا بحسب الظاهر فحسب. ولولا تصرف ابي بكر الحازم لكان الإسلام قد انحل، او بقي مجرد فرقة دينية لا اهمية لها))<sup>(١)</sup>.

فاشبرنجر متحامل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبب السياسة التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع القبائل والتي تعد مخطوئة بنظر (شبرنجر) وقد زعم بان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان متسرعا في الثقة بوفود القبائل الذين وفدوا عليه لاعلان اسلامهم، مما احدث الردة بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٢)</sup>.

ويقول عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بانه:

((هو المؤسس الحقيقي للدولة الإسلامية. وفي نظري ان عمر أسمى من النبي في كل ناحية. فهو خلو من كل انواع الضعف والتساهل التي وصمت اخلاق الاخير، وكان رجلا مملوءا بالجد والعزم الرجوليين... في اثناء حياة النبي ادى من الخدمات لانتصار الإسلام، بل ولطهارة تعاليمه، اكثر من محمد هو نفسه، وقد صان معلمه ﴿النبي﴾ من الوقوع في اخطاء فاحشة بفضل اقدامه الحازم. وكان لعقله الفائق تاثير على نفسية محمد الضعيفة الهستيرية))<sup>(٣)</sup>.

ان مثل هذه العبارات القاسية التي لا تنم الا عن تحامل وسوء فهم قائلها لا تستحق ان تذكر، ولكن اوردناها لبيان المنهج الذي سار عليه (شبرنجر)،

---

(١) بدوي، عبد الرحمن (الدكتور)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٣ (بيروت - ١٩٩٣)، ص٣١.

(٢) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣١.

(٣) ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣١.

والقائم على قذف الشبهات والنظر في عين واحدة للاحداث التاريخية، وقد كانت آرائه مبنية على التحامل، والاعتماد على الروايات الضعيفة والغريبة.

وفي هذا الاطار فقد ذكر الطبري (ت ٣١٠هـ) ما نستدل به على عدم دقة كلام (شبرنجر)، حيث ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اعترض على قرار الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم صلح الحديبية (٦هـ) وقد جاهره بذلك وحاول التأثير عليه بالعدول عن قرار الصلح، وقد ادرك عمر ابن الخطاب خطأه وما تفوه به امام المسلمين، مما دفعه الى القول: ((ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت ان يكون خيراً))<sup>(١)</sup>.

ويمكننا من خلال هذه الرواية الوصول الى امرين مهمين، الاول: ان اعتراف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بخطأه يدل على انه احس بتجاوزه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي يمثل السلطة الشرعية على المسلمين، وبذلك فهو تجاوز صدر من شخص ادنى على سلطة أعلى، على عكس ما ادعاه (شبرنجر) بان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو معلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصانه من الوقوع في اخطاء فاحشة، بل الخطأ الفاحش صدر من عمر بن الخطاب بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ولا نستبعد ذلك لان النفس امارة بسوء الظن او لتسرع عمر بن الخطاب.

اما الامر الثاني فهو ان لا نستغرب من كلام المستشرق (شبرنجر) او غيره من المستشرقين عندما يشك في نبوة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)،

(١) محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر - دت)، ٦٣٤/٣.

إذا كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي أصبح خليفة للمسلمين فيما بعد وعلى الرغم من معاشته للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعرفته باخلاقه وإيمانه بدعوته قد شك في صحة قراره بالصلح، لأن المستشرق المتحامل يفتش عن أية ثغرة في تاريخ المسلمين، أو عن أي خطأ وان كان غير مقصوداً.

أما المستشرق الإيطالي (كيتاني) (Leone Caetane 1869-1935) فهو أمير من أسرة (ال كيتاني). وهي من كبار الأسر المالكة في إيطاليا الحديثة، وذاع صيته من خلال أحد مؤلفاته وهو (حوليات الإسلام)، ويعد أوسع تاريخ للإسلام في عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)<sup>(١)</sup>.

لقد سلك كيتاني أسلوباً مميزاً في دراسة السيرة، وتمثل بالرجوع إلى المصادر الأولية بمواردها الكثيرة للاحاطة بكل ما ورد عن سير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودراسة كل خبر ونقده والبحث عن رواته، لكنه وقع في مثل الأخطاء التي رافقت (شبرنجر)، فقد أكثر من الأخبار الغريبة، وأخذ بالروايات المتأخرة الضعيفة، وأبدى فيها آراء مبنية على العاطفة في الغالب<sup>(٢)</sup> والشك في كل ما كتبه عن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن النزعة النقدية التي مارسها (كيتاني) كانت مفردة، واتسمت بالشك المبالغ فيه أحياناً في قبول وثائق التاريخ الإسلامي، وقد عدّ العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحوال الجغرافية هي الأساس في بلورة الدعوة الإسلامية وظهورها إلى حيز الوجود مع إهمال واضح للجانب الديني، وعلى

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٤٩٣.

(٢) ينظر، جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ١٢.

ضوء ذلك فسر رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والفتوح الإسلامية التي كان حليفها النصر السريع وخاصة في جهتي الفرس والروم، ولم يحسب أي حساب للتأثير العقائدي، بل فسر تلك الانتصارات على أنها كانت نتيجة لما تعانیه دولة فارس من الخلال وما اضطرت به دولة الروم من منازعات دينية بين الفرق المسيحية المتشاحنة<sup>(١)</sup>. ولم تقتصر انتقادات (المستشرق كيتاني) على شخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بل تهجم على بعض اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل (ابن عباس ت ٦٨هـ/ ٦٨٧م) فاتهمه بالكذب، لاعتقاده بوجود روايات متناقضة او غير صحيحة، يرجع سندها اليه، فصدر حكمه القاسي من غير ان يتحرى ويعرف بان الكثير مما اسند الى ابن عباس (رضي الله عنه) كان مدسوسا وليس له دخل فيه<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لنا ان (كيتاني) لم يطلع على المؤلفات العربية المتخصصة بالجرح والتعديل، التي تبنت متابعة النصوص وسلسلة سندها ودراسة ميول واتجاهات قائلها، والعصر الذي كتبت فيه.

وابرز مستشرق كتب بابتعاد تام عن الحقائق التاريخية هو البلجيكي هنري لامنس (Henri Lammens ١٩٣٧-١٨٦٢)، وكان راهبا يسوعيا شديد التعصب ضد الإسلام، ويفتقر الى النزاهة في البحث وعدم الامانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد من النماذج التي لا يحتذى بها من الباحثين في التاريخ الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٤٩٦.

(٢) ينظر، علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ١٣.

(٣) ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٠٣.



ان الافكار المغرضة التي تبناها (لامنس) عديدة من بينها، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان طفلاً فقيراً مجهول المولد، تبنته اسرة عبد المطلب<sup>(١)</sup>.

كان دليل لامنس على فكرته هذه هو قول القران الكريم: ((الم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى))<sup>(٢)</sup>.

ولو رجعنا الى تفسير هذه الاية في كتب التفسير نجد ان القمي (من اعلام القرن الثالث الهجري) يذكر بان ((اليتيم الذي لا مثل له ولذلك سميت الدرّة اليتيمة، لانه لا مثل لها))، اما ((فوجدك ضالاً فهدى))، فتعني ((وجدك في قوم لا يعرفون فضل نبوتك فهداهم الله بك))، اما ((ووجدك عائلاً فأغنى))، أي اغنى بالوحي<sup>(٣)</sup>.

اما الرازي فقد فسر (الم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم، وذكر في تفسير (يتيماً) امران، الاول ان عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره اهل الاخبار، توفي وام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حامل به، ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فتوفيت أمه وهو ابن ست سنين ثم توفي جده بعد أمه بستين،...، واما التفسير الثاني لليتيم، فهو من قولهم درّة اليتيمة، والمعنى، الم يجدك واحداً في قریش عديم النظير فأواك؟ أي جعل لك من تاوي اليه وهو ابو طالب.

(١) ينظر، غلاب، محمد، هذا هو الإسلام، مطابع الشعب، (مصر، ١٩٥٩)، ص ١١٣.

(٢) الضحى / ٦، ٧، ٨.

(٣) القمي، ابو الحسن علي بن ابراهيم (من اعلام القرن الثالث الهجري)، تفسير القمي،

(بيروت - ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ٢/٤٢٦-٤٢٧.

اما ((ووجدك ضالاً فهدى)) فقد ذكر في تفسيرها عشرين قولاً، واقربها الى الصواب، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حائراً في امر قومه، وضلالهم في عقائدهم وتقاليدهم وفساد اعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم... ولا يدري، ما هو السبيل الى هدايتهم حتى نزل عليه الوحي فيه تبيان كل شيء<sup>(١)</sup>.

ان الادلة على بطلان فكرة لامنس فضلاً عن ما ذكر في كتب التفسير كثيرة من بينها ما ادلى به الدكتور محمد غلاب، من انه لو كان كلام لامنس صحيحاً:

((لما ارتضى زعماء القبائل تحكيمه بينهم حين اختلفوا على وضع الحجر الاسود، ولما بايعه ابو طالب الجبار على مناصرته رغم انه لم يعتنق دينه، ولما تردد زعماء مكة في الاقدام على قتله حين ضايقهم بالدعوة الى الإسلام كما فعلوا رهبة من اسرته ولما شج حمزة<sup>(٢)</sup> رأس أبي جهل حين جرؤ على شتمه))<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) ابو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، (طهران - د.ت)، ص ٢١٤-٢١٦.
- (٢) هو الحمزة بن عبد المطلب بن هاشم (٥٤ق.هـ - ٣هـ) من قريش وعم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واحد صنائيد الإسلام وسادة قريش في الجاهلية، ولد ونشأ في مكة وكان اعز قريش واشدها شكيمة، هاجر مع النبي الى المدينة وشهد وقعة بدر وكان اول لواء عقده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له، استشهد في معركة احد (٣هـ). ينظر الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين، ط ١٦ (بيروت-٢٠٠٥م)، ٢/٢٧٨.
- (٣) غلاب، هذا هو الإسلام، ص ١١٤.

واضاف لامنس شبهة اخرى الى شبهاته عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، مفادها انه: ((رجل نؤوم اقول قد كثفت جسمه اللذات))<sup>(١)</sup>.

كانت السمة المميزة لمنهج لامنس في الكتابه التاريخية وخاصة فيما يتعلق بالحديث الشريف ووقائع السيرة، هي الشك في كل شاردة وواردة، فقد شك في امانة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدقه، وانكر الروايات التي افادت بان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتعبد في غار حراء، وانتقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان يميل الى المكين من المعادين للدعوة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

ووصف لامنس بانه غير دقيق في نقل الحوادث التاريخية كما عبر عن ذلك الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله:

((وابشع ما فعله لامنس، خصوصاً في كتابه (فاطمة وأولاد محمد)، هو انه كان يشير في الهوامش الى مراجع بصفحاتها، وقد راجعت معظم هذه الاشارات في الكتب التي احال عليها، فوجدت انه اما يشير الى مواضع غير موجودة اطلاقاً في هذه الكتب، او يفهم النص فهماً ملتويّاً خبيثاً، او يستخرج الزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية...، ولا اعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية))<sup>(٣)</sup>.

(١) ياسين، خليل، محمد عند علماء الغرب، مؤسسة الوفاء، ط٢ (بيروت - ١٩٨٣)، ص ٨٢.

(٢) ينظر، عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والإسلام، (بغداد - د. ت)، ص ٧٨.

(٣) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٠٤.

ويبدو ان لامنس قد احتفظ بعبارات المديح والاطراء ليجعلها من نصيب الخليفة معاوية الاول (ت ٦٠هـ/٦٧٩م)، فقد تضمن كتابه ((دراسات عن حكم الخليفة الاموي معاوية الاول)) دفاعاً عنه وتمجيداً للامويين جميعاً، على النقيض من المنهج الذي سلكه مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الاطهار (عليهم السلام) ليتحول من ناقد خبيث يجد لكل حق باطلاً مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الى مدافع مستميت سوغ جرائم الامويين جميعاً، ولا سيما جرائم يزيد بن معاوية (ت ٦٤هـ)<sup>(١)</sup>.

ويَنظَمُ المستشرق الانكليزي مرجليوث (D.S MarGoliouth - ١٨٥٨ - ١٩٤٠) الى قائمة المستشرقين المتعصبين من خلال كتابه (محمد ونشأة الإسلام) الذي الفه عام (١٩٠٥) وقفى عليه بكتاب (الإسلام)، وكانت دراسات مرجليوث غير علمية مما جعلها تثير السخط عليه ليس من جانب المسلمين فقط، بل ومن بعض المستشرقين<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من كونه يُعد من القلائل الذين اتقنوا العربية فهماً وكتابة الا انه لم يوظف هذه الميزة بشكل صحيح من اجل الوصول الى نتائج علمية، فقد

(١) ينظر: هادي، علي السيد، مناهج الكتابة في السيرة النبوية، سلسلة بحوث على هيئة كتاب تحت عنوان (مشروع اعادة كتابة التاريخ الإسلامي)، مجلة المنهاج، (بيروت - ٢٠٠٤م)، ص ١٧٩.

(٢) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٤٦.

زعم ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعرف والده حيث ان اسم (عبد الله) باعتقاده يضاف الى مجهولي النسب<sup>(١)</sup>.

لقد فند احد الباحثين ما زعمه مرجليوث، بالقول:

((يزعم هذا وهو يعرف مدى اهتمام العرب بالانساب ويعرف عناية قريش بأبنائها وآبائها، فكيف جهل الناسون الوعاة نسب محمد لبني هاشم، وقد عرفوا انساب الخيول؟! أفيؤتمن مثل هذا (العلامة) - على حد قول بعضهم - على قضية، يدرسها، وهو يسمح لقلمه ان يفترى عامدا بما ينكره اطلاعه؟))<sup>(٢)</sup>.

واضاف مرجليوث افتراء آخر وصف فيه الرسول المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - بانه كان يعيش من اموال السلب والنهب<sup>(٣)</sup>.

ولا يمكن لباحث يمتلك قدراً يسيراً من الموضوعية وتتوفر فيه ادنى مؤهلات التحليل المنطقي لحوادث التاريخ ان يصف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الوصف، لانه من غير الممكن ان يكون اساس الدولة التي اسسها النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - واستمرت بعده عدة قرون، مبنياً على اموال السلب والنهب، لان الذي يسلب وينهب لا يطمح من وراء ذلك نشر دعوة او بناء دولة وانما طموحه هو تامين قوته اليومي ليس الا، ولا يمكن ان يسرق كي يبني مجدداً للاخرين.

(١) ينظر، الدسوقي، محمد، الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، مؤسسة التوحيد للنشر، (قم -

١٩٩٦ م)، ص ٩٤.

(٢) الدسوقي، الفكر الاستشراقي، ص ٩٤.

(٣) ياسين، محمد عند علماء الغرب، ص ٧٨.

ولم تتوقف حملة التشويه عند الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بل استمرت حتى مع اهل بيته (عليهم السلام) واصحابه (رضي الله عنهم)، ونشير في هذه الدراسة الى بعضها لان التعمق فيها يحتاج الى دراسة مستقلة.

يأتي في مقدمة أو تلك المستشرقين المغرضين واكثرهم حقداً البلجيكي (لامنس) وسبق لنا الاشارة اليه في رؤيته لشخص الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- التي اتصفت بعدم الانصاف.

فقد وصف (لامنس) الإمام الحسن بن علي (ت مسموماً ٥٠هـ/٦٧٠م) بن ابي طالب (عليهما السلام) بصفات بعيدة كل البعد عن الحقائق التاريخية التي تناقلتها مصادرنا الإسلامية المنصفة، لقد ذكر لامنس، ان الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن على وفاق مع ابيه (عليه السلام) واخوته (عليهم السلام) وانه يميل الى الشهوات ويفتقر الى النشاط والذكاء، وقد انفق خير سنوات شبابه في الزواج والطلاق، حتى وصل عدد نسائه حسب ما يذكر لامنس الى مائة زوجة عدداً، وكانت تلك الزوجات سبباً في ايقاع الإمام علي (عليه السلام) في خصومات عنيفة، واثبت الحسن كذلك والكلام لـ (لامنس) انه مبذر كثير السرف واسكن كل من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم، وكيف كان يبعثر المال ايام خلافة والده الإمام علي (عليه السلام) الذي اشتد عليه الفقر<sup>(١)</sup>.

ان كلام (لامنس) غير دقيق ولا يستند الى ادلة تاريخية وهذا ناتج من تأثره بالامويين كما في كتابه (معاوية)، ولو القينا نظرة على بعض مصادرنا

(١) ينظر، دائرة المعارف الإسلامية، نقله الى العربية، محمد ثابت افندي واخرون، د.ت، مجلد

٧ ص ٥٨، مادة الحسن بن علي بن ابي طالب.

الإسلامية المعتمدة عند كل المذاهب التي ورد فيها ذكر الإمام الحسن (عليه السلام)، لوجدنا ما يفند ادعاء (لامنس).

فقد ذكر الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام)، قول الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بحق الإمام الحسن -عليه السلام-: ((اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه))<sup>(١)</sup>.

وروي هذا الحديث في سنن بن ماجه (ت ٢٧٥هـ)، ورواه جمع آخرون من أئمة الحديث<sup>(٢)</sup>.

وجاء في المستدرك على الصحيحين للنيسابوري (ت ٤٠٥هـ) الذي روى عن الزبير، ان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل حسناً (عليه السلام) وضمه اليه وجعل يشمه، وكان عند الرسول رجل من الانصار، فقال الانصاري: ((ان لي ابناً قد بلغ ما قبلته قط))، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): رأيت ان كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي؟<sup>(٣)</sup> وورد في كنز

(١) القشيري النيسابوري، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، (بيروت ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٠٤٨.

(٢) ينظر، البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، (بيروت - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م)، ص ٦٦٥، ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، دار احياء التراث العربي، (بيروت - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٣٤؛ الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، الجامع الصحيح، دار احياء التراث العربي، (بيروت - ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٩٨٩.

(٣) ينظر، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت - ١٤٢٢/٢٠٠٢م)، ص ٣٧٩.

العمال، عن البراء بن عازب (ت ٧٢هـ) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الحسن: هذا مني وأنا منه وهو يحرم عليه ما يحرم علي<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في طبقاته، اذ قال ((اخبرنا سريح بن النعمان، اخبرنا هيثم بن ابي معشر، قال: حدثني بعض مشيختنا))، قال: لما خرج علي (عليه السلام) من القبر، ويعني به قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، القى المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ) خاتمه في القبر وقال لعلي (عليه السلام): خاتمي، فقال علي لابنه الحسن (عليهما السلام)، ادخل فناوله خاتمه، ففعل<sup>(٢)</sup>.

وكان المغيرة يقصد من القاء خاتمه في قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه:

ان دخل القبر الشريف بعدما يخرج الإمام (عليه السلام)، فيفتخر على الصحابة بانه هو اخر الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فادرك الإمام علي (عليه السلام) ذلك، وامر الإمام الحسن (عليه السلام) باخراج الخاتم، وبذلك كان الإمام الحسن آخر الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٣)</sup>.

(١) المتقي الهندي، عيلى بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تحقيق، محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ٢٨٤/١٣.

(٢) ينظر، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٢٣١/٢.

(٣) ابن سعد، المصدر نفسه، ص ٢٣١، ٢٣٢.



ونكتفي بالتدليل على عظمة الإمام الحسن (عليه السلام) وان كان ذلك لا يحتاج الى دليل، بذكر ما رواه البيهقي (ت ٤٥٨هـ) بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: ((ما ندمت على شيء فاتني في شبابي الا اني لم احج ماشيا، ولقد حج الحسن بن علي (عليه السلام) خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات))<sup>(١)</sup>.

ولو قارنا بين ما ذكره (لامنس) وما ورد من احاديث عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتبين لنا البون الشاسع في وصف الإمام الحسن (عليه السلام)، فمن حج بيت الله سبحانه وتعالى خمس وعشرين مرة ماشيا، ويقول عنه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((هذا مني وانا منه ويحرم عليه ما يحرم علي))، لا يمكن ولا يحق لاي شخص ان يطعن به، ولا سيما الموصوف هو الإمام الحسن (عليه السلام) الذي تربى في بيت النبوة.

ومن بين الشخصيات الإسلامية التي لم ينصفها المستشرق (لامنس)، هو الحمزة بن عبد المطلب، عم الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- واحداً الابطال، الذين ارسوا دعائم الإسلام.

بدأ (لامنس) كلامه عن الحمزة بالقول: ((حمزة بن عبد المطلب: عم النبي وتزيد الروايات انه اخوه في الرضاة سعيا منها الى تمجيد هذا البطل من

(١) ابو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية، (الهند -

ابطال الإسلام في عهده الاول، ولا نعرف عن حمزة فيما عدا ذلك الا القليل))<sup>(١)</sup>.

واضاف (لامنس) بان الحمزة (عليه السلام) قد دخل في الإسلام بعد نزول الوحي على النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بستين وهاجر الى المدينة وعاش فيها اول الامر (عيشة المغمور البائس حتى بلغ من امره ان خرج من وعيه في يوم من الايام تحت تاثير الافراط في الشراب وحمل بسيفه على جمال لعلي))<sup>(٢)</sup>. وليس غريبا ان يتجاهل المستشرق (لامنس) نسب الحمزة بن عبد المطلب، فهو من قبل قد تجاهل مولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه، ويبدو انه يتجاهل كل عظماء الإسلام.

قال ابن اسحاق (ت ١٥١هـ)؛ ((فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عز وامتنع وان حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه))<sup>(٣)</sup>.

وذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ) بان الحمزة هو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي بن قصي بن كلاب، ووصفه بانه امام وبطل وضرغام واسد الله، الهاشمي، المكّي ثم المدني، البدري، الشهيد، عم رسول الله واخوه من الرضاعة<sup>(٤)</sup>.

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٠٦/٨، مادة حمزة بن عبد المطلب.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٣) السيرة، ص ١٧٢.

(٤) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق مصطفى

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ٧٢/٣.

يضاف الى هذا وذاك بانه احد اباطال الإسلام الذي شهدت له معركتي بدر واحد موقفا لا يمكن انكاره الا من المتحاملين على الإسلام.

اما الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) (ت ٦١هـ)، فقد كان الحكم قاسيا عليه على يد المستشرق الالماني يوليوس فلهوزن (١٩١٨-١٩٤٤ Julius Well Hausen)، ويمكن وصفه بانه لا يقل تحاملا عن (شبرنجر) و(لامنس).

يعد كتاب فلهوزن (احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام) من المؤلفات المهمة الذي وقف فيه على تفاصيل ووقائع تاريخية تتناسب مع عنوان كتابه، مستخدما اسلوب نقد الروايات ومقارنتها مع بعضها بالرجوع الى مصادر متعددة، ولكنه في النهاية يحاول تفضيل رواية على اخريات، واصدار احكام لا تتلائم مع الجهد المبذول في البحث.

لقد اعتمد فلهوزن روايات (ابي مخنف ت ١٥٧هـ)<sup>(١)</sup> وفضلها على باقي الروايات واشاد باسلوب ونزاهة وصفه للاحداث، في حين قلل من اهمية ما كتبه اخرون امثال اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م) الذي لم يتردد فلهوزن باتهامه بـ ((السذاجة))<sup>(٢)</sup>.

(١) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الاسدي، راوية، عالم بالسير والاحبار، إمامي من اهل الكوفة، له تصانيف كثيرة، منها ((فتوح الشام)) و((الردة)) و((الجملة)) و((صفين)) وغيرها، ينظر، الزركلي، الاعلام، ٢٤٤/٥.

(٢) ينظر، هاني، ادريس، محنة التراث الآخر، مؤسسة الغدير للدراسات والنشر، (بيروت - ١٩٩٨)، ص ٥٨.

يقول فلهوزن في هذا الاطار: ((وعلى الرغم مما فيها ﴿أي رواية ابي مخنف﴾ من الوان الاساطير، فانها لا تحجب عنا المادة التي بفضلها نستطيع ان نكون احكاما سليمة))<sup>(١)</sup>.

وباعتقادنا ان الاحكام التي اصدرها فلهوزن بحق الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن سليمة، بل كان الطابع المميز لها هو التلون ومحاوله التلاعب بالالفاظ لغرض الوصول الى الهدف المنشود وهو النيل من شرعية الثورة التي قام بها الإمام الحسين (عليه السلام).

من جانب قال فلهوزن عن الإمام الحسين (عليه السلام): ((لقد مضى الحسين كما مضى المسيح في طريق مرسوم، ليفتح ملكوت الدنيا تحت الاقدام، ومد يده كالطفل لياخذ القمر))<sup>(٢)</sup>.

ومن جانب اخر يصفه (عليه السلام) بانه: ((ادعى اعرض الدعاوى، ولكنه لم يبذل شيئاً في سبيل تحقيق ادناها، بل ترك للاخرين ان يعملوا من اجله كل شيء. وفي الواقع لم يكن احد يوليه ثقة، انما قدم القوم رؤوسهم يائسين. ولم يكن يصطدم باول مقاومة حتى ينهار، فاراد الانسحاب ولكن كان ذلك متأخراً فاكفى بان راح ينظر الى انصاره وهم يموتون في القتال من اجله، وابقى على نفسه حتى اللحظة الاخيرة))<sup>(٣)</sup>.

(١) يوليوس، احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام - الخوارج والشيعة، ترجمة

الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط ٢ (الكويت - ١٩٧٦)، ص ١٣٥.

(٢) احزاب المعارضة، ص ١٣٦.

(٣) فلهوزن، احزاب المعارضة، ص ١٣٧.

ووصف فلهوزن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بأنه قطعة مسرحية انفعالية (ميلودراما) بينما وصف مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بأنه مأساة (تراجيديا).

واضاف بان ((عيوب الحسين الشخصية تختفي امام هذه الواقعة وهي ان دم النبي يجري في عروقه وانه من اهل البيت فلم يكن عليه ان يجهد نفسه))<sup>(١)</sup>.

والواقع ان كلام فلهوزن آنف الذكر غريب جداً وبعيد عن الحقائق، فقد قدم الإمام الحسين (عليه السلام) اعز شيء كان يملكه وهو التضحية بنفسه واصحابه واهل بيته من اجل بلوغ هدفه المتمثل بالوقوف بوجه السلطان الجائر الذي ابتعد عن الإسلام، ولم يرغم الإمام الحسين (عليه السلام) احداً للقتال معه، حيث وضح لاصحابه بان القوم يستهدفونه هو دون غيره وخيرهم للانصراف في الليلة التي سبقت المعركة، ولكن ثقة اصحابه به وايمانهم بقضيتهم جعلتهم يضحون بانفسهم في سبيل ذلك، ولم نجد في مصادرنا التاريخية ما يفيد بان الإمام الحسين (عليه السلام) اراد الانسحاب من المعركة كما ذكر فلهوزن.

ويعزز قولنا هذا، ما ذكره ابو مخنف (ت ١٥٧هـ) من خطبة للإمام الحسين (عليه السلام) في الليلة التي سبقت المعركة جاء فيها:

((ألا واني اظن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً، الا واني قد رايت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ثم لياخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي وتفرقوا في سوادكم

(١) احزاب المعارضة، ص ١٣٧.

ومدائتكم حتى يفرج الله، فان القوم انما يطلبوني، ولو قد اصابوني لهوا عن طلب غيري))<sup>(١)</sup>.

ان تمادي بعض المستشرقين في النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته وصحبه (عليهم السلام) ادى الى انسياق اخرين وراء نفس الاتجاه، من امثال المستشرق الانكليزي (انتوني نتنج (Nutting,A) الذي وقع في اخطاء متعمدة في كتابه (العرب انتصاراتهم واجماد الإسلام)، ولكن الدكتور راشد البراوي مترجم هذا الكتاب حاول ايجاد المبررات لاستخدام انتوني نتنج هذا الاسلوب في معالجته لاحداث التاريخ.

ففي اثناء حديث نتنج عن الإمام الحسن (عليه السلام) وهدنته مع معاوية بن ابي سفيان، ذكر بان مبايعة اهل الكوفة للإمام الحسن (عليه السلام) جاءت من باب الاحترام لذكرى الإمام علي (عليه السلام) وان الحسن (عليه السلام) كان يؤثر العافية ويحب السلم، وقد ظفر بكنيته المطلق الكبير من زيجاته الكثيرة التي يقول البعض على حد تعبير نتنج انها بلغت المائة، وازضاف (نتنج) بأن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يقم الا بحركة واحدة لانقاذ عرشه فوجه جيشاً من الكوفة ضد معاوية، ولكن لما بلغت الشائعات المدائن، عن انهزام جيشه تنازل

(١) لوطين يحيى الازدي الكوفي (ت ١٥٧هـ)، وقعة الطف، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٣ (قم - ١٤١٧هـ)، ص ١٩٧؛ المقدم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، مطبعة الاداب، ط ٤ (النجف - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ٨٤، ٨٥.

على الفور معاوية الذي بعث اليه بصحيفة بيضاء ليكتب فيها الحسن (عليه السلام) ما يشاء<sup>(١)</sup>.

ووصف نتج الإمام الحسن (عليه السلام) بالقول:

((لم ينجل الحسن من ان يطلب ويشترط في رده ان يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة الاف درهم(٥٠٠) وعندئذ، وقد وضع في جيبه مكاسب لا يستحقها، انصرف الى المدينة حيث توفي بعد سنوات ثمان على يد احدى زوجاته))<sup>(٢)</sup>.

وقد دافع الدكتور راشد البراوي عن رأي (نتج) في هذا الموضوع بقوله:  
((قد يتراءى للبعض ان الكاتب متحامل على الحسن بن علي. ان قصة الصحيفة صحيحة اوردها المؤرخون العرب، ولكنها في الواقع نوع من الترجمة، كما ان المبلغ جنب العالم الإسلامي المزيد من الحرب والفتنة. ويلاحظ ان معاوية هو الذي تقدم بالعرض، ومن ثم لا معنى للقول بأن الحسن، لم ينجل أو انه وضع في جيبه مكاسب مالية لا يستحقها<sup>(٣)</sup>. فاذا كانت هذه الكلمات التي اصدرها (نتج) بحق الإمام الحسن (عليه السلام) لا تعني شيئاً للدكتور البراوي، فانها تعني للمنصفين في التاريخ الإسلامي الشيء الكثير، فالإمام الحسن الذي يتكلم عنه المستشرق (نتج) والمترجم (البراوي) هو من سلالة (آل البيت)، اما الأموال التي

(١) ينظر، نتج، انتوني، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، ترجمة الدكتور راشد البراوي، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة - ١٩٧٤)، ص ٩٢.

(٢) نتج، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) مقدمة كتاب (العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام) للمستشرق انتوني نتج، صفحة، ي -

تكلما عنها فهي حقوق المسلمين ولا يمكن للإمام الحسن (عليه السلام) ان يسلمها الى ايدٍ غير امينة عليها، تستخدمها للترف والبذخ وشراء الذمم.

ان المستشرق (نتيج) اعتمد على نصوص وردت في مصادر كان رواتها ضعفاء او يحاولون الدس في كل او جانب مما يتعلق بالائمة (عليهم السلام).

فقد وضعت على لسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في حق ولده الإمام الحسن (عليه السلام) رواية بسند عن ابو جعفر محمد بن حبيب<sup>(١)</sup> (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) عن المسيب بن نجيبة جاء فيها:

((سمعت امير المؤمنين (عليه السلام)، يقول: انا احدثكم عني وعن اهل بيتي، اما عبد الله بن اخي فصاحب لهو وسماع، واما الحسن فصاحب جفنة وخوان، فتى من فتيان قريش، ولو قد التقت حلقتا البطان<sup>(٢)</sup> لم يغن عنكم شيئاً في الحرب، واما انا وحسين، فنحن منكم وانتم منا....))<sup>(٣)</sup> وروى محمد بن حبيب ايضاً رواية اخرى عن الإمام الحسن، جاء فيها:

(١) هو محمد بن حبيب بن امية بن عمرو، من موالي بني العباس، عرف عنه معرفته بالانساب والايثار والفقہ والشعر، ولد في بغداد وتوفى في سامراء، له عدة كتب، منها، (المحبر) و(المنق) وكتاب مختلف القبائل ومؤلفها، واخرى، ينظر في ترجمته، الزركلي، الاعلام، ٧٨/٦.

(٢) البطان: مثل يضرب للامر اذا اشتد وجاوز الحد؛ ينظر، ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجبل، (بيروت- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج ١١/١٦.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/١٦.



((قال علي (عليه السلام): لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت ان اثير عداوة، قال ابو جعفر: وكان الحسن اذا اراد ان يطلق امرأة جلس اليها، فقال: ايسرك ان اهب لك كذا وكذا؟ فتقول له ما شئت، او نعم، فيقول: هو لك، فاذا قام ارسل اليها بالطلاق، وبما سمى لها<sup>(١)</sup>).

وبعد ان اطلعنا على هاتين الرواتين من كثير، فنؤكد بان (نتنج) قد حاول الاعتماد على مثل هذه الروايات، وبذلك اثرت على تقييمه لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام).

وهناك دليل اخر على تحامل نتنج، فقد تكررت في كتابه آف الذكر عبارة (الزندقة الشيعية) في صفحات عدة منها (ص ٢٢١، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٣). وحاول الدكتور البراوي ايضا التقليل من وقع هذه العبارة بقوله: ((التعبير ليس غريبا او متعسفا لاننا نلقاه في مؤلفات كتب اهل السنة في تلك العصور، فالشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) في الملل والنحل والبغدادي (ت ٢٤٩هـ) في (الفرق بين الفرق)... الخ، يتحدثون عن فرق من قبيل الشيعة والخوارج... الخ باعتبارهم من اصحاب الضلالات او من اصحاب الزنادقة))<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لنا من هذا القول بان المؤلف (نتنج) والمترجم الدكتور البراوي كانا احاديبي النظرة لانهما لم ياخذا الاحداث التاريخية الا من منهل واحد وهو مؤرخي السنة، للحديث عن حادثة او ظاهرة تتعلق بالشيعة، وهذا هو الخطأ الذي يقع فيه اغلب الغربيين سواء كان ذلك عن قصد او دون قصد.

(١) ابن ابي الحديد، الشرح، ج ١٦/١٢.

(٢) البراوي، مقدمة كتاب (العرب انتصاراتهم واجماد الإسلام) للمستشرق اتونني نتنج، الصفحات، ي، ك.

وذكر احد الباحثين سببا منطقيا لاقدام الإمام الحسن (عليه السلام) على الاحتفاظ بالاموال التي كانت موجودة في بيت مال الكوفة، وهو ان للامام (عليه السلام) شؤون كثيرة، فهو مثقل بعبء بني هاشم وأصحابه، وبحكم مركزه، فلا بد ان يكون في حوزته ما يكفيه من المال، وهذا شرط طبيعي لا بد ان يورده الإمام في بنود الصلح مع معاوية<sup>(١)</sup>.

وقد اطرى نتج معاوية بن ابي سفيان مديحاً وثناءً بوصفه اياه بأنه ذو خلق عربي رائع ورب اسرة قدر لها ان تحكم (الإمبراطورية) في اعظم ايام مجدها، واضاف بان باب معاوية كان مفتوحاً امام ادنى رعاياه مرتبةً، من فقراء وذوي حاجة وكان معاوية على خلاف الشخص المنحل الذي يتحيز لاهله<sup>(٢)</sup>.

ما ذهب اليه (نتج) يطابقه كلام (قلب حتي) بحق معاوية بوصفه ((لم يكن اول ملوك العرب فحسب بل كان واحداً من أحسنهم أيضاً))<sup>(٣)</sup>.

ولا نريد في هذا المبحث ان نتوسع في عرض الآراء التي اتسم أصحابها بالتحامل على الإسلام او الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) او بعض الشخصيات الإسلامية، ولكن من دواعي البحث تشخيص الاسباب التي دفعت بالمستشرقين الى اتباع هذا المنهج، ويمكن تصنيف هذه الاسباب الى صنفين: الاول يتعلق بالمسلمين انفسهم والثاني يرجع الى المستشرقين وما كانوا يحملون من افكار

(١) ينظر، فضل الله، محمد جواد، صلح الإمام الحسن اسبابه نتائجه، دار المثقف المسلم، (قم - د.ت)، ص ١٣٢.

(٢) ينظر، العرب انتصاراتهم وامجاد الإسلام، ص ٩٦-٩٧.

(٣) حتي، فلب خوري، تاريخ العرب، نقله الى العربية، محمد مبروك نافع، مطبعة دار العالم العربي، ط ٣ (القاهرة - ١٩٥٢) ص ٢٤٧.

قد تكون مسبقة عن الإسلام او انها ناتجة عن سوء فهم او حقد او رجوعهم الى روايات أموية، وقد تمت الاشارة الى بعضها في الصفحات المتقدمة من البحث، ونضيف اليها ما قاله المستشرق ساوثرن ( R.W.Southern )، بان كتاب اللاتين بين عام ١١٠٠م وعام ١١٤٠م الذين اخذوا على عاتقهم توضيح صورة الإسلام لدى الناس العامين، ركزوا في اهتمامهم على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دون اعتبار للدقة، فاطلقوا العنان لـ ((جهل الخيال المنتصر)) على حد تعبير (ساوثرن)، فقد وصفوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كان ساحراً هدم الكنيسة في افريقيا وفي الشرق وابعث الاتصالات الجنسية<sup>(١)</sup>.

بخصوص ما يتعلق بالمسلمين فيمكننا ان نورد بعض الادلة التي نعتقد بانها كانت سبباً في زيادة الحملة الاستشراقية على الإسلام.

فقد ورد على لسان بعض رواة الحديث التعمد في الاساءة الى شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال ما نسبوه اليه من احاديث واعمال تتنافى مع ابسط القواعد الاخلاقية، وكان الدافع في ذلك هو الظهور بالوجه الحسن امام ذوي السلطان والجاه أو رفع شأن خلفائهم، ولكن على حساب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته (عليهم السلام)<sup>(٢)</sup>.

(1) R.W.Southern , western views of Islam in the middle □

Agés,(Cambridge,Mass,١٩٦٢) p.p.٢٨ FF.

(٢) ينظر، هيفا، راجي انور، الإسلام والغرب، دار العلوم، (بيروت - ٢٠٠٥)، ص ٧٢.

لقد روى ابو هريرة<sup>(١)</sup> (ت ٥٧هـ) وحده (٥٣٧٤) حديثاً عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حين انه لم يصاحبه الا عاماً واحداً وبضعة اشهر<sup>(٢)</sup> وقد اتهمه كبار الصحابة بالكذب والتزوير.

وما قاله ابن ابي العوجاء<sup>(٣)</sup> (ت ١٥٥هـ/٧٧١م) قبل ان تُضرب عنقه:  
(ووضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرمّ فيها الحلال واحلّ فيها الحرام)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابو هريرة، غامض الحسب، مغمور النسب، فاختلف الناس في اسمه واسم ابيه اختلافاً كثيراً ولم يتم ضبطه في الجاهلية ولا في الإسلام، قيل ان اياه يدعى عمير بن عامر بن عبد ذي الشري، وامه اميمة ابنت صفيح، اما كنيته فقد اكتسبها نسبة الى هرة صغيرة كانت عنده واحبها كثيراً. ينظر، الموسوي، عبد الحسين شرف الدين، الموسوعة (الفصول المهمة - ابو هريرة)، تحقيق، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، قسم احياء التراث الإسلامي، دار المؤرخ العربي،

(٤) ابورية، محمد (الشيخ) شيخ المضيرة ابو هريرة، دار المعارف، (مصر - ١٩٦٩)، ص ١٢٤. (بيروت - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ٣/ ١٢١٥ وما بعدها.

(٣) ابن ابي العوجاء: اسمه عبد الكريم وهو من الملحدين المشهورين واعترف بدسه الاحاديث الكاذبة المنسوبة الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قتل في خلافة ابو جعفر المنصور وبالتحديد في عام (١٥٥هـ).

ينظر، الطبري، التاريخ، ٤٨/٨؛

<http://www.alshia.com>.

(٤) ابورية، محمد (الشيخ)، اضواء على السنة المحمدية، مؤسسة الاعلمي، (بيروت - د.ت)،

ويبدو ان المستشرقين الذين يقرأون قسما من هذه الاحاديث او ما يشبهها من الروايات سوف يصدرون احكامهم ومن ثم يعممون هذه الاحكام على الإسلام.

لقد ذهب احد الباحثين بالقول: ((لماذا نغضب من فلوتن<sup>(١)</sup> وغيره اذا تناول ﴿خالد﴾<sup>(٢)</sup> ابن الوليد بالفخر في دينه وشهامته في الوقت الذي نقرأ فيه عن افعاله الدموية المخزية (في الجزء الثالث من تاريخ الطبري) احد ابرز المؤرخين المسلمين؟!))<sup>(٣)</sup>

لقد ذكر الطبري كيفية مسير خالد بن الوليد (ت ٢١هـ/٦٤٢م) بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدعوا قبيلة (جذيمة) الى الإسلام، وبعد ان اعطاهم خالد بن الوليد الامان، جردهم من اسلحتهم ثم امر بعد ذلك بتوثيقهم وقتل جماعة منهم، وعند وصول الخبر الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) امر الإمام علي (عليه السلام) بان يدفع ديات القتلى نيابة عنه، ثم وقف

---

(١) فان فلوتن: مستشرق هولندي: له مؤلفات عديدة اهمها (مجيئ العباسيين الى خراسان) و(ابحاث في السيطرة العربية) و(التشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الاموية)، للمزيد، ينظر، عقيقي، المستشرقون، ٦٦٢/٢.

(٢) خالد بن الوليد (ت ٢١هـ)، بن المغيرة المخزومي، اسلم قبل فتح مكة سنة (٧هـ)، شارك في مقاتلة المرتدين اصحاب مسيلمة الكذاب، وفتح الحيرة سنة ١٢هـ في عهد الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه)، مات بجمص بسوريا، ينظر، الزركلي، الاعلام، ٣٠٠/٢.

(٣) هيفا، الإسلام والغرب، ص ٧٤.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستقبل القبلة قائماً رافعاً يديه، وهو يقول: ((اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد)) ثلاث مرات<sup>(١)</sup>.

وقد اتهم عبد الرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup> (ت ٣٢ هـ/٦٥٢م) خالد بن الوليد بقتل هؤلاء عمداً

وهم مسلمون وذلك كي يثار نار الجاهلية لعميه اللذين قتلها بنو جذيمة في وقت سابق<sup>(٣)</sup>. بعد ان لقينا نظرة سريعة على بعض الاراء الاستشراقية التي حاولت التقليل من شأن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته (عليهم السلام)، يمكننا الخروج بالمؤشرات الاتية:

١- ان معظم الاحكام الاستشراقية التي صدرت بحق الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - تدل على انها كانت احكاماً مبنية على افكار مسبقة ولا تنم الا عن تحامل اصحابها على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

٢ - استخدم المستشرقون الفاظاً بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تمت الى منهجية البحث التاريخي بأية صلة وفيها دلالات واضحة على حقد وكرهية اصحابها.

(١) تاريخ، ج ٦٨/٣.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث، احد اصحاب الشورى الذين جعلهم الخليفة عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، شهد بدرأ وأحد وجرح يوم احد واعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً، توفي في المدينة في السنة الثانية والثلاثين من الهجرة. للمزيد، ينظر، الزركلي، الاعلام، ٣/٣٢١.

(٣) السماوي، محمد التيجاني (الدكتور)، الشيعة هم اهل السنه، مؤسسة الفجر، (لندن -

٣ - تتبع المستشرقون اخبار الحوادث الغربية والضعيفة، وكان الهدف منها النيل من شخص الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والظعن في الإسلام.

٤- ان المنهج الذي استخدمه المستشرقون قائم على النقد المفرط، الذي يصل الى حد التشكيك في كل صغيرة وكبيرة والى درجة فساد العقل والابتعاد عن المنطق.

٥- حاولت بعض الدراسات الاستشراقية اضعاف صفة التبعية على الدين الإسلامي من خلال محاولة ايجاد علاقة بين الإسلام والنصرانية او اليهودية، او التصوير بان الإسلام ليس ديناً مستقلاً بحد ذاته وانما هو مشتق من المسيحية ومن بركاتها على الناس.

٦- كان الخطأ الذي وقع تحت طائلته فريق من المستشرقين يعود الى استخدام المنهج النقلي فيما يتعلق بتناقل الحوادث عن بعضهم وعدم الرجوع الى المصادر الإسلامية المنصفة.

## ((المبحث الثاني))

### الدراسات الموضوعية

اتخذ المستشرقون من هذه الدراسات مساراً آخرًا يختلف كل الاختلاف عن المسار الذي سلكه آخرون في دراساتهم التي تم الإشارة إليها في المبحث الأول، ولعل السبب في رأينا يعود الى تعامل هذا الصنف من المستشرقين مع الاحداث التاريخية بواقعية، وتجرد عن الهوى وعدم الانسياق وراء احكام جاهزة اصدرها الآخرون.

سنورد في هذا المبحث نماذج من هذه الدراسات لا حاجة منا إليها في انصاف نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا الى شهادة مستشرق للتدليل على عظمة الدين الإسلامي، ولكن ليكون هؤلاء شهوداً على تجني سابقهم، رغم ان التاريخ الذي درسوه هو تاريخ واحد والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفوه هو واحد.

لقد شخص احد الباحثين مجموعة مؤهلات تمكن المستشرق لكي يكون في مصاف المنصفين واهم هذه الضوابط:

- 1- التمييز بين معطيات الإسلام وواقع المسلمين دون الخلط بينهما او تحكيم سلوك الناس بمبادئ الدين، او الاوضاع بالشرع.
- 2- الاعتماد على المصادر والمراجع الإسلامية اساساً، ومقابلة ما يكتبون بها، والاحتكام إليها مع الامانة العلمية.
- 3- التحليل الموضوعي القائم على اكتشاف الحقائق بعيداً عن التشويه والتعظيم.



٤ - التزام اخلاقيات البحث النزيه، بعيداً عن البذاءة والتجريح.

٥- المساهمة في تعريف الإسلام بعد تفهمه، دون ان ينصب المستشرق او العالم الغربي نفسه معلماً للمسلمين<sup>(١)</sup>.

ويمكننا اضافة جوانب اخرى مهمة بينها:

١- ان يكون المستشرق مطلعاً على عادات وتقاليد من يكتب عنه لان ذلك يمكنه من معرفة دقائق الامور.

٢- لئلا يقع الباحث تحت تاثير ورحمة المترجمين الذين قد يتلاعب الهوى بعقولهم في اخفاءهم بعض الحقائق، عليه ان يكون ملماً بلغة القوم الذين يحاول الكتابة في تاريخهم.

٣- ان يدع خلف ظهره كل اسقاطات سابقه، وان اخذ بها فعليه ان يجعلها نقطة الانطلاق للوصول الى الحقائق.

يأتي في مقدمة المستشرقين المنصفين، الاسكتلندي توماس كارليل (١٧٩٥م - ١٨٨١م Thomas Carlyle) الذي يعد كتابه (الابطال) من اهم مؤلفاته، وقد كتب فصلاً رائعاً عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٢)</sup>.

ومن مؤلفاته الاخرى كتاب (الثورة الفرنسية) وكتاب (الماضي والحاضر) وكتب متعددة<sup>(٣)</sup>. لا يهمنا ذكرها بقدر ما يهمنا كتابه الاول.

(١) مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات، ص ٣٩٠، ٣٨٩.

(٢) ينظر، مراد، يحيى، معجم اسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠٠٤ م /

١٤٢٥هـ)، ص ٥٤٨.

قسم كارليل كتابه (الابطال) الى محاضرات ست، وتناول في محاضرته الثانية التي تحمل عنوان (البطل نبياً) سيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تضمنت هذه المحاضرة ردوداً عنيفة بوجه الغربيين الذين حاولوا تكذيب دعوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذين زعموا بأن الطمع وحب الدنيا هو الدافع الحقيقي وراء هذه الدعوة.

فقد قال كارليل بصدد ذلك: ((يزعم الكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذي اقام محمداً واثاره؟ حمق وأيم الله، وسخافة وهوس أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب...، كلا اذن فلنضرب صفحا عن مذاهب الجائرين القائلين ان محمداً كاذب ونعد موافقهم عاراً، وسخافة وحمقاً، فلنربأ بنفوسنا عنه ولنرتفع))<sup>(٢)</sup>

وحاول كارليل التواصل في منهجه المنصف، وكان اكثر وضوحاً عندما ابعث الشبهات التي اثرت حول الدين الإسلامي والنبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكل قاطع ودون تردد - بل وصف كل من يصدق هذه الشبهات بالعبارات التالية:

((لقد اصبح من اكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر ان يصغي الى القول بان دين الإسلام كذب، وان محمداً خداع مزور، فان الرسالة التي اداها ذلك الرجل.ما زالت السراج المنير فترة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من

(١) لغرض الوقوف على جانب من حياة كارليل ومؤلفاته، ينظر، عقيقي، نجيب، المستشرقون، ج٢ / ٤٨١.

(٢) توماس، الابطال، ترجمة محمد السباعي، ط٣ (المطبعة المصرية - ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)، ص٥٤.

الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، اكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاشت بها وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء اكدوبة وخذعة؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابدأ فلو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منه ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة كان الاولى بها ان لا تخلق))<sup>(١)</sup>

ووصف الاستاذ الدكتور حسن الحكيم هذا القول بانه رد جميل على ما زعمه بعض المستشرقين الذين حاولوا الحط من هبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ومكاته والتشكيك في الوحي<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من تمتع كارليل بروح الانصاف الا اننا نجد بعض الباحثين قد انتقدوه على بعض النصوص التي اوردها في كتابه انف الذكر<sup>(٣)</sup>، لذا من الواجب علينا نحن -الباحثين- الوقوف عند بعض هذه النصوص والتامل في مقاصدها.

قال كارليل: ((اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الاذان، واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب، القرأن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه وقارئيه))<sup>(٤)</sup>.

(١) الابطال، ص ٥٨.

(٢) المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية، مجموعة بحوث القيت في المؤتمر العلمي الاول لكلية الفقه، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦، مطبعة القضاء (النجف د.ت)، ص ١٣٩.

(٣) ينظر بشير، تطور الاستشراق البريطاني في كتابه السيرة النبوية، ص ٧٤، ٧٥.

(٤) الابطال، ص ٦٨.

لو امعنا في ظاهر هذا القول نجد ان كارليل قد نسب القرآن الكريم الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا هو الشيء الذي انتقده عليه الباحثون، اما اذا تعمقنا في باطن القول فنعتقد ان كارليل كان يقصد في كلامه بان الكلمات التي تلقاها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من ربه عز وجل قد نفذت الى قلبه وآمن بها، وكلما كان الانسان مؤمنا بقضية ما عمل كل ما في وسعه من اجل تحقيقها وايصالها للآخرين، ولا أحد يستطيع انكار الجهود والاساليب التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر الدعوة السلامية، ونتيجة لذلك فقد وجدت طريقها الى قلوب الناس، من جانب آخر نحن نؤمن بان هناك آيات في القرآن الكريم لو اخذناها على ظاهرها لاحتملت غير معنى، فعلى سبيل المثال قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ((يد الله فوق ايديهم))<sup>(١)</sup>، فظاهر الاية يدل على ان لله سبحانه وتعالى يد، بينما تفسير هذه الاية يدل على غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

في هذا القول لا يرمي الباحث الدفاع عن المستشرق (كارليل) بقدر ما يحاول الوصول الى الحقيقة التاريخية، لان كارليل وان كان يحتمل الجانب السلبي في قوله فهو شان غيره لا يغير من حقائق الإسلام شيء. ولكن يجب ان يعطى لكل ذي حق حقه.

(١) الفتح /١٠.

(٢) اورد الفخر الرازي في تفسيره لهذه الاية معنيين، الاول ان (يد الله) بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله، اما المعنى الثاني فهو ان نصره الله اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه، فيقال اليد لفلان، أي الغلبة والنصرة والقهر. ينظر، الفخر الرازي، التفسير الكبير،

ولا يمكن ان يقل المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون ( Gustave Lebon ) شأنًا عن كارليل، نظرا للصراحة التي تمتع بها واعترافه بالدور الذي مارسه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء الدولة العربية الإسلامية، ويظهر ذلك جليا من خلال كتابه (حضارة العرب).

وصف لوبون حال الامم الاغريقية الرومانية والاسيوية وقت ظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بانها كانت فاقدة لمثلها العليا منذ زمن طويل، ولم يبقَ لِحُب الوطن وعبادة الالهة اثر في نفوس ابنائها، لذلك اصبحوا عاجزين عن مقاومة قوم اخرين مستعدين للتضحية بانفسهم في سبيل معتقداتهم<sup>(١)</sup>. ويقصد لوبون بالقوم الاخرين هم المسلمين.

واشاد لوبون بالانجاز الذي حققه النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- للشعوب العربية التي وصفها لوبون بانها ((لا عهد لها بالمثل العليا)) وعد هذا الانجاز ((من الخيالات لا ريب)) على حد تعبيره، الى الدرجة التي يعتقد لوبون بان هذه الخيالات اقوى من الحقائق، وازاف بان اصحاب النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- لم يترددوا في التضحية بانفسهم في سبيل المثل العليا، طامعين في الجنة التي لا يعادلها شيء من متاع هذه الحياة الدنيا<sup>(٢)</sup>.

ويعزز لوبون نظريته المنصفة بتوضيح الانجاز العظيم الذي حققه الإسلام والمتمثل بالوحدة التي منحها للشعوب التي خضعت لسلطانه، فمنح تلك

(١) ينظر، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، ط٣ (القاهرة -

١٩٥٦)، ص١٣٢.

(٢) ينظر، حضارة العرب، ص١٣٢، ١٣٣.

الشعوب مصالحا واما لا مشتركة ووجه جهودها نحو غرض واحد مع انها كانت ذات مصالح مختلفة قبل ذلك<sup>(١)</sup>.

ولا ريب ان ما ذكره غوستاف لوبون من وصف للدين الإسلامي وللرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يعبر عن اعجابه الشديد بهما، وللتاثير الكبير الذي احدثه الإسلام في المجتمعات العربية والامم المجاورة التي اضلت طريقها للوصول الى معرفة خالق السموات والارض. وعلى العكس من الاراء المتحاملة على الإسلام، التي اظهرته بانه من مؤثرات المسيحية او اليهودية التي اوضحنا بعضها في المبحث الاول.

اما المستشركة الالمانية (زيغريد هونكة) فتري بان رفعة الإسلام يمكن الاستدلال عليها من خلال حث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس على طلب العلم، فقالت بصدد ذلك: ((لقد اوصى محمد كل مؤمن رجلا كان او امرأة بطلب العلم، وجعل من ذلك واجبا دينيا فهو الذي يقول للمؤمنين: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) ويرشد اتباعه دائما الى هذا فيخبرهم بان ثواب التعلم كثواب الصيام وان ثواب تعليمه كثواب الصلاة))<sup>(٢)</sup>.

لقد ميزت هونكة بين عالين مختلفين تمام الاختلاف في قوامهما الفكري والعلمي وفي رؤيتهما للحياة والكون، هما الإسلام والغرب وبهذا الاختلاف قد اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشائخة والمعرفة السطحية المعاصرة في اوربا، واكدت هونكة بان ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني لم يكن في

(١) حضارة العرب، ص ١٣٣.

(٢) ينظر، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضوني وكمال دسوقي، (بيروت

الحقيقة عامل انقاذ لحضارتها، بل كان عائقاً لها، وتعتقد هونكة بانه كانت امام الاوربيين فرصة كالعرب، بل ان فرصتهم كانت اكبر، وتمثل هذه الفرصة بالرجوع الى التراث الاوربي القديم وحيائه وتطويره من اجل صعود سلم الرقي<sup>(١)</sup>.

ويبدو ان هونكة قد شخصت احد الاسباب التي ادت الى انحسار الحضارة الاوربية امام الحضارة الإسلامية، ويمكننا ان نضيف سبباً جوهرياً اخرأ قد يغيب عنها، وهو ان ما يملكه المسلمون لا يملكه الاوربيون، فالمسلمون يعتقدون الدين الإسلامي الذي يعد القرآن دستوراً للحياة عندهم وينظرون الى القرآن على انه حاو لكل ما يحتاج المسلم معرفته من تنظيم للعلاقة فيما بينهم او مع الاخرين انطلاقاً من قوله تعالى ((وما من دابة في الارض ولا طير بجناحه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون))<sup>(٢)</sup>.

وتتطابق وجهة نظر المستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) (M.Rodinson) مع ماذهبت اليه هونكة بشأن الإسلام وتأثيره على الحياة، فقد وصفه بالقول:

((ان الإسلام نظام وعقيدة واسلوب حياة، ونظرة شاملة للكون والانسان))<sup>(٣)</sup>.

(١) شمس العرب، ص ٢٧١.

(٢) الانعام / ٣٨، ينظر، تفسير القمي لهذا المقطع من الاية، الذي يوضح فيه بان الله سبحانه وتعالى لم يترك شيء في الكتاب الا وضحه للانسان، ثم بعد ذلك الى الله يرجعون، ج ٢٠٦/١.

(٣) Rodinson,Maxime,Mohomet ,P.٨٧.

ومن بين المستشرقين الذين اخلصوا للحقائق العلمية والتاريخية الى الحد الذي جعله يعتنق الدين الإسلامي، هو المستشرق النمساوي (ليوبولد فايس Leopold weiss) المعروف باسم (محمد أسد)، الذي أعجب بالإسلام ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنقذه الإسلام بأسلامه، فكتب بتجرد تام، وفي معرض حديثه عن الإسلام، ذكر بانه كان يتعرض لسؤال يتكرر عليه بعد حين واخر يتعلق بالاسباب التي دعته يعتنق الإسلام، وقد لخص اجابته على ذلك السؤال بقوله: ((ولا استطيع اليوم ان اقول أي النواحي قد استهوتني اكثر من غيرها، فان الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة وكل اجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً فليس هناك شئ لا حاجة اليه وليس هناك نقص في شيء، فتتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص. ولعل هذا الشعور من ان جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض ((قد وضعت مواضعها)) هو الذي كان له اقوى الاثر في نفسي))<sup>(١)</sup>.

ويبدو ان انطباع المستشرق (ليوبولد فايس) عن الإسلام ناتج من عدم كونه اصبح مسلماً وانما يكمن في ايمانه المطلق بالاسباب التي ادت به الى الإسلام. اما المستشرق الانكليزي (لين بول ستانلي Lane - poole,S) فقد افاد بوصف دقيق وعادل خص به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم -، ومما قاله: ان محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الاخلاق، حتى ان الانسان لا يستطيع ان يحكم عليه من دون ان يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من اثر، ومن دون ان يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل

(١) ينظر، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط٤ (بيروت -



او هوى ، كيف لا وقد احتمل محمد عداء اهله وعشيرته اعواماً، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة، وبلغ من نبه انه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحته، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وانه لم يمر بجماعته يوماً، رجالاً كانوا ام اطفالاً، دون ان يقرئهم السلام، وعلى شفثيه ابتسامه حلوة، وفي فيه نغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعها، وتجذب القلوب الى اصحابها (جذباً)<sup>(١)</sup>.

ان المتمعن في هذا القول يجد بوضوح مدى تعلق هذا المستشرق المنصف بشخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا شك ان هذه النظرة نابعة من احساس داخلي قد لا نجده الا عند المسلمين، من جانب اخر في هذا القول تنفيذ لكل الدراسات الاستشراقية التي حاولت المساس باخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والنيل من الرسالة الإسلامية السمحاء.

ولم يكن (لين بول) هو المستشرق الوحيد الذي اشاد باخلاقيات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ان هناك العديد من المستشرقين، ونكتفي بذكر ما قاله المستشرق الانكليزي (بول Ballz)، فقد رفض اتهامات كتاب التراجم والسير من الاوربيين الذين تكلموا عن سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتحفظوا عن تشويه هذه السيرة، كاتهامهم له بالقسوة<sup>(٢)</sup>، واكد (بول) بان هذه التهمة غير جدية بالاعتبار كسائر الاتهامات، لاننا اذا رجعنا الى التاريخ وحكمناه في المسالة على حدى تعبير بول، لتبين لنا ان القسوة لم تكن قط

(١) علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط ٣ (القاهرة - ١٩٦٨)، ١/٦٦.

(٢) العباسي، محفوظ، الغرب نحو الدرب باقلام مفكره، (بغداد - ١٩٩٠)، ص ٧٩.

من اخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد ساق لنا (بول) دليلاً على ذلك، وهو المعاملة الحسنة التي ابداهها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للاسرى بعد غزوة بدر (٢هـ) وتسامحه مع اعدائه وصبره على اذاهم وعطفه على الاطفال والمرضى<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق الامريكى (ايرفينج) فقد اصدر كتابا بعنوان (محمد وخلفائه) وقسمه الى تسعة وثلاثين بابا، والابواب مقسمة الى فصول، وابتدا بوصف احوال العرب وجزيرتهم قبل الإسلام، ثم تطرق الى ولادة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته ونشره للإسلام وحروبه، حتى وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان دقيقا في سرده للاحداث واستخدم طرائق البحث العلمي، بعيدا عن التعصب، مما جعله يسير على خطى المستشرقين المنصفين، وقد ختم كتابه بكلمات تستحق ان نذكرها في هذا البحث من الاطروحة جاء فيها:

((واخيرا نجد ان من الصعب حتى على المنكرين لرسالته (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينكروا عليه صدق شعوره الذاتي فيها، ولا ان ينكروا سمو توجه القرآن الكريم وصدقه وما يتضمنه من حكمه وشموليته كلية بكل زمان ومكان تأسر قارئه، ولا يمكنها ان تكون موجهة لغرض او اغراض ارضية واهداف نفعية فقط))<sup>(٢)</sup>.

وينقل لنا احد الباحثين اقوال مجموعة من المستشرقين بشأن الإسلام والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونكتفي بشهادة واحد منهم.

(١) العباسي، الغرب نحو الدرب، ص ٧٩.

(٢) ايرفينج، واشنطن، محمد وخلفاؤه، ترجمة الدكتور هاني يحيى، المركز الثقافي العربي،

(بيروت، ١٩٩٩)، ص ٤٦٣.

فقد اشار المستشرق الفرنسي (بلاشيه Blachere) الى ان النبي محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) يعد من ابرز رجال التاريخ، فقد قام بثلاثة اعمال عظيمة دفعه واحدة وهي: ((انه احيا شعبا، وانشأ امبراطورية، واسس ديناً))<sup>(١)</sup>. ويقول المستشرق الفرنسي (موريس بوكاي)، ((ان الاحكام المغلوطه تماماً التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حيناً وعن التسفيه العامد حيناً اخر. ولكن اخطر الابطال المنتشرة تلك الى تخص الامور الفعلية. واذا كنا نستطيع ان نغفر لاطياء خاصة بالتقدير فاننا لا نستطيع ان نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة. بل اننا لنصاب بالذهول عندما نقرأ في اكثر المؤلفات جديّة اكاذيب صارخة برغم ان مؤلفي هذه المؤلفات هم بالمبدأ مؤلفون اكفاء))<sup>(٢)</sup>.

(١) زكريا، هاشم زكريا، المستشرقون، (مصر - ١٩٦٥)، ص ١٦٥.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، ط٤(بيروت-١٩٧٧م).

# الفصل الثاني

## مناهج المستشرقين

### في دراسة شخصية الإمام علي (عليه السلام)

- المبحث الاول: أسبقية الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام.
- المبحث الثاني: زواج الإمام علي (عليه السلام).
- المبحث الثالث: الإمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن.
- المبحث الرابع: الصفات الشخصية للإمام علي (عليه السلام).
- المبحث الخامس: شجاعة الإمام علي وفروسيته (عليه السلام).



## مدخل

سلك المستشرقون الذين تناولوا شخصية الإمام علي (عليه السلام) ودوره في الدفاع عن الإسلام ونشره في مناطق كانت القاعدة لنشر الإسلام الى ما وصل اليه من بقاع شتى فيما بعد، منهجاً يكاد لا يختلف عنه في دراستهم عن الرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، من حيث اهتمامهم بجوانب عدة تمحورت حول شخصية الإمام علي (عليه السلام)، ابتداءً من طفولته واسلامه وزواجه واخلاقه وشجاعته في المعارك التي اشترك فيها من قبل توليه الخلافة وفي اثنائها، وكذلك ماجرى من احداث في خلافته والمتمثلة في الحروب ضد الناكثين والقاسطين والمارقين والتي سيتم الحديث عنها في الفصل الرابع من الاطروحة بعون الله، يضاف الى ذلك توضيح المؤامرة التي ادت الى استشهاده وانتقال روحه الطاهرة الى بارئها عز وجل.

الذي يهمنا توضيحه هنا ان الدراسات الاستشراقية التي تناولت هذه الجوانب من شخصية الإمام علي (عليه السلام)، كانت ضمن كتابات المستشرقين في التاريخ العام للإسلام، والخاص في احداث السيرة النبوية ولم تنفرد دراسة مختصة في شخص الإمام علي (عليه السلام)، عند المستشرقين في حدود علم الباحث، لذلك سنحاول في هذا الفصل اجتزاء بعض الجوانب التي ركز عليها المستشرقون في مؤلفاتهم فيما يخص الإمام علي - عليه السلام - واثره في احداث التاريخ الإسلامي وعلاقته بالسيرة النبوية الشريفة من وجهة نظرهم.

وبالنظر لتعدد جوانب الموضوع فقد رأى الباحث ان يتناوله من خلال خمسة مباحث متفاوتة في مادتها.

## ((المبحث الاول))

### أُسْبُقِيَّةُ الإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي الإِسْلَامِ

ياتي في مقدمة الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في اثناء حديثهم عن الإمام علي (عليه السلام)، هو كيفية اعتناقه الإسلام وفيما اذا كان أول أو ثاني أو ثالث من آمن بالدعوة الإسلامية، وقد اختلفوا في هذا الامر شأنهم شأن بعض مؤرخينا المسلمين، بسبب اعتمادهم في تبيان ذلك على ما ورد في بعض المصادر الإسلامية.

لقد ذكر المستشرق كارليل قولاً يمكن ان نستشف من خلاله بانه اراد ان يبين بان الإمام علياً (عليه السلام) هو اول من آمن بدعوة النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فقال كارليل بصدد ذلك:

((وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب علي (كرم الله وجهه)، وكان غلاماً في السنة السادسة عشرة وكان قد اغاضه سكوت الجماعة فصاح في احد لهجة انه ذلك النصير والظهير...))<sup>(١)</sup>.

واشار كارليل الى هذا القول في اثناء حديثه عن دعوة لرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عشيرته لدخول الإسلام وضرورة احتضانهم الدين الجديد الذي قدم من خلاله الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه

(١) ينظر، محمد المثل الاعلى، ترجمة محمد السباعي، المكتبة الاهلية، ط٢ (بيروت - د. ت)،

امتيازات لم يقدمها احد من قبله، ولكنه لم يلق اسجابه سوى من ابن عمه الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

وقد اطر كارليل حديثه بكلمات تتصف بالاعجاب بشخصية الإمام علي (عليه السلام)، ولا يقل في قوله هذا عما قاله بحق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بينا ذلك في الفصل الاول من الاطروحة، ويبدو انه سلك المنهج نفسه واستخدم المعايير نفسها في تقييمه للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام). واضاف كارليل قائلاً:

((اما علي فلا يسعنا الا ان نحبه ونتعشقه، فانه فتى شريف القدر، كبير النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجده وحماسة، وكان اشجع من ليث، لكنها شجاعه مزوجة بركة ولطف وحنان، جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى، وقد قُتل في الكوفة غيلة، وانما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله، حتى حسب كل انسان عادلاً مثله، وقال قبل موته حينما أومر في قتاله: ((ان اعش فالامر لي، وان أمت فالأمر لكم، فان اترتم ان تقتصوا فضربة بضربة، وان تعفوا اقرب الى التقوى))<sup>(١)</sup>.

واقطفى المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه Etienne Dinet) اثر كارليل واستخدم نفس المنهج عند معالجته موضوع دخول الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام وعده اول من آمن برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال، وكذلك في وصفه لشخصية الإمام علي (عليه السلام)، فقد قال (اتيين دينيه):

(١) محمد المثل الاعلى، ص ٣٤.



((وكان اول من آمن برسالته من الرجال: (علي بن ابي طالب)، وكان يومئذ ابن عشر سنين))<sup>(١)</sup>.

واضاف دينيه: ((فاندفع واقفاً - ناسياً ما تفرضه عليه التقاليد لصغر سنه بين هؤلاء الاشراف، وصاح وقد ملاه الحماس (انا يارسول الله وزيرك))<sup>(٢)</sup>.

وذكر (دينيه) تفاصيل دعوة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - قومه لوليمة الطعام التي اعدھا، والعرض الذي قدمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم من اجل دخول الدين الإسلامي، ولكنهم تخلفوا عن ذلك ولم يلبوا دعوته باستثناء الإمام علي (عليه السلام) الذي وصفه (دينيه) بقوله:

((اصبح علي بن ابي طالب بفضل اخلاصه المتناهي وشجاعته التي لا تقاوم وحرصه الشديد على طاهر السجايا، احد ابطال الإسلام المشاهير، غير ان فقره الشديد الزمه، يعمل اجيراً عند احد الملاكين من الانصار، فكان يقضي يومه بين الصلاة وري النخيل، ولم يكن باعماله المجيدة، اهلاً لتلك الحال المتواضعة، فجدير به ان يحتل مكانة سامية في اعين الناس))<sup>(٣)</sup>.

اما المستشرق الانكليزي (روم لاندو R. Landau) فقد ذكر ان النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - عمل على نشر دعوته بين اصدقائه المقربين وانسابه وذلك بعد نزول الايات الاولى من القران الكريم. وكان فيهم الإمام

(١) محمد رسول الله، ترجمة، عبد الحلیم محمود، مطبعة دار الكتاب، ط ٣ (مصر - ١٩٥٩)، ص ٩٤.

(٢) محمد رسول الله، ص ١٠١.

(٣) محمد رسول الله، ص ١٩٩.

علي -عليه السلام- ابن عمه وصهره، فضلاً عن ابي بكر (رضي الله عنه) خليفته الاول<sup>(١)</sup>.

وقد وصف (لاندو) الإمام عليا (عليه السلام) بانه: ((امسى رمز التجسد عند الشيعة، ﴿وهو﴾ ابو الحسين، واعظم شهيد شيعي))<sup>(٢)</sup>.

وكان المستشرق الروماني (جورجيو) قد تحدث عن الموضوع نفسه، حيث ذكر بان السيدة خديجة (رضي الله عنها) زوجة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اول من آمنت بدعوته وتلاها في الايمان ابن عمه الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وحاول (جورجيو) اثبات بان الوقت الذي أسلم فيه الإمام (عليه السلام) هو قبل حادثة الوليمة التي اعدّها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لافراد عشيرته واقربائه حينما دعاهم لأعتناق الإسلام.

وقال بصدد ذلك: ((اختلف القسم الاخير من هذه الرواية عما ذكره جمهور علماء المسلمين، لان علياً اسلم قبل الوليمة بحين من الزمان، وذكرنا بانه كان ثاني من اسلم))<sup>(٣)</sup>.

وتطرق جورجيو الى دور المسلمين الاوائل في الدعوة الإسلامية، الذين اقتصرهم على ثلاثة افراد حتى السنة الثالثة للهجرة، فبالإضافة الى السيدة خديجة

---

(١) ينظر، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٦٢)، ص ٣٤.

(٢) الإسلام والعرب، ص ٨٦.

(٣) ينظر، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ترجمة الدكتور محمد التونجي، الدار العربية

للموسوعات، (بيروت - ١٩٨٣)، ص ٧٤، ٧٥

(رض) والإمام علي (عليه السلام)، ذكر ثالثاً لهما وهو الصحابي زيد<sup>(١)</sup>، وأوضح ان الإمام علي (عليه السلام) قد اسلم في الوقت الذي لم يوافق احد على الدخول في الدين الجديد ولم يقبل بدعوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سواه، الذي نهض وقال حسب تعبير (جورجيو):

((انا استجيب لدعوتك، وأؤمن بالله))<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الانكليزي (ارنولد T.W.Arnold) فيذكر اقوالاً متناقضة بشأن ترتيب اوائل الذين اسلموا، فهو ينقل بحق الخليفة ابو بكر (رض) قولاً للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر فيه: ((ان كل الذين دعوتهم الى الإسلام كانوا مترددين ومرتبكين ومهزوزين الا ابا بكر الذي عندما دعوته الى الإسلام لم يتأخر ولم يتردد))<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن ارنولد قد اخذ برواية ابن اسحاق التي نقل فيها قولاً عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفاده: ((ما دعوت احداً الى الإسلام

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل (او شرجيل) الكلبي، صحابي، اشترته خديجة بنت خويلد ووهبته للنبي حين تزوجها، فتبناه قبل الإسلام واعتقه ثم زوجه بنت عمته، واستمر الناس يسمونه (زيد ابن محمد) حتى انزلت آية ((ادعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله ﴿الاحزاب/٥﴾))، استشهد في غزوة (مؤتة) عام (٨هـ)، ينظر في ترجمته، الزركلي، الاعلام، ٥٧/٣.

(٢) نظرة جديدة، ص٧٤-٧٥.

(١) Arnold.T.W, the preaching of Aslam , London , constable ,compong , ltd , ١٩١٣ ,P.١٣.

الا كانت عنه كجوة وتردد ونظر الابا بكر ما عتم حين ذكرته له وما تردد  
فيه))<sup>(١)</sup>.

بينما يذكر في موضوع اخر بأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)  
بدأ بدعوة ابناء عشيرته المقربين وعرض عليهم الامر طالباً منهم الاستجابة،  
((فصمت الجميع الا علي الذي صاح بحماس صياني، يا نبي الله انا سوف  
اعينك))<sup>(٢)</sup>.

ولم يعط ارنولد رأياً محدداً بشأن اول من اسلم وهذا ناتج من تأثره بما  
ورد في بعض مصادرنا الإسلامية ومن بينها ما ذكره ابن اسحاق (ت ١٥١هـ) وابن  
هشام (ت ٢١٨هـ) والطبري (ت ٣١٠هـ) وغيرهم دون تحليل للنصوص التي  
اعتمدها.

ووقع المستشرق الانكليزي (بودلي Bodley , R.V.E) في التناقض  
نفسه الذي ميز كتابات (ارنولد) بخصوص موضوع الاسبقية في الإسلام، حيث  
ذكر بان اخفاء النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا قليلين على  
الرغم من كثرة معارفه، ولم يكن له الا ثلاثة اخفاء بعد زوجته خديجة (رضي  
الله عنها)، وقد وصفهم (بودلي) بانهم كانوا يختلفون كل الاختلاف في الطباع  
والسن والماضي، وكان علي (عليه السلام) وهو ابن ابي طالب وابن عم محمد  
(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تبناه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) ابن اسحاق، السيرة ص ١٣٩.

Arnold , the preaching of Aslam , P.١٣ ,١٤ .(٣)

ليخفف عن عمه الذي كانت له عائلة كبيرة، وكان علي (عليه السلام) فتى في الرابعة عشرة من عمره ويتدفق حيوية ويتمتع بقوة جسمانية<sup>(١)</sup>.

ولم يشر (بودلي) الى الشخصين الاخرين الذين وصفهم باخصاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن المحتمل اراد بهما خديجة وزيد بن حارثة.

واضاف (بودلي) في موضوع اخر من كتابه (الرسول حياة محمد)، بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في اول الامر صريحاً على عدم اعلان الدعوة وعدم الافصاح عما جرى له في غار حراء ولم يقص النبأ الا على علي (عليه السلام) وزوجته خديجة (رضي الله عنها) وابن عمها ورقة بن نوفل وزيد بن حارثة، وانه ما قص ذلك على زيد ولكن وجوده بين ابويه في الدار جعله يسمع ما يدور بينهما. اما الإمام علي (عليه السلام) فقد عرف الامر مصادفة، فقد دخل يوماً فوجد النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة (رضي الله عنها) يصليان صلاتهما الجديدة، وعلى الرغم من ان علياً (عليه السلام) شب على الوثنية الهاشمية على حد تعبير (بودلي) فانه لم يتوان في دخول دين ابن عمه<sup>(٢)</sup>.

وتطرق (بودلي) الى الحادثة التاريخية التي وضحت استجابة الإمام علي (عليه السلام) لنداء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما دعى قومه

(١) بودلي، الرسول حياة محمد، ص ٦٧

(٢) ينظر، حياة محمد، ص ٨١.

لدخول الإسلام، وإشارة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن علياً (عليه السلام) سيكون وصياً له<sup>(١)</sup>.

وادلّى المستشرق الامريكى (ارفنجج W.Irving) بدلوه فيما يتعلق بموضوع الاسبقية في الإسلام، وقد اورد لنا دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقومه وحديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: ((قد جئكم بخير الدنيا والاخرة، وقد امرني ربي ان ادعوكم اليه، فايكم يجيبني الى هذا الامر ويؤازرني عليه، فيكون وصيي ووزيرى ويكون اخي؟؟)) ويذكر (ارفنجج): ((ظل بعضهم صامتاً... واخيراً قطع علي هذا الصمت وصاح مدفوعاً بحماسة الشباب، متناسياً صغر سنه وقله خبرته حيث قال: ((انا يارسول الله وزيرك))، حيثئذ احتضن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وضمه الى صدره وقال: ((ها هو ذا وصيي ووزيرى، ها هو ذا اخي))<sup>(٢)</sup>.

واشار (ارفنجج) الى ان هناك روايات كثيرة تدور حول الموقف البطولي للإمام علي (عليه السلام) حينما بات في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند خروجه من مكة الى المدينة<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تقييم المنهج الذي اتبعه (ارفنجج) في عرضه للأحداث التاريخية الخاصة بالإمام علي (عليه السلام)، بانه استخدم بعض المصطلحات التي حاول من خلالها توضيح الدور المميز الذي مارسه الإمام علي (عليه السلام) في نصرته

(١) حياة محمد، ص ٨٦

(٢) محمد وخلفاؤه، ص ٦٥، لغرض الاطلاع على تفاصيل هذه الاحادثة، ينظر، الطبري،

تاريخ، ٣٢١/٢.

(٣) ينظر، محمد وخلفاؤه، ص ١١٧.

النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اجل تثبيت اركان الدين الإسلامي، مثل ((الشاب الكريم)) و((المؤمن الصالح)) و((المخلص)). وهذا مما يجعلنا نميل الى ان المستشرق (ارفنج) كان اكثر موضوعية من غيره.

اما المستشركة البولونية (يوجيناغيانه) فقد قالت عن الإمام علي (عليه السلام) بانه رابع الخلفاء الراشدين وهو اول من اسلم من الصبيان، وكان اول قاضٍ ولاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القضاء في اليمن، وقد تربي في بيت النبوة وانتشرت احكامه وفتاواه، ونقلت هذه المستشركة قول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ((لولا علي لهلك عمر))، لان عمر كان يستشير الإمام علي (عليه السلام) في الامور المهمة والمستعصية<sup>(١)</sup>.

ولكن المستشركة (يوجينا غيانه) انتقدت بعض غلاة الشيعة بقولها:

((لكن بعض غلاة الشيعة اخذوا كثيراً من علمه بالكذب عليه وارادوا ان ينفعوا فضروا))<sup>(٢)</sup>. دون ان تعطي نماذج معينة من الروايات التي حاول المغالون فيها المبالغة في ابراز فضائل الإمام علي (عليه السلام). وفي الواقع ان الغلو قد وقع في كثير من الصحابة (رضوان الله عليهم). وان ما خصت المستشركة الشيعة به يعد باطلا طالما هناك الكثير من التماثل في الصحابة الاخرين.

وتناول المستشرق الالماني (جرهارد كونسلمان) جوانب من شخصية الإمام علي (عليه السلام) باقتضاب بدءاً من طفولته وتربيته في بيت النبي محمد

(١) شتيفسكا، تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، منشورات المكتب التجاري للطباعة، (بيروت-١٩٦٦)، ص ٥٦.

(٢) تاريخ الدول الإسلامية، ص ٥٦.

(صلى الله عليه وآله وسلم) ودوره في مساندته وصولاً إلى خلافته وحروبه التي خاضها ضد الخارجين عن سلطته.

وبدأ (كونسلمان) حديثه عن الإمام علي (عليه السلام) بذكر حادثة ميته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال في هذا الصدد: ((فكان علي قد رقد في سرير النبي وكله ثقة بكلام الرسول، ولقد نام ليلة آمنة بعد وعد محمد (صلى الله عليه وسلم) له بأنه لم يمسه سوء))<sup>(١)</sup>.

وأراد (كونسلمان) بعد ذلك التعرّيج على طفولة الإمام علي (عليه السلام) بالقول: ((وإما علي فقد تعلم ان يثق بمحمد (صلى الله عليه وسلم)). فلقد اقام في بيت محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ كان طفلاً. وقد كان أبوه أبو طالب من الفرع الفقير بقبيلة قريش، ولذا أصابته هو وأهله الفاقة على نحو خاص عندما حلت أزمة اقتصادية بتجار مكة... وكما روي فقد حصل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على اذن ابي طالب بضم علي اليه، وقد حدث هذا في وقت لم يكن محمد (صلى الله عليه وسلم) قد سبب ضيقاً لأهله بعد، بمحاولة تحويلهم عن إلتهم ودعوتهم لعبادة الله. في هذا الوقت كان لا يزال وحيداً في إيمانه بالله الواحد القهار))<sup>(٢)</sup>.

وحاول (كونسلمان) ان يجعل من ضم الإمام علي (عليه السلام) لبيت النبوة لغرض في نفس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو كسب ود عمّه

(١) كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة محمد ابو رحمة، مكتبة مدبولي، ط ٣ (القاهرة - ٢٠٠٤م)، ص ٦؛ ينظر الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٧٢، ٣٧٤ لمعرفة تفاصيل هذه الرواية.

(٢) سطوع، ص ٦ ينظر الطبري، تاريخ، ٢/ ٣١٢/ ٣١٣، لمطابقة روايته مع ما ذكره كونسلمان.



ابو طالب وابناء عمومته من اجل دخول الدين الجديد، وفكرة (كونسلمان) هذه غير موفقة، لان انضمام الإمام علي (عليه السلام) الى بيت النبوة قد حدث في وقت لم ينزل الوحي على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ، وكما ورد ذلك في بعض مصادرنا التاريخية.

فقد اشار ابن اسحاق (ت ١٥١هـ) الى ذلك بقوله: ((وكان مما انعم الله به على علي انه كان في حجر الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل الإسلام))<sup>(١)</sup>. وذكر كل من ابن هشام (ت ٢١٨هـ) والطبري (ت ٣١٠هـ) نفس الرواية مما يعني بأنهما قد اقتبساهما من ابن اسحاق<sup>(٢)</sup>.

وخاض (كونسلمان) نقاشاً بالاعتماد على مصدر مهم من مصادر السيرة النبوية، الا وهو كتاب سيرة ابن اسحق، لمعرفة تسلسل الإمام علي في الإسلام، فذكر في بداية حديثه بان الإمام علي (عليه السلام) كان اول انسان آمن بالإسلام بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، اما كيف حدث ذلك، فنقل لنا (كونسلمان) حديث ابن اسحاق الذي يقول فيه: ((ذكر احد العلماء، انه عندما كان يحين وقت الصلاة، كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يخرج الى شعاب مكة وكان علي يصحبه دون علم بقية افراد الاسرة. فكانا يؤديان هناك صلاتهما، ويعودان مع حلول الليل الى البيت))<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة، ص ١٣٧.

(٢) ينظر، ابن هشام، السيرة، ١ / ٤٢٥، ٤٢٦، الطبري، تاريخ، ٣١٢/٢، ٣١٣.

(٣) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ٦، ٧.

وذكر (كونسلمان) في موضوع آخر بان خديجة (رض) زوجة النبي محمد (صلى اله عليه اله وسلم) قد سبقت الإمام علي (عليه السلام) في الايمان بالله<sup>(١)</sup>.

وان صحت هذه الرواية فهذا امر طبيعي ان يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كشف سر دعوته لزوجته اولاً ومن ثم اقرب الناس اليه في داره، وابن عمه الإمام علي (عليه السلام).

واورد (كونسلمان) قولاً بالمعنى وليس بالنص للإمام علي (عليه السلام) مفاده انه (عليه السلام) قال:

((عندما كنت صبياً كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يضعني في حجره ويضمني الى صدره واحياناً كان يمضغ الطعام ويطعمني اياه، وكنت اتبعه كما تتبع الفرس امها. وكان كل يوم يعلمني شعيرة يجب على المسلم اتباعها، ويأمرني بالالتزام بها، ولم تكن حينذاك عائلة قد آمنت بالإسلام، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوجته خديجة المؤمنتين الوحيدتين، وكنت انا ثالثهم. ولقد رأيت نور الوحي وتبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرسالة، وقد سمعت ايضاً ولولة الشيطان اثناء نزول الوحي على محمد (صلى اله عليه وسلم) فسألته يارسول الله ما هذا الصراخ، فكان يجيب انه الشيطان الذي يثس من اتباعه، وانت تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست رسولاً))<sup>(٢)</sup>.

وبهذا الكلام الذي اقتبسه (كونسلمان) من قول الإمام علي (عليه السلام)، يكون بذلك قد ايقن بان الإمام علي (عليه السلام) هو ثاني من اسلم

(١) ينظر، سطوع، ص ٨.

(٢) كونسلمان، سطوع، ص ٨، ٩.

بعد خديجة (رضي الله عنه) زوجة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويؤكد بانهما كانا يشكلان نواة الإسلام في مكة<sup>(١)</sup>.

وبعد ان عرضنا لآراء بعض المستشرقين في مسألة اسبقية الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام نذكر هنا آراء المؤرخين القدامى والمحدثين في هذه المسألة باقتضاب وذلك لغرض الموازنة بين الفريقين، نجد الترمذي في سننه وبسنده عن ابي حمزة وهو رجل من الانصار، انه قال: ((سمعت زيد بن ارقم (ت ٦٨٨/هـ ٦٨٧م)<sup>(٢)</sup> يقول:

((أول من اسلم علي))<sup>(٣)</sup>.

وذكر النيسابوري في مستدرکه بسنده عن سلمان<sup>(٤)</sup> (توفي في خلافة عثمان)، قال:

(١) سطوع، ص ٨.

(٢) زيد بن ارقم: هو احد ابناء الحارث، من الخزرج، يكنى ابا سعد، وأول غزوة شهدها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي المريسع، نزل الكوفة وبنى فيها داراً، وتوفي فيها عام ثمان وستين، ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦ / ٩٦؛ العسقلاني، الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، تحقيق، صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت - ١٤١٥ / ١٩٩٥ م)، ٣ / ٢١٤.

(٣) ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٩٨٢.

(٤) سلمان الفارسي، يكنى ابا عبد الله، اسلم عند قدوم النبي المدينة وكان قبل ذل يقرأ الكتب ويطلب الدين كان عبداً لقوم من بني قريظة فكاتبهم، فاعتقه رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واسلم وكانت اول مشاهدة له غزوة الخندق، وكان ينزل الكوفة وتوفي في المدائن في خلافة عثمان، ينظر في ترجمة، ابن سعد، الطبقات، ٦/٩٥.

((قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((او لكم وارداً عليّ الحوض اولكم اسلاماً علي بن ابي طالب))<sup>(١)</sup>.

وذكر في مصادر اخرى بان الدعوة الإسلامية بدأت سرا، وكان أول من آمن بها هو الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) من الرجال وشهد نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم تبعه اخرون، وبعد ثلاث سنين نزلت الآية الكريمة: ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))<sup>(٢)</sup>.

فامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام) باعداد مأدبة طعام خاصة، ليجتمع ال عبد المطلب فيبلغهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالته، وفي اليوم الاول تعذر عليه ذلك بسبب ضجيج ابي لهب ولغظه، ثم عاد عليهم ذلك في اليوم التالي، وبعد فراغهم من الطعام، بدأ كلامه بحمد الله تعالى وانتهى منه ولم ينهض احد لتلبية نداءه والايان برسالته السماوية الى علي بن ابي طالب، حيث قام وصرح بذلك، فاجلسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتكرر هذا الموقف في المرة الثانية والثالثة، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للامام علي (عليه السلام):

(١) المستدرك، ص٣٤٦، حديث ٤٧٢٠، الهيثمي، الحافظ علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع

الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدروشي، (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ٩ /

((اجلس فانت اخي ووصيي وخليفتي من بعدي))<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن الاثير (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) هذه الحادثة التاريخية وتضمنت نهاية حديثه قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام):

((ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب، قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع))<sup>(٢)</sup>.

واشار بعض المؤرخين والباحثين الى ان الإمام علي (عليه السلام) لم يشرك بالله مطلقاً، وكان من بين هؤلاء المؤرخين، المقرئزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذي ارجع السبب في ذلك هو رعاية الله سبحانه وتعالى للإمام علي (عليه السلام) بان جعله في كفالة ابن عمه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) نقل هذه الحادثة بطرق مختلفة كل من: ابن حنبل، احمد (ت ٢٤١هـ)، المسند، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤١٣/ ١٩٩٣)، ١/ ١٣٨، الطبري، تاريخ، ٣٢١/٢، الكنجي، ابو عبد الله محمد بن يوسف (قتل ٦٥٨هـ) كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ط ٣ (بيروت - ١٤٠٣هـ)، ص ٢٠٥-٢٠٧، باب ٥١؛ الحلبي، علي بن برهان (ت ٩٧٥هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الامين والمأمون، دار المعرفة، (بيروت - ١٤٠٠/١٩٨٠م)، ٤٦٠/١، ٤٦١، البلخي، سليمان بن ابراهيم الحسيني القندوزي (ت ١٢٧٠هـ)، ينابيع المودة، تحقيق علاء الدين الاعلمي، (بيروت - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ص ١٣٢، باب ٣١.

(٢) عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،

ط ٤ (بيروت ١٤٢٤ / ٢٠٠٣م)، ٢ / ٥٨٦.

منذ الطفولة، وعندما جاء الإسلام فلم يحتاج ان يدعى، لانه لم يكن مشركاً حتى يوحد<sup>(١)</sup>.

وقال العقاد: ((وكاد علي ان يولد مسلماً، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق اذا نظرنا الى ميلاد العقيدة والروح، لانه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الاصنام، فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة من صلاة النبي))<sup>(٢)</sup>.

وذكر الخطيب بان الإمام علي (عليه السلام) قد ولد مسلماً على الفطرة، اذ انه تربى منذ طفولته في بيت النبوة التي عصمت كل من كان في هذا البيت من شرك الجاهلية وضلالها<sup>(٣)</sup>.

وبمهنية المؤرخ يدلون (جورج جرداق) المسيحي بدلوه ليشير الى ان الإمام علي (عليه السلام) قد وُلد مسلماً، لانه من معدن الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- مولداً ونشأة، ومن ذاته خُلِقاً وفطرة، ثم ان الظرف الذي اعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإسلام ومن حقيقته، لم يكن شيئاً من ظروف

(١) ينظر، المقرزي، تقي الدين بن علي (ت ٨٤٥هـ)، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الاموال والاحوال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحسين النميسي، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤٢٠ / ١٩٩٩م)، ٣٣ / ١، ٣٤، الاميني، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، مؤسسة الاعلمي، (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ٢٩٥ / ٣؛ واورد الاميني مئة حديث اثبت فيه ان الإمام علي (عليه السلام) اول من اسلم، ينظر، الغدير، ٢ / ٢٧٣ - ٢٩٢.

(٢) عباس محمود، عبقرية الإمام علي، (بيروت - د.ت)، ص ٣٩.

(٣) ينظر، عبد الكريم، علي بن ابي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، (بيروت - د.ت)،

الآخرين. ولم يرتبط بموجبات العمر، لان اسلام علي كان اعمق من ضرورة الارتباط بالظروف اذ كان جارياً من روحه كما تجري الاشياء من معادنها والمياه من منابعها<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر، الإمام علي صوت العدالة الانسانية، (البحرين - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٦٠ - ٦١.

## ((المبحث الثاني))

### زواج الإمام علي (عليه السلام)

من الجوانب الأخرى التي اهتم بها بعض المستشرقين اهتماماً جانبياً هو موضوع زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان المستشرق الفرنسي (اميل درمنغهم) من بين اولئك المستشرقين، فقد ذكر بان قبول السيدة فاطمة (عليها السلام) بالزواج من الإمام علي (عليه السلام) كان نتيجة لحياثها من والدها (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن لقناعتها بالموضوع، واطاف بان السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت تعدُّ علياً: ((فقيراً رميمًا محدود الذهن مع عظيم شجاعة وما كان علي اكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك))<sup>(١)</sup>.

وتطرق (درمنغهم) الى وصف وقائع الزواج ومستلزمات الاعداد له، وذكر ان الإمام علي (عليه السلام) جمع ثلاثة ارباع تكاليف الزواج من بيع بعض مذكراته، وان جهاز فاطمة (عليها السلام) يقدر (٤٠٠) درهم، وكان صداقها درع الإمام علي (عليه السلام) الذي غنمه في معركة بدر الكبرى.

وزعم (درمنغهم) بان الحياة الزوجية للإمام علي (عليه السلام) مع السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت حياة بؤس منذ اليوم الاول وكانا من الفقرا

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٢٢٧.



خلا معه منزلهما من الفراش واستمرا على هذا الحال الى ان نالا بعض الثراء من الغنائم التي اصابها المسلمون في انتصاراتهم الكبرى<sup>(١)</sup>.

وتابع (درمنغهم) الوصف بان امور منزل الزوجين (عليهما السلام) المتعبة قد انهكت السيدة فاطمة (عليها السلام) مما دفعها ان تسأل اباها (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً ان يهديها رقيقاً ليعاونها في امور البيت، فاشار (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها بان تتلوا عند منامها دعاءً خاصاً، في الوقت الذي كان فيه علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعمل في سقي النخيل لاحد اليهود مقابل حنفة تمر، فاذا ما عاد قال لزوجته (عابساً: كلي واطعمي الاولاد)<sup>(٢)</sup>.

وبعد كل مشكلة كانت تحدث بينهما (عليهما السلام) يذهب لينام في المسجد بدلاً من ان يواجه مصاعبه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعظه ويحاول ان يوفق بينه وبين فاطمة الى حين، وحدث ذات يوم، والحديث لـ (درمنغهم)، ان رأى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة (عليها السلام) في بيته وهي تبكي بسبب ضرب الإمام علي (عليه السلام) لها<sup>(٣)</sup>.

ويعرج (درمنغهم) على ذكر العلاقة التي كانت بين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام)، بالقول: ((لكن محمداً مع امتداحه قدّم علي في الإسلام ارضاءً لابنته، كان قليل الالتفات اليه، لما كان من مداراة صهره الامويين عثمان المختار وابي العاص له اكثر من علي، وكان علي يتألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ومن عد النبي اياه قاصراً، فالنبي وان

(١) حياة محمد، ص ٢٢٩.

(٢) حياة محمد، ص ٢٢٩.

(٣) ينظر، حياة محمد، ص ٢٢٩.

كان يفوض اليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة له ولما اراد علي ان يتزوج على ضر غضب النبي واحتج على ذلك جهراً فوق المنبر، وقد حقد علي على حميه لانه لم يأذن له في الزواج بأخرى كما صنع مع صهره الاخرين))<sup>(١)</sup>.

ان ما ذكره (درمنهم) فيما يتعلق بالعلاقة بين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) من جانب، والعلاقة الزوجية للإمام علي (عليه السلام) مع فاطمة (عليها السلام) من جانب آخر، كان بعيدا عن الحقائق التاريخية، فلو تابعنا بعض الاحاديث النبوية التي خصت هذا الشأن تبين لنا خلاف ما ذكره او اعتقد به المستشرق (درمنهم).

فقد ورد عن ابن عباس (رض) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بحق الإمام علي (عليه السلام): ((من اراد ان ينظر الى ابراهيم في حلمه، والى نوح في حكمه، والى يوسف في جماله، فلينظر الى علي بن ابي طالب))<sup>(٢)</sup>.

وعن ابي ذر<sup>(٣)</sup> (ت ٣٢٢هـ)، قال:

- 
- (١) حياة محمد، ص ٢٣٠.
- (٢) الطبري، محب الدين (ت ٦٩٤ هـ)، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، (القاهرة - ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م)، ٢/ ٢٩٠.
- (٣) ابو ذر الفغاري، هو جندب بن جنادة، خامس من اسلم من اول من حيا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتحية الإسلام، هاجر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الشام ثم عاد الى المدينة بعد وفاة الخليفة عمر الخطاب (رض)، وكان يدعو الى مشاركة الفقراء للاغنياء في اموالهم، فنفاه الخليفة عثمان (رض) الى الربذة وهي قرية تابعة للمدينة، في الصحراء، وسكنها الى ان مات فيها، ينظر، الزكلي، الاعلام، ٢٢ / ١٤٠.

((اخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيد علي بن ابي طالب وقال: هذا اول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الاكبر، وهذا فاروق هذه الامة، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين))<sup>(١)</sup>.

ويمكن الاستدلال على عدم دقة كلام المستشرق (درمنغهم) المزعوم بخصوص تجنب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تسليم الإمام علي (عليه السلام) أية قيادة سوى تفويضه ضرب الرقاب، من خلال ما ورد في بعض مصادرنا التاريخية بشأن معركة خيبر، حيث تمنى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ان يكون قائداً للمقاتلين، وذلك حينما قال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله على يديه))، فتمنى كل واحد من الصحابة ان يعطية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية، وقال عمر بن الخطاب، في وقت لاحق، ما تمنيت الاماره الا تلك الليلة<sup>(٢)</sup>.

وفي صباح اليوم التالي دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصغر اصحابه وهو علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وكان ارمد العينين، انذاك، فسبق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهما فبرأتا باذن الله، ثم ناوله الراية

(١) الطبراني، ابو قاسم سليمان بن احمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق، حمدي عبد المجيد، ط ٢ (الموصل - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ٦ / ٢٢٩.

(٢) ينظر، الواقي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق مارسدن جونسون، ط ٢ (قم -

ففتح الله عليه<sup>(١)</sup>، ويذكر ان الإمام علي (عليه السلام) قد شهد كل غزوات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان الفتح على يديه عدا غزوة تبوك (٥٩هـ/٦٣٠م)، علماً ان هذه الغزوة كانت مدنية ولم يستخدم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها السيف.

وفيما يتعلق بزواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ورداً على ما ذكره (درمنغهم) نذكر ما رواه الكنجي (قتل ٦٥٨هـ) عن أنس ابن مالك (رض) (ت ٩٣هـ) قوله:

((قال: يا أنس تدري ما جاءني به جبرائيل من صاحب العرش؟ قلت: الله ورسوله اعلم بأبي وامي ما جاء به جبرائيل، قال ان الله امرني ان أزوج فاطمة علياً: انطلق فادع لي المهاجرين والانصار، قال فدعوتهم فلما اخذوا مقاعدهم قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): الحمد لله الحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرغوب اليه فيما عنده، المرهوب عذابه،...، ثم ان الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهراً، فامر الله يجري الى قضائه، وقضاؤه يجري الى قدرة، فلكل قدر اجل ولكل اجل كتاب (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام

(١) ينظر، الواقدي، المغازي، ٢/ ٦٥٤؛ ابو نعيم، احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط ٣ (بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ١/ ٦٢، ٦٣؛ الغفار، عبد الرسول (الدكتور)، الخبر اليقين في السيرة امير المؤمنين (عليه السلام)، (النجف - ١٠٩١٧هـ)، ص ٩-١٠.

الكتاب<sup>(١)</sup>، ثم ان الله امرني ان ازوج فاطمة لعلي، فاشهدكم اني قد زوجته على أربعمئة مثقال فضة ان رضى بذلك علي<sup>(٢)</sup>.

وكان الإمام علي (عليه السلام) غائباً قد سبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حاجته، ويشير الكنجي الى ان السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت تفخر على النساء لان اول من خطب عليها جبرائيل (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

وما ذكره المستشرق (درمنهم) من الوصف للعلاقة الزوجية بين الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، لم يكن دقيقاً، فعند الرجوع لمصادر التاريخ الإسلامي وبعض المراجع نجد في احداها ما يؤيد قولنا. فقد ورد قولاً للإمام علي (عليه السلام) بين فيه ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد ان زوجه فاطمة (عليها السلام)، قال لها: ((يابنية ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلعه فاختر من اهلها رجلين: فجعل احدهما اباك والآخر بعلك، يابنية، نعم الزوج زوجك لا تعصي له امرأ)).

وقال الإمام علي (عليه السلام): ((ثم صاح بي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا علي، فقلت لبيك يا رسول الله، قال: ادخل بيتك، وألطف بزوجتك، وارفق بها فان فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرنني ما يسرها، استودعكما الله واستخلفه عليكما<sup>(٤)</sup>)).

(١) الرد / ٣٩.

(٢) كفاية الطالب، ص ٢٩٨ - ٣٠١، باب ٧٨، ٨٠.

(٣) كفاية الطالب، ص ٣٠١، باب ٨٠.

(٤) المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، مؤسسة

الوفاء، ط ٢ (بيروت - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ٤٣ / ١٣٣، ١٣٤.

ثم اضاف الإمام علي (عليه السلام) بعد ذلك قائلاً:

((فو الله ما اغضبتها ولا اكرهتها على امر حتى قبضها الله عز وجل ولا اغضبتني ولا عصت لي امرأ ولقد كنت انظر اليها فتتكشف عني الهموم والاحزان))<sup>(١)</sup>.

ومن الشبهات التي اثارها المستشرق (درمنهم) حول العلاقة الزوجية بين الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، هو محاولة الإمام علي (عليه السلام) المزعومة في الزواج من جويرية بنت ابي جهل<sup>(٢)</sup>، وجاءت هذه القصة طبقاً لرواية مسور بن مخزومة<sup>(٣)</sup>.

وقد اثبت احد الباحثين بالادلة المقنعة بان هذه الرواية موضوعة<sup>(٤)</sup>، تضاف الى جملة روايات اخرى لوثت بعض مروياتنا الإسلامية، الهدف منها تشويه سيرة الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

(١) المجلسي، بحار الانوار، ٤٣/١٣٤.

(٢) للاطلاع على هذه الرواية ينظر، البخاري، الصحيح، ٣/١٣٦٤ حديث ٣٥٢٣.

(٣) بن نوفل القرشي الزهري، روى عن الخلفاء الراشدين (رض) وغيرهم من الصحابة (رض)، اشترك مع ابن الزبير في الثورة ضد الامويين، فاصابه حجر من حجارة المتجنين في حصار مكة عام (٦٤هـ)، مات على اثره، ينظر في ترجمة، العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، (بيروت - د. ت)، ٣/٣١٩، ٤٠٠، الزركلي، الاعلام ٧٥ / ٢٢٥.

(٤) مشهدي، جعفر، حياة السيدة فاطمة الزهراء، ترجمة رياض الاخرس، (بيروت - ١٤٢٢ /

(٢٠٠٢)، ص ١١٠-١١٢.

ويضيف هذا الباحث القول بأنه من الطبيعي جداً ان يحصل شيء ما يكدر صفو ما بين اعز الاصدقاء او بين أي زوجين، ولكن لا يمكن تصور ذلك من وجهة نظر العقيدة الشيعية بحق الإمام علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام)، اذ ان لهما مقام العصمة ومنزلتها، وما ينسب لهما من اختلاف يستدعي تدخل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهما لا يتناغم ولا يتفق مع تلك المنزلة والمقام<sup>(١)</sup>.

واشار باحث اخر الى ان ما ذكر من اقدام علي (عليه السلام) بان يخطب بنت ابي جهل، عدو الله المعلن بكفره، وعنده فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه حديث مفتعل وموضوع، ارادوا بذلك الحط من منزلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الامريكى (ارفينج) فقد تطرق الى زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة (عليها السلام) بالقول:

((تم زواج فاطمة، البنت الصغرى للرسول، من المؤمن الصالح علي بن ابي طالب وكانت فاطمة في الخامسة عشرة او السادسة عشرة من عمرها، على جانب كبير من الجمال، ويذكر المؤرخون العرب انها واحدة من اربع نساء باركهن الله. (آسيا زوجة فرعون التي انقذت موسى ومريم ام عيسى، وخديجة زوجة محمد، وفاطمة ابنة محمد))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، مشهدي، حياة السيدة فاطمة، ص ١٠٨.

(٢) معاش، كمال (الشيخ)، فاطمة بين النبوة والإمامة، (بيروت - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ١٢٠.

(٣) محمد وخلفاؤه، ص ١٣٣.

وواصل (ارننج) وصف مراسيم الزواج، فذكر بان السماء والارض قد شاركتا في الاحتفال بهاتين الزيتين المباركتين، وازدانت المدينة بالانوار ومظاهر الابتهاج وفي ليلة الزفاف صحب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته الى بيت زوجها، وارسلت السماء ملائكة للمشاركة في الاحتفال، فوقف جبرئيل (عليه السلام) عن يمينها وميخائيل (عليه السلام) عن شمالها، وتابع (ارننج) التفصيل في نوع الطعام الذي قدم للمدعوين وفراش الزوجين وغيرها من الامور، وختم كلامه بوصف هذا الزواج بانه كان يتفق مع بساطة البيت العربي<sup>(١)</sup>.

وحاول مستشرق آخر ان يجعل من شجاعة الإمام علي -عليه السلام- وايمانه وثقافته في الدفاع عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) السبب في موافقته على زواج الإمام علي (عليه السلام) من ابنته فاطمة (عليها السلام) التي عدها هذا المستشرق بانها واحدة من اربعة نساء في العالم لا يبارهن احد بالتقوى وهن امرأة فرعون ومريم العذراء وخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء (رضي الله عنهن)<sup>(٢)</sup>.

وركز المستشرق الانكليزي (شترن Stern) على مهر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وذكر في بداية حديثه بانه ليس من السهل الوصول الى رأي مقنع حول المهر الذي دفعه علي -عليه السلام- لفاطمة (عليها السلام) على الرغم من وجود احاديث اشارت الى هذا الموضوع لكن هذه الاحاديث ذات

(١) ينظر، محمد وخلفاؤه، ص ١٣٤.

(٢) بون، جان ديون، الاعتذار محمد والقرآن، ترجمة عباس الخليلي، مطبعة الاقبال،



اختلافات كثيرة بسبب التحيزات السياسية والدينية لاولئك الذين نقلوا تلك الاحاديث، ويذكر احد الاحاديث ان عليا (عليه السلام) باع جملاً بمبلغ (٤٨٠) درهماً واستغل هذا المبلغ كمهر لفاطمة، وقام باتباع تعليمات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صرف المبلغ، حيث انفق ثلثي المبلغ لشراء عطور والثلث الباقي لشراء التجهيزات المنزلية او الملابس، واورد شترن رواية اخرى عن عكرمة بن ابي جهل<sup>(١)</sup> حدد فيها المهر ب (٤) دراهم وهو ثمن درع الإمام علي (عليه السلام)، وتابع (شترن) عرض روايات اخرى ليصل في نهاية نقاشه لهذه المسألة

(١) عكرمة بن ابي جهل (ت ١٣هـ)، هو ابو عثمان عكرمة بن ابي جهل عمرو بن هشام القرشي كان ابوه يكنى بالجاهلية أبا الحكم فكانه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا جهل، وكان عكرمة وابوه من اشد الناس عداوة للإسلام، فقتل ابوه يوم بدر كافراً، اما عكرمة فقد اسلم بعد الفتح بقليل، ولما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس الاربعة كان عكرمة احدهم، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة، فاضطر الى الهروب عن طريق البحر. وتعرضت السفينة التي يستقلها الى عاصفة، فقال اصحاب السفينة للركاب اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم شيئاً، حينها قرر عكرمة الدخول في الإسلام والاعتذار من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حال نجاته من المأزق الذي حاق به، ولكن ذلك لم يتم الا بعد ان وصل اليمن ولحقت به زوجته بعد ان حصلت على الامان له من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاءت به واسلم وحسن اسلامه واستعمله النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقات هوازن عام حجة الوداع، وشارك في المعارك ضد اهل الردة في زمن الخليفة ابو بكر (رض)، وقتل في اجنادين عام (١٣هـ)، ينظر في ترجمة كل من، النووي، ابو زكريا محي الدين (ت ٦٧٦هـ)، تذهيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت - د.ت)؛ ١ / ٣٣٨، المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف، تذهيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، (بيروت - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م)، ٢٠ / ٢٤٧، الزركلي، الاعلام، ٤ / ٢٤٤.

الى القول: ((وبناءً على هذه المعلومات المضطربة، يحتمل ان مهر فاطمة كان اكثر من (٤) دراهم ولكن اقل بكثير من (٤٨٠) درهم))<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق الانكليزي (وليم ميور William Muir) فقد تطرق الى زواج الإمام علي -عليه السلام- من السيدة فاطمة (عليها السلام) فيذكر انها، عندما بلغت السابعة عشر من عمرها زوجها ابوها (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإمام علي بن ابي طالب الذي كان عمره انذاك خمسة وعشرين عاماً، وانجبت له خلال سنة الإمام الحسن (عليه السلام) وبعد ذلك بسنة انجبت الإمام الحسين (عليه السلام)، الذين قال عنهما (ميور) بانهما من الشخصيات المشهورة في الإسلام وذكر (ميور) بان السلالة المحمدية قد دامت من خلال فاطمة (عليها السلام)<sup>(٢)</sup>.

وكان المستشرق الفرنسي (الفريد جيوم A. Guillaume) قد خص موضوع زواج الإمام علي (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقوله: ((وتزوجت فاطمة علياً، وتزوجت ام كلثوم عتبة، واهم هذه الزيجات هو زواج فاطمة بعلي. اذ ان احفاد الرسول من هذا الفرع يجعلون بصفة خاصة، كما ان الشيعة ينظرون الى سلالة علي وفاطمة على انهم الورثة الحقيقيون للخلافة، بما يستتبعه هذا المنصب من ميزات دينية ودنيوية))<sup>(٣)</sup>.

(١) Gertrude, H. Stern, Marriage in Early Islam, London. W.I, ١٩٣٤, P. ٤٧, ٤٩, ٨٩

(٢) Sir William Muir, Muhomet and Islam, The Religious Tract Society, ٥٦ □

Pateenoster, ٦٣ sr, Paul's Cruencyasd, P. ٨٧, ٨٩, ١٠٣.

(٣) الإسلام، ترجمة محمد مصطفى، (القاهرة - ١٩٥٨)، ص ٢٨.

## ((المبحث الثالث))

### الإمام علي (عليه السلام) وجمع القرآن

هناك جانب آخر قد ذكره بعض المستشرقين يتعلق بدور الإمام علي (عليه السلام) في مسألة جمع القرآن وترتيبه، فقد اشار المستشرق (غوستاف لوبون) الى ان القرآن لم يجمع نهائياً الا بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحاول توضيح ذلك بقوله: ((وبيان الامر ان محمداً كان يتلقى في حياة عدة نصوص عن الامر الواحد، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الرابع علي على قبول نص نهائي للقرآن مقابل ما جمعه اصحاب الرسول))<sup>(١)</sup>.

واشار المستشرق الانكليزي (دونلدسن D.M.Donaldson) الى موضوع يتعلق بجمع القرآن وهو انه كان عند الإمام علي (عليه السلام) نسخة من القرآن، جمعها ورتبها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشي، وهذه الحواشي التي على نسخته هي كما يعتقد (دونلدسن) كل ((ما ادعاه علي)) مما اوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن عنده غيرها، وكانت حقيقة هذه الصحيفة التي كان الإمام علي (عليه السلام) يراجعها تائيراً على اعتقاد الشيعة بوجود كتاب سري يسمونه (الجفر).

ويناقش (دونلدسن) موضوع كتاب (الجفر)<sup>(٢)</sup> بقوله: ((اذا كان عُمرُ علي بين العشرة والخامسة عشرة عند أول اسلامه وانه كان يعرف الكتابة كما

(١) حضارة العرب، ص ١١٧.

(٢) الجفر: هو عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً، وهو علم توارثه اهل البيت (عليهم السلام) ومن ينتمي اليهم، وكانوا

تذكر الروايات، فليس ببعيد الاحتمال ان يكون عنده قرآن علق حواشيه بما حدثه به الرسول. وان ما جاء في هذه الحواشي قد بينته الروايات بصورة عامة، فهي عبارة عن بعض تفاصيل للاحكام وغيرها لا غموض او سر فيها ولا علاقة لها بما يدعيه الشيعة من الادعاءات المرتبة في الازمنة المتأخرة عن كتابة الجفر<sup>(١)</sup>.

ومن الروايات المتأخرة التي نقلها (دونلدسن) ما ذكره الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩هـ) من ان ((النبى (صلى الله عليه وسلم) علم علياً باباً يفتح له منه الف باب)) وان طول هذه الصحيفة، وهي بخط الإمام علي (عليه السلام)، سبعون ذراعاً بذراع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيها توضيح كل ما هو حلال وحرام وكل شيء يحتاجه الانسان<sup>(٢)</sup>.

وحاول المجري (جولد تسيهر IGNAZ Goldziher) ان يقف موقفاً مناقضاً لما ذكره (غوستاف لوبون) حيث قال: ((وبناءً على حديث صنعه الشيعة،

يكتمنونه عن غيرهم كل الكتمان، ويذكر ان هذا الكتاب لا يقف على حقيقته الا المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، لغرض معرفة اكثر بهذا الموضوع، ينظر، طاش كبري زاده، احمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت - ١٤٢٢/٢٠٠٢م)، ٢ / ٥٥٠؛ العاملي، محسن الامين، اعيان الشيعة، (بيروت - ١٩٦٠)، ١ / ٢٤هـ. مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف، (بيروت - د.ت)، ص ٥٦.

(١) دوايت م. دونلدسن، عقيدة الشيعة، ترجمة، ع. م، مكتبة السعادة، (مصر - د.ت)، الصفحات، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٢) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٦٥.

رتب علي القرآن على سبع مجموعات)) وعلى رأس هذه المجموعات سورة البقرة، والمجموعات هي<sup>(١)</sup>.

١ - سورة البقرة ٢ - سورة آل عمران ٣ - سورة النساء ٤ - سورة المائدة ٥ - سورة الأنعام ٦ - سورة الأعراف ٧ - سورة الانفال

وتطرق المستشرق (كونسلمان) الى الموضوع نفسه بقوله: ((ويروى ان ((علياً)) قام بترتيب بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) مباشرة بعد موت النبي المفاجئ فقد كانت ورقات من القرآن مبعثرة على الموائد والرفوف. وقد احسن علي بانه مسؤول عن ترتيب وتامين هذه الاوراق))<sup>(٢)</sup>.

وللامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) أثر في جمع القرآن لم يغفاه علماء الحديث والتاريخ الإسلامي، فهو الذي كتب القرآن وخطه بيده ودون آياته على عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبأشرافه وهو الذي اختاره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كاتباً له، وكان يتلو عليه الآية بعد الآية ويكرر قراءتها ويسأله علي (عليه السلام) عن مؤداها وسبب نزولها واين نزلت<sup>(٣)</sup>. وقال الإمام علي (عليه السلام) بعد ذلك: ((ما من آية الا وقد علمت

(١) اجنس، جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م)، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) سطوع نجم الشيعة، ص ١٥.

(٣) ينظر، الساعدي، نعمة هادي، الإمام علي ومدرسة القران، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ج ٢ / ص ١٩.

فيمن نزلت واين نزلت في سهل او جبل وان بين جوانحي لعلمنا جما سلوني قبل ان تفقدوني فانكم ان تفقدوني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي))<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) بسنده عن عبد الرحمن بن بشر الانصاري قال: كنا جلوساً مع النبي (صلى الله عليه وسلم) اذ قال: ((ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله، فقال ابو بكر: انا هو يا رسول الله، قال: لا، فقال عمر: انا هو يا رسول الله، قال: لا ولكن خاصف النعل، فانطلقنا فاذا علي يخصف نعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجرة عائشة فبشرناه))<sup>(٢)</sup>.

وهناك اختلاف واضح في مصادرنا الإسلامية حول من جمع القرآن، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يتقصى هذا الموضوع اعتماداً على أدلة مادية بالرجوع الى النصوص الاصلية او الحكم على ذلك بالادلة العقلية.

فقد اشار القمي الى النصوص الدالة على ان اول من جمع القرآن هو الإمام علي (عليه السلام)، اعتماداً على ما ورد من رواية جاء فيها: ((ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق علي فجمعه في ثوب اصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، الامالي المطبوعة

الحيدرية، ط ٣ (النجف - ١٣٨٠هـ / ١٩١٦م)، ص ٩٨.

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٢ / ٣٩٢.

ارتدي حتى اجمعه، فانه كان الرجل لياتيه فيخرج اليه بغير رداء حتى جمعه))<sup>(١)</sup>.

وروى المتقي الهندي عن ابن سيرين<sup>(٢)</sup> (ت ١١٠هـ) قال:

((لما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) اقسام علي ان لا يرتدي برداء الا الجمعة، حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل))<sup>(٣)</sup>.

وحدد احد الباحثين اربعة معان لكلمة الجمع، الاول هو الحفظ في الصدور، والثاني هو جمع القرآن بمعنى الكتابة والثالث بمعنى الحفظ مكتوباً خشية الضياع اما المعنى الرابع فهو الجمع ضمن مصحف واحد. وقد اختلف الباحثون في ذلك، فيرى اغلب علماء الجمهور ان هذا الجمع قد تم عهد الخلفاء الراشدين، مع اختلاف بينهم في تحديد الخليفة الذي تم الجمع في عهده، اعتماد على عدد من النصوص التي رووها في مصادرهم.

وخلص هذا الباحث الى القول: (ويبدو من مجموعة النصوص ان توحيد المصاحف قد تحقق في عهد عثمان بن عفان بعد ان تعددت مصاحف الصحابة وتميزت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم))<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير القمي، ج ٢ / ٤٥٥ عند تفسيره لسورة الناس.

(٢) هو محمد بن سيرين البصري، الانصاري بالولاء، تابعي، ولادته ووفاته في البصرة، روى الحديث واشتهر بالورع وتفسير الرؤيا له كتاب ينسب له بعنوان (تعبير الرؤيا) واخر عنوانه (منتخب الكلام في تفسير الاحلام)، وينسب له ايضاً، ينظر في ترجمته، الزركلي، الاعلام، ١٥٤/٦.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣ / ٥٦.

وهذا ما دفع باحث آخر الى القول بان: ((كل هذه الامتيازات بما فيها ما اكده المستشرقون تتضمن تلويحاً خفياً، بل تصريحاً جلياً بان القرآن قد مرت عليه عهود وعصور وهو بعد لم يدون، وانما دون بعد ذلك اعتماداً على نصوص قد تكون ناقصة او ممزقة، وعلى روايات شفوية قابلة للخطأ والسهو والنسيان، للقول من وراء هذا بالتحريف، وهو ما نرفضه جملة وتفصيلاً))<sup>(٣)</sup>.

ومن الجدير بالملاحظة والانتباه ما قاله المستر كرينكو الانكليزي الجنسية والاستاذ في احدى الجامعات الهندية بشأن كتاب نهج البلاغة الذي عده اخاً صغيراً للقرآن عندما اجتمع الاساتذة والادباء حوله في حفلة وسألوه عن اعجاز القرآن فاجابهم: ((ان للقرآن اخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة، فهل في امكان احد ان ياتي بمثل هذا الاخ الصغير، حتى يسوغ لنا البحث عن الاخر الكبير، وامكان ان ياتي احداً بمثله))<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) الحكيم، رياض، علوم القرآن دروس منهجية، المركز الإسلامي المعاصر للدراسات والترجمة والنشر، (بيروت - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ص ٢١٤ - ٢١٩.
- (٢) الصغير، محمد حسين (الدكتور)، تاريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، (بيروت - ١٤٢٠ / ١٩٩٩م)، ص ٨٤.
- (٣) بيضون، لبيب (الدكتور)، الاعجاز العددي في القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت - ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).



## ((المبحث الرابع))

### الصفات الشخصية للإمام علي (عليه السلام)

من الموضوعات المهمة التي اولها المستشرقون عناية هو بيان صفات الإمام علي (عليه السلام) وتقييم شخصيته، فقد عبر المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه) (Masse.H) عن ذلك بقوله: ((لقد كان دور علي وصفاته، ولا يزالان، موضع مناقشة. فالبعض «يعده» شجاعاً والبعض الآخر كرجل عادي جداً وعلى كل حال فان سياسته معتدلة كسياسة جميع افراد ذريته، ووجهه للسلم قد اضاعه كما اضاع كثيرين من غيره فقد ترك ملكه يتنزح منه بسبب التشدد وعدم المهارة ولكن صفات الفارس المنزه عن الخوف واللوم والمزاج المثالي الذي اسبغه التقليد عليه، والشقاء الذي أرقهه - بدون ان يضاف الى ذلك المآسي التي حاقت بذريته - ان كل هذا الامر قد ظفر له اكيل شهيد - ويجب ان لا نندهش من الإسلام الشيعي الذي يعتبره قديساً، بينما الصوفيون يحيطونه بحبهم وبعض الهراطقة يذهبون الى تأليهه))<sup>(١)</sup>.

ان اهم ما يمكن تشخيصه من خلال كلام (ماسيه) حول الإمام علي (عليه السلام)، هو انه حاول انصاف الإمام وكان ذلك واضحاً في كثير من عبارته التي ساقها لنا، ولكن هذا لا يمنع من وقوعه في بعض الاحكام المخطوءة التي تحسب عليه وكان من ابرزها وصفه للإمام علي (عليه السلام) بعدم المهارة وان حبه للسلم هو الذي اضاع منه ملكه، ولا نستغرب هذا الوصف لان المستشرقين ينظرون الى الإمام علي (عليه السلام) كأبي فرد يكون معرضاً للنقد،

(١) الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، (بيروت - ١٩٦٠م) ص ٦٦.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن جنوح الإمام علي - عليه السلام - للسلام كان بدافع الحفاظ على وحدة المسلمين، في الوقت الذي كانت وحدة الإسلام تمر بمرحلة حرجة من حياتها، ولو كانت غاية الإمام علي (عليه السلام) المُلْك ما سكت عن حقه في الخلافة لغيره.

وحاول المستشرق (دونلدسن) الوقوف على بعض فضائل الإمام علي (عليه السلام) فبصدد ذلك قال ((ولسوء الحظ انه لما صنفت كتب الحديث من الصحاح الستة او الكتب الشيعية الاربعة، كان مركز علي في الأقاويص الشيعية قد احاطت به هالة من الاساطير ولناخذ مثلاً ما جاء من شجاعته في الحروب، فيروى انه قتل في صفين (٥٢٣) رجلاً في يوم واحد))<sup>(١)</sup>.

ويواصل (دونلدسن) حديثه عن الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((لا بد لنا ان نتهياً لسماع روايات مبالغ فيها تختص بمزايا علي الاخرى))، ونقل لنا قول ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) في حق الإمام علي (عليه السلام)، الذي قال فيه: ((لم ترد رواية بفضل احد من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقدر ما ورد في فضائل علي))<sup>(٢)</sup>.

وذكر (دونلدسن) بان فضائل الإمام علي (عليه السلام) كانت من الكثرة ما اثار حسد بني امية وكرههم له، اما امر اعتماد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه اعتماداً خاصاً فيعترف به الجميع، ويروى ان النبي (صلى

(١) عقيدة الشيعة، ص ٦١.

(٢) ينظر، دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٦١.

الله عليه وآله وسلم) عندما خرج الى غزوة تبوك ابقاه في المدينة وقال له: ((اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى))<sup>(١)</sup>.

وعلى كل حال والكلام (لدونلدسن)، فان الإمام علي (عليه السلام) اذا كلف ببعض الواجبات الادارية الخطيرة كانت اجوبته تفضح عن شعور الشباب وتردد التواضع. وساق (دونلدسن) مثالا لذلك وهو حادثة بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي (عليه السلام) ليكون قاضياً على اليمن، وكيف ان الإمام (عليه السلام) قد تردد في بداية الامر ولكن دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له قد دفعه لتولي هذا الامر. وذكر (دونلدسن) بأن عمر بن الخطاب نفسه كان يعد علياً اقضى اهل المدينة واقرأهم للقرآن<sup>(٢)</sup>.

واكد (دونلدسن) بالقول: (لم يكن ما بلغه علي في الاساطير من المنزلة السامية يرجع الى شجاعته في الحروب ولا لعلمه ولا لعقله وحكمته. فهو لا يقاس بالقدسين وله كرامات لا يتردد شيعته من مقارنتها بالمعجزات... وقد رد الله له الشمس في الصهباء بعد ان غربت ليتم صلاة العصر. ورد الإمام (عليه السلام) في مسجد الكوفة يد عبد اسود قطعت بأمر منه حين يقتضيه الشرع للسارق... وأحيا ميتاً، وظهر بعد وفاته بقرون عديدة في المنام ومسح على عيون بعض الناصبيين فأعماهم))<sup>(٣)</sup>.

وكانت اغرب حوادث تمجيد الإمام علي (عليه السلام) في نظر (دونلدسن) هي قصة الاسراء والمعراج، فبشأن ذلك قال:

(١) ينظر، دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٦٢.

(٢) ينظر، دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٦٢.

(٣) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٦٧.

((ان هذا الحادث هياً لخيال الرواة مجالاً خصباً لا روع الوصف لما رآه النبي وسمعه. ومن الظلم الفاضح ان نعتبر هذه المبالغات اموراً اعتقادية ضرورية. وان العلماء البارزين في مدرسة الإسلام الحديثة لا يرون في المعراج الا رؤيا))<sup>(١)</sup>.

ولو قيمنا ما ذكره (دونلدسن) نجد ان ظاهرة الشك كانت هي السائدة في كتاباته المتعلقة بالإمام علي (عليه السلام) او في بعض حوادث الإسلام، مثل حادثة الاسراء والمعراج التي حاول ان يصفها على انها مجرد رؤيا متأثراً براء بعض العلماء المسلمين الذين لم يحدد اسماءهم. ومن المحتمل ان (دونلدسن) اخذ برواية الرؤيا في الاسراء دون الجسد لانها اقرب الى عقيدته اذ ان غالبية المسلمين يعتقدون ان الاسراء بالروح والجسد.

اما اهم الامور التي اصاب فيها (دونلدسن) ما ذكره من ان فضائل الإمام علي (عليه السلام) كانت من الكثرة ما أثارت حسد بني امية وكرههم له. وكان المستشرق الالماني (فلهوزن) قد وصف الإمام علي (عليه السلام) بهذه العبارات: ((اما علي فقد كان لاصقاً به ان مصدر خلافته يرجع الى الثورة، ولم يكن لديه لا الزمن الكافي ولا المقدرة على التغلب على هذا النقص بصفات

(١) عقيدة الشيعة، ص ٦٧-٦٨ ، لغرض الاطلاع على طبيعة بعض التناقضات التي دارت حول موضوع الاسراء والمعراج، ينظر على سبيل المثال لا الحصر، الشمري، عباس وهب، الاسراء والمعراج بين العقل والوحي، دار القارئ، (بيروت - ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م)، ص ٥٩-١٢٩ ؛ ينظر، قانصو، هنادي مشهور، الاسراء والمعراج رحلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى السموات والارض، تحقيق الشيخ محمود قانصو، دار التيار الجديد، (بيروت - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٢٤.

شخصية ممتازة. ولم ينس اهل العراق انهم هم الذين رفعوه الى منصبه وكانوا ابعد عن روح النظام، اوهم كانوا اكثر تديناً من ان يطيعوا خليفتهم حيثما يوجههم))<sup>(١)</sup>.

ان التحليل المنطقي لما قاله (فلهوزن) يوضح بانه حاول ان يجعل من الإمام علي (عليه السلام) السبب الرئيس في الثورة على الخليفة عثمان بن عفان (رض)، وبذلك فهو يخالف الحقائق التاريخية التي وردت على لسان اغلب المؤرخين المسلمين او بعض المستشرقين، والتي اكدت بان السياسة التي اتبعها الخليفة عثمان (رض) وكانت من بين سماتها الاساسية هي محاباته لاقربائه الامويين واستأثارهم بالسلطة هي سبب النقمة عليه<sup>(٢)</sup>، هذا من جانب ومن جانب اخر فقد جرد (فلهوزن) الإمام علي (عليه السلام) من الصفات الشخصية الممتازة وذكر بان اهل العراق هم الذين أوصلوه الى الخلافة، والأنكى من ذلك فقد وصفهم بانهم كانوا على درجة من التدنن تفوقوا فيها على خليفتهم الذي حاول توجيههم حيثما شاء، وكانما من اجل مصالحه الشخصية لا من اجل تطبيق مبادئ الإسلام، وكل ما قاله (فلهوزن) لا يمت الى الحقيقة بشيء والدليل على ذلك ما جرى في معركة (صفين) التي سنحاول ايضاح احداثها في فصل لاحق

(١) فلهوزن، يوليوس، تاريخ الدولة الإسلامية من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريدة، مراجعة حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة - ١٩٥٨م)، ص ٥٧.

(٢) لمعرفة جانب من محابة الخليفة عثمان (رض) لاقربائه، ينظر، الطبري، تاريخ، ٤ / ٣٤٨، وللإمام باسباب نقمة الناس على الخليفة عثمان، ينظر، الشيخ المفيد، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (٤١٣هـ)، الجمل - النصر لسيد العترة في حرب البصره -، تحقيق علي مير، ط ٢ (قم - ١٤١٦هـ)، ص ١٧٥ - ١٨٥.

من الاطروحة، حيث نزل الإمام (عليه السلام) فيها عند رغبة اهل العراق رغم قناعته بان مصلحة المسلمين تتجه نحو مواصلة الحرب وعدم اللجوء الى التحكيم.

اما المستشركة الايطالية (فاغلييري Veccia Vaglirei) فقد وصفت الأمام علياً(عليه السلام) وصفاً يحمل صوراً واقعية فذكرت بان ليس هناك أي دليل يمكن من خلاله الحكم على ان الإمام علي (عليه السلام) كان متطرفاً، بل على العكس كان معادياً للسبائية، وهم اتباع عبد الله بن سبأ، الذين رفعوا الإمام علي (عليه السلام) فوق مستوى البشر، وحينها قام الإمام (عليه السلام) بالتخلص منهم، واكدت (فاغلييري) بأن الإمام علي (عليه السلام) حاول ان يبقى بعيداً عن الثوار ومناصريهم الذين حاصروا بيت عثمان (رض)، حالما سمحت اليه الظروف ان يقوم بذلك<sup>(١)</sup>.

واضافت (فاغلييري) بان الإمام علياً (عليه السلام) كان متمسكاً بالإسلام بشدة وحصل على ميزة السبق في الإسلام وقدم خدمات للإسلام في ايامه المبكرة بالاضافة الى سمو مولده (عليه السلام) ومقدرته السياسية والادارية، ومن خلال صراعه مع الحكومة كان يبغى تطبيق القرآن واتباع سنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) التي اهملت في رأيه، وبهذه السياسة او بسبب هدفه بالدفاع عن حق البيت الهاشمي بالخلافة كان ملزماً بمعارضة المبدأ الذي يعطي هذا الحق الى كل قبيلة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل قريش تقف ضده رغم انه منها.

(٢) L.Veccia vaglieri , the Encyclopaeda of Islam New Editiom , V.١ , P. ٣٨٢

وفي موضوع اخر نجد (فاغليري) قد نقلت قول لامنس حينما وصفت الإمام علي (عليه السلام) بعبارات قاسية تستحق ان تهمل<sup>(١)</sup>.

وعادت (فاغليري) لتبين انه من الصعب تعريف شخصية الإمام علي (عليه السلام)، لان الكاتب التاريخي لا يجد موجهها مؤكداً في افعال وخطب او بيانات الإمام التي تزودها المصادر، وتصف (فاغليري) بان ادارة الإمام علي (عليه السلام) كانت مشلولة او معدله وفقاً للأحداث او مقيدات انصاره، وتبدو خطبه غامضة وليس من السهل تمييز الاصيلي من المزور، وعزت (فاغليري) ذلك الى الصراعات التي اشترك فيها الإمام علي (عليه السلام)، واثارها التي كانت خالدة لقرون مما يجعل المصادر متحيزة ولذا تكون اقل مثالية، او عدائية مما تم التاكيد عليه او قد تكون اكثر تحفظاً<sup>(٢)</sup>.

وحاولت (فاغليري) انتقاد غيرها من المستشرقين امثال الايطالي (كيتاني)<sup>(٣)</sup> او

(لامنس)<sup>(٤)</sup>، فقد قالت: ((يعتبر الحكم العدائي (للامنس) خاصة فيما يتعلق بفاطمة ومعاوية الاول، والذي يصل اليه عن طريق انتزاع النصوص عنوة،

(١) L.Veccia vaglieri , the Encyclopaeda of Islam V.١ , P.٣٨٥.

(٢)

Ibid,V.١,P.٣٨٥

(٣) كيتاني (Leone Caetane ١٨٦٩ - ١٩٣٥)، مستشرق ايطالي وامير من آل كيتاني وهي اسرة من كبار الامراء في تاريخ ايطاليا الحديثة، واشتهر بكتابه (حوليات الإسلام)، الذي تناول فيه عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين، قام برحلات الى البلاد العربية. ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٤٩٣.

(٤) لامنس (Henri Lammens ١٨٦٢ - ١٩٣٧)، مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتر الى النزاهة في البحث والامانة في نقل النصوص وفهمها،

يعتبر حكماً مفروضاً. بينما (كيتاني) الذي يعتبر أكثر اعتدالاً، عندما يقوم بعرض نقاط ضعف علي، يعطي أهمية لثقل الظروف عليه، لكن حكمه يبقى يكتنفه الغموض، بشكل عام. لم يوضح كل من (لامنس، ولا كيتاني) تقوى علي (تدين علي) وانعكاساتها على سياسته<sup>(١)</sup>.

وتسترسل (فاغلييري) في كلامها عن الإمام علي (عليه السلام) وتذكر ان هنالك الكثير من الملاحظات حول تقشفه (= austerity) ومراعاته الدقيقة جداً للطبوس الدينية (الشعائر الدينية) وانعزاله عن المتع الدنيوية (المنافع الدنيوية)، وتردده فيما يخص الغنائم والثار (الانتقام).

بعد ذلك تواصل فاغلييري تقييمها لشخصية الإمام علي (عليه السلام).  
بالتقول:

((ليس هناك اسباب لاعتبار هذه الصفات مخترعة او مغالى بها لان كل افعاله كان يحكمها روح الدين، ولا يمكن تجاهل اخلاصه للاسلام باي حال وما كان له من اثر في نفسيته، لقد انشغل في حروب مع المسلمين الضالين واعتبره مسألة واجب لتقوية عرى الايمان والفوز بالهدى... وتكمن حقيقة سلوكه في طاعة الامر الالهي، لكن افكاره كان يحكمها ثقته المفرطة. ويحتمل ان يكون هذا هو السبب الذي دعا اعدائه ان يصفوه بال (Mahdud محدود) أي ضيق الأفق. ان علياً لا يستطيع ان يطبع نفسه مع الوضع الجديد والذي كان مختلفاً جداً عن

---

ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين. ينظر، بدوي، موسوعة المستشرقين ص ٥٢٠.

(٥) Vaglieri, the Encyclopaeda, V. ١, P. ٣٨٥.



الوضع في عهد محمد. لذا فهو تنقصه المرونة السياسية التي تعتبر من الصفات المبرزة لمعاوية))<sup>(١)</sup>.

وذكرت (فاغلييري)، بأنه من المحتمل ان الإمام علي (عليه السلام) قد اكتشف استحالة تحقيق برنامجه اليوطوبيا (فاضلاً او مثالياً) عندما صارت السلطة في يده، وقد اسهم هذا الاحساس وبالاشتراك مع الاحداث الخارجية في تثبيط عزيمته خلال سني حياته الاخيرة<sup>(٢)</sup>.

ونقلت (فاغلييري) وجهة نظر المستشرق (كايتاني Caetani) التي تقول بان الهالة نصف السماوية التي ميزت شخصية الإمام علي (عليه السلام) ليس نتيجة علاقته مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب بل من الانطباع الشخصي الذي تركه على معاصريه. وانتقدت (فاغلييري) كيتاني بأنه لم يشر الى الصفات التي جعلت من شخصية الإمام علي (عليه السلام) شخصية ملحمية<sup>(٣)</sup>.

وختمت (فاغلييري) حديثها عن الإمام علي (عليه السلام) بالوصف بأنه كان يمتلك روحاً دينية بشكل عميق وانه قام ومن خلال سلطته بدعم برنامج للاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، واضعاً في الوقت نفسه هذه الاصلاحات على اساس ديني<sup>(٤)</sup>.

من خلال ما كتبه (فاغلييري) بخصوص الإمام علي (عليه السلام)، يمكننا انتقادها من زوايا مختلفة اهمها:

(1) Vaglieri , Ency , V.١ , P. ٣٨٥

(٢) Ibid , P. ٣٨٦

(٣) Ibid , P. ٣٨٦

(٤) Ibid , V.١ , P.٣٨٦.

١ - حاولت (فاغليري) في حديثها ان تبرز الجوانب الايجابية في شخصية الإمام علي (عليه السلام) بوصفه ليس متطرفاً، ولكن الدليل الذي ساقته لم تكن موفقة فيه لان شخصية عبد الله ابن سبأ هي شخصية خيالية ورد ذكرها في اجاث عدد من المؤرخين<sup>(١)</sup>.

٢ - حاولت ان تبين بان موقف الإمام علي (عليه السلام) تجاه الثورة على الخليفة عثمان (رض) كان محايداً فيه، والواقع يشير الى ان الإمام (عليه السلام) اراد الحيلولة دون ذلك بوساطته بين الثوار والخليفة عثمان (رض)، ولكن لم تنجح بسبب عدم التزام الخليفة عثمان بالوعود التي قطعها للثوار، يضاف لذلك ان الإمام علي (عليه السلام) قد ارسل ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) من اجل حماية الخليفة ولكن سارت الرياح بما لا تشتهي السفن. وهذا ما تؤكد بعض مصادر التاريخ<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر، العسكري، مرتضى، الاسطورة السبئية كما تخيلها واختلقها سيف بن عمر، (بيروت ١٤٢٤هـ)، ص ٢٩- ٦٢؛ اما من يؤيد ان ابن سبأ حقيقة فينظر، عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ص ٥٧٨- ٥٩٣.

(٢) لمعرفة دور الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) في الدفاع عن الخليفة عثمان (رض)، ينظر، ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق علي شري، (بيروت - ١٩٠م)، ص ١٥٨، المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، دار احياء التراث العربي، (بيروت - د. ت)، ٢ / ٤٩٣. الهيثمي، ابن حجر (ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩)، ص ١٨٢.

٣ - بعد ذلك حاولت (فاغليري) ابراز بعض الخصائص المميزة للإمام علي (عليه السلام) عن غيره من الصحابة، ومن بينها مقدرته السياسية والادارية، بينما تجدها في موضع آخر تصف ادارة الإمام علي (عليه السلام) بانها كانت (مشلولة او معدلة وفقاً للاحداث او مقتضيات انصاره)).

٤- انتقدت (فاغليري) غيرها من المستشرقين من امثال لامنس وكيثاني.

٥- ذكرت في اثناء حديثها عن الإمام علي (عليه السلام) انه دخل في صراع مع ((المسلمين الضالين))، وقد يكون في هذا القول تعميم على كل المسلمين، او يفهمها البعض بهذا القصد، والاحرى بها ان تسميهم بالخوارج اسوة بغيرها من المستشرقين او مؤرخينا المسلمين.

٦- وصفت فاغليري الإمام علي (عليه السلام) بانه تنقصه المرونة السياسية التي ميزت معاوية بن ابي سفيان عنه، في حين ان الإمام علي (عليه السلام) نفسه قد اكد بان معاوية ليس بادهى منه، ولكنه استخدم الغدر والفجور، وهذا ما لا يتلاءم مع خط الإمام (عليه السلام) في تعامله مع الخصوم، ولا سيما انه لا يداهن في تطبيق مبادئ الإسلام حتى مع نفسه، وان مقولة الإمام (عليه السلام) بالمقارنة بينه وبين معاوية توضح سياسته وتضع معاوية على حقيقته.

قال الإمام علي (عليه السلام):

((ما معاوية بادهي مني لكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غدرّة فُجْرَة، وكل فُجْرَة كُفْرَة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما استغفلُ بالمكيدة، ولا أستغمزُ بالشديدة))<sup>(١)</sup>.

ان هذه المثالية الانسانية والواقعية قد تحلى بها الإمام (عليه السلام) في قبال الميكافيلية والغدر والابادة التي تحلى بها معاوية، فكيف اذاً لنا ان نساوي بين خصمين متناقضين في العقيدة والسلوك والانسانية.

وحاول المستشرق (أميل آيسن Emel Esin) وصف الإمام علي (عليه السلام) وصفاً معتدلاً، فقد قال:

((يمثل علي شخصية معقدة، ففارس الامة كما يسمى كان قد قدم توضيحات لا تعد ولا تحصى من اجل القضية التي آمن بها واعتنقها وقد كان عمره عشر سنوات، فقد كان بطلاً وشجاعاً وقد سماه محمد مرة ابي تراب، وكان علي صوفياً ومن حفظة القرآن وتميز بصوته العالي في الصلاة ولا يزال الكثير من الناس يقلدونه في هذا بينما يقلد اخرون ابو بكر بصوته الواطئ. ان هناك ميلافتيا الى علي فقد اتخذوه الرسامون في العصور الوسطى زبونا، وهناك مجلدات من الشعر الصوفي الذي ينسب اليه، عندما بويح علي للخلافة كان يبلغ من العمر خمسة

(١) نهج البلاغة، الخطبة، ٢٠٠، عبده، محمد، شرح نهج البلاغة دار المعرفة، (بيروت - د.ت)،

وخمسين عاماً، وهو داكن الشعر سمين، اصلع ذو عينين واسعتين ولا معتين وكان يرتدي دائما السواد ربما كإشارة لحزنه على محمد))<sup>(١)</sup>.

ان مذكره (آيسن) في بداية كلامه بوصف الإمام علي (عليه السلام) بانه ذو شخصية معقدة، باعتقادنا انه لم يقصد التقليل من شأنه وانما كان يقصد بذلك هو التزامه وتمسكه الشديدين في تطبيق مبادئ الدين الإسلامي، وغالبا ما يطلق صفة التعقيد على بعض الاشخاص المتدينين حتى في مجتمعاتنا الإسلامية.

ويطل علينا المستشرق (صموئيل كراهام Samuel Graham) حاملا صورة مشوهة عن الإسلام وعن الشيعة بالخصوص، فهو في الوقت الذي يتهم المسلمين بتأليههم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو يتهم الشيعة بتأليههم الإمام علي (عليه السلام)، فقد قال بصد ذلك ما يلي:

((في الإسلام الشيعي يرفع علي والائمة الاخرين الى مرتبة اللوهية لكن الإسلام الرشيد لا يقنع الا بتاليه محمد...، وهكذا فان ما تراه يحدث في بلاد فارس بالنسبة لعلي تراه يحدث في كل ارجاء العالم الإسلامي بالنسبة لمحمد))<sup>(٢)</sup>.

ان ما يصوره اكراهام عن المسلمين وعن الشيعة ما هو الا خيال من صنع افكاره ولا يمت الى مبادئ الإسلام او معتقدات الشيعة النابعة من الإسلام بشيء، حيث لا يوجد في الدين الإسلامي ما يشير الى ان المسلمين قد ألوهوا النبي

---

(٢) Emel Esin , Mecca the Blessed Madina, the Radian , Paul Eleck production Limited ١٩٦٣ , Istituto , Geografic De Agostini S.P.A , November ١٩٦٣ , .Print in Italy , P.١٢٤

(١)Graham,Samuel Wilson,Modern Movements among Moslems,London and Edinburgh,١٩١٦.(copywright,١٩١٦,by Fleming H.Revell Company),P.٢٧,٢٩.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك لم نقرأ في كتب التاريخ ان الشيعة الموجودين في بلاد فارس قد الهوا الإمام علي (عليه السلام)، لذلك ما ذهب اليه كراهام هو افتراء على الحقائق التاريخية. وكان على هذا المستشرق ان يدخل بين صفوف الشيعة ويقف على معتقداتهم واراتهم حول الأئمة وعند ذلك يتاح له الكتابة، ولكنه قد اعتمد على مصادر معادية للفكر الشيعي وقد روج لها السلفيون في كتبهم وهي عارية عن الصحة.

## ((المبحث الخامس))

### شجاعة الإمام علي وفروسيته (عليه السلام)

اولى المستشرقون اهتماما ملحوظا في شجاعة الإمام وفروسيته من خلال تطرقهم لبعض مواقفه مع الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او قيادته واشتراكه في الغزوات والمعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين من جانب او مع اليهود من جانب اخر، لذلك سنبين في هذا المبحث الجوانب التي ركز المستشرقون عليها في كتاباتهم المتعلقة في شجاعة الإمام علي -عليه السلام- في المعارك التي اشترك فيها لنشر الدين الإسلامي في الفترة التي سبقت توليه الخلافة.

في مقدمة المواقف البطولية التي اشار اليها بعض المستشرقين هو مييت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، في اثناء هجرته من مكة الى المدينة، وقد اشار المستشرق الفرنسي (جان بروا) الى هذا الموضوع بقوله:

((ترك النبي {صلى الله عليه وآله وسلم} على فراشه نهبا لسيوف المؤامرة البطل المضجعي والمؤمن الشاب ابن عمه وربيبه علي بن ابي طالب))<sup>(١)</sup>.

(١) محمد نابليون السماء، ترجمة، محمد صالح البندق، دار الانصاف للطبع والترجمة والنشر،

(بيروت - ١٩٤٧م)، ص ٥٤.

واشار المستشرق (ارفينج) الى ان هناك روايات كثيرة تدور حول خروج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان ترك مكانه ابن عمه المخلص علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي بات في فراشه<sup>(١)</sup>.

وذكر الكثير من مؤرخينا المسلمين حادثة مييت الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجعله في مقدمة الذين كان لديهم الاستعداد للتضحية في سبيل الإسلام ونيه (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٢)</sup>.

ومن بين المستشرقين الذين خصصوا حيزا في مؤلفاتهم لبيان بعض المعارك التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) الى جانب اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الاخرين، المستشرق (بودلي) فقد تطرق الى ذكر معركة بدر الكبرى، وبدأ بوصف الاعداد للمعركة والسجال الذي دار بين بعض المشركين والمسلمين، ثم قال: ((فما ان انتهى القريشيون من تعييرهم ﴿ذم المسلمين﴾ حتى برز من صفوف المسلمين علي يتالق في درعه وخوذته، وتبعه عبيدة بن الحارث ابن عم محمد، وحمزة... وبذلك كان الصناديد الثلاثة اقرب اقرباء محمد، وانهم لاكفاء لاطفاء عطش قريش الى دماء الهاشميين))<sup>(٣)</sup>.

واشار بودلي الى ان طلحة بن ابي طلحة حامل لواء المشركين في معركة احد كان اول من برز للنزال، وما ان خرج من صفوف جيش ابي سفيان حتى

(١) ينظر، محمد وخلفاؤه، ص ١١٧.

(٢) للاطلاع على تفاصيل هذه الحادثة، ينظر على سبيل المثال لا الحصر، المسعودي، مروج الذهب، ١٨/٣، ابن الاثير، الكامل، ٤/٢.

(٣) ينظر، حياة محمد، ص ١٩٠، ينظر، الواقدي، المغازي، ٦٨/١ لمطابقة هذه الرواية.



خرج له الإمام علي (عليه السلام) وابتدا النزال، وما كان لطلحة فرصة لان سيف علي (عليه السلام) قد تألق في شمس الصباح وطار رأس حامل اللواء طلحة عن كفيه واخذ يتدحرج على الرمال، فصاح النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الله اكبر))<sup>(١)</sup>.

واضاف بودلي القول، في بداية معركة احد تمكن المسلمون من دق اسفين في قلب جيوش قريش وكان كل من الإمام علي (عليه السلام) وحمزة - عليه السلام - وسيفهما البتارين يجولان في كل مكان مما اضطر العدو الى الانسحاب<sup>(٢)</sup>.

ولكن وبسبب الظروف التي رافقت سير المعركة فقد خسرها المسلمون واستشهد فيها الحمزة - عليه السلام - الى جانب مجموعة من الشهداء.

وتطرق (بودلي) الى معركة الخندق فوصفها بانها كانت حرجة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجاله، قد تقود الى الهزيمة ولكن تمكن الإمام علي (عليه السلام) ومجموعة من المسلمين من سد الثغرة امام المهاجمين، وبرز الإمام علي (عليه السلام) لنزال عمرو بن عبد ود العامري، الذي قال عنه بودلي:

(١) حياة محمد، ص ٢١٦، ينظر، الواقدي، المغازي، ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) حياة محمد، ص ٢١٨.

((فلما رأى المقاتل المحنك من برز له، ضحك، فقد كان يعرف علياً منذ كان طفلاً، وأنه لا زال يعتبره غلاماً، ولكن علياً لم تداخله رهبة بل هجم على المكي الذي كان قد ترجل ووقف ينتظراً....))<sup>(١)</sup>.

وتابع بودلي وصف وقائع النزال الذي دار بين الإمام علي (عليه السلام) وعمرو بن ود، بالاعتماد على المصادر الإسلامية ولكن دون الإشارة إلى أي مصدر، فذكر بان عمرو بن ود ادار رأسه معتقدا ان هناك من يهاجمه من خلفه، وما استغرق ذلك ثانية، لكنها كانت كافية للإمام علي (عليه السلام)، الذي قال عنه بودلي: ((فقد اندفع إلى الإمام فاصبح في منخفض، وبضربة خاطفة من سيفه، اطاح رجل عمرو،... ثم تناول العضو المتور، والقى به على علي بكل قوته، وكان هذا اخر حركة اتاها، وكاد علي يصرع، ولكنه أفاق في لحظة، واغمد سيفه في جسم عمرو))<sup>(٢)</sup>.

واشار بودلي إلى معركة خبير ودور الإمام علي (عليه السلام) في الهجوم على الحصن بعد ان عجز ابو بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) عن تحقيق ذلك، وفصل (بودلي) في وصف ما كان يرتديه الإمام علي (عليه السلام) من مستلزمات القتال ومن بينها سيفه ذو الفقار الذي اعطاه اياه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك في صراع الإمام (عليه السلام) مع المقاتل اليهودي (مرحب) الذي كان مسلحاً تسليحاً يفوق تسليح جميع المحاربين، حيث كان يلبس درعين ويتقلد سيفين، وتميز عليهم بمميزات اخرى، وقال بودلي:

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٢٥١.

(٢) حياة محمد، ص ٢٥١.

((وقد هجم مرحب اولاً وقد صوب الى علي رمح الثلاثي الشعب فانسحب علي لحظة فما كان معتاداً على مثل هذا السلاح، ثم استعاد رباطة جاشه وراح يبارز اليهودي، وبمهارة وحذق تمكن من أي يطير رمح مرحب من يده، وقبل ان يتمكن مرحب من سحب سيف من سيوفه، كان سيف علي شق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وقلق هامته حتى انها تهدلت على كتفيه))<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من اشادة بودلي بالمقدرة الحربية للإمام علي (عليه السلام) في معركة خيبر، الا انه حاول ان يدس السم بالعسل بقوله:

((فلما رأى اليهود قتل بطلمهم انسحبوا الى مدينتهم، فاصدر امره بالهجوم العام، فتدفق المسلمون، وراح علي يقود القتل والفتك))<sup>(٢)</sup>.

في هذا القول اشارة الى ان ما قام به الإمام علي (عليه السلام) يعد فتكا، والفتك باعتقادنا يوجه ضد الناس الابرياء او ان يطال العقاب المسئ والبرئ دون تمييز، في حين ان ما جرى في معركة خيبر كان عقاباً لليهود الذين وقفوا موقفاً كان هدفه ضرب الإسلام واشعال الفتنة بين المسلمين في مرحلة حرجة من مراحل التاريخ الإسلامي. وقد تناسى هذا المستشرق الروح الانسانية التي جاء بها الإسلام في تعامله مع اهل الذمة من اليهود والنصارى.

ووصف بودلي الإمام علي (عليه السلام) بانه: ((خطيب غير حاذق على قدر ما كان جندياً باسلاً))<sup>(٣)</sup>. وجاء قول بودلي هذا بالاشارة الى حادثة ارسال

(١) حياة محمد، ص ٢٥١.

(٢) حياة محمد، ص ٣٢٧.

(٣) ينظر، حياة محمد، ص ٣٨١.

الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي (عليه السلام) الى اليمن ليكون قاضيا.

وختم (بودلي) حديثه عن شجاعة الإمام علي (عليه السلام) بهذه الكلمات التي قال فيها: ((وعلي الجندي الامين الباسل، كان محمد بطله، وكان القتال هوايته، انه رجل العسكر والقتال، ولكنه ما كان يصلح للرئاسة، وعلى الرغم من ان ذلك سيصبح في يوم من الايام خليفة))<sup>(١)</sup>.

ولم يكن القتال يوما من الايام هواية يمارسها الإمام علي (عليه السلام) كما يدعي (بودلي) ولكنه كان مجبرا على ذلك، من اجل الدفاع عن عقيدته.

اما المستشرق الروماني (جورجيو) فقد تحدث من خلال المعارك التي ذكرها عن جوانب من مهارات الإمام علي (عليه السلام) الحربية، ففي صدد معركة بدر الكبرى، قال (جورجيو) ما يلي: ((كان علي يجيد المبارزة بالسيف، ويضرب باسرع من ضربات خصمه الوليد، لذا لم تطل الحرب بينهما اكثر من دقائق، اذ سرعان ما لقي الوليد ضربة قتلته من سيف علي))<sup>(٢)</sup>.

وفي معركة أحد نقل جورجيو قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة (عليها السلام) حينما امرها ان تذهب الى علي (عليه السلام) لتضميد جراحه، فقال لها (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اذهبي يا فاطمة وضمدي جراح علي انها احوج الى العناية من جراحي)). وبعد ذلك تحدث (جورجيو) عن ابو عبيدة بن الجراح عندما ذهب الى الإمام علي (عليه

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٤١٢.

(٢) نظرة جديدة في سيرة الرسول، ص ٢٢٤.

السلام) ووجده مصابا بثمانين جرحا فقال له ابو عبيدة متعجبا: ((ارى ان اضمذك يا علي من رأسك الى قدمك، واحملك الى المدينة لاني لم ار طيلة حياتي شخصا واحدا اصيب في ميدان الحرب بمثل ما اصبت به، واني لا اعجب كيف صبرت على جراحك، وتابعت حربك))<sup>(١)</sup>.

وعن معركة الخندق وضح جورجيو الدور المشهود الذي مارسه الإمام علي (عليه السلام) للقضاء على ابرز مشركي قريش في حينه والتمثل بـ (عمرو بن عبد ود)<sup>(٢)</sup> الذي وصفه جورجيو بقوله: ((فبالإضافة الى شجاعته كان ذا جسم ضخيم، وقد استطاع في اثناء محاولته ان يجرح عليا بسيفه مرتين، بيد ان عليا لم يكن ذلك الرجل الذي ينسحب من ساحة الحرب بسبب جرحين... عندئذ دنا علي منه وضربه بسيفه ضربة قضت عليه، وقد كان يرتدي درعا ثميثة بحلقات ذهبية، ففكها عنه، وارسلها الى اخت عمرو حتى لا يظن احد انه قتله ليربح هذا الدرع))<sup>(٣)</sup>.

وفي ذكر معركة خيبر فقد بين (جورجيو) احداثها مبرزا الدور القيادي للإمام علي (عليه السلام) فيها بعد ان عجز غيره من الصحابة (رضي الله عنهم) في حسم نتيجة المعركة، حيث انتخب الإمام علي (عليه السلام) من بينهم وسلّم

(١) نظرة جديدة، ص ٢٦٤.

(٢) عمرو بن ود العامري من بني لؤي من قريش، فارس وشجاع في الجاهلية، ادرك الإسلام ولم يسلم، قتل في معركة الخندق سنة (٥٥هـ) على يد الإمام علي (عليه السلام)، ينظر، الزركلي، الاعلام، ٨١/٥.

(٣) نظرة جديدة، ص ٢٩٨.

اللواء لشجاعته وصبره، وكان ارمد العينين حين بلغه امر القيادة ومع ذلك فقد وافق واقدم على محاصرة قلعة خيبر<sup>(١)</sup>.

وتابع جورجيو حديثه بالقول: ((ومع ان عيني علي مريضتان، ولم يكن على جسمه درع، فانه بارز هذا المدجج ﴿مرحب﴾ بالحديد وقتله وبعد ذلك امر علي ان يحطموا باب القلعة... وبعد يومين سقطت قلعة نطاة... وهكذا الثانية واسمها ((ناعم)) ولم تمض عشرة ايام الا وعلي قد ذلل اربع قلاع. وقد بارز علي في هذه الايام العشرة ستة عشر مبارزا، فقتل فيها خصومه او جرحهم جراحا منعتهم من الاستمرار في المباراة))<sup>(٢)</sup>.

واضاف جورجيو، حين سقطت اخر قلعة من قلاع خيبر كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغه ما احرزه الإمام علي (عليه السلام) من انتصار باهر، فقبله بحضور المسلمين ودعاه بـ ((اسد الله)) وغدا ذلك لقباً له<sup>(٣)</sup>.

ويمكن الاشارة الى نقطة واحدة في كلام (جورجيو)، فقد ذكر بان عيني الإمام علي (عليه السلام) كانتا مريضتين في اثناء المعركة بينما اكدت بعض مصادرنا الإسلامية بان عينيه قد شفينا قبل نزوله المعركة، بعد ان مسح عليهما النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ودعا له<sup>(٤)</sup>.

وذكر (جورجيو) حادثة يهود بنو قريضة الذين نقضوا العهد مع المسلمين وحاولوا التآمر عليهم بمساعدة مشركي قريش في معركة الخندق بالالتفاف من

(١) ينظر، نظرة جديدة، ص ٣٣١.

(٢) نظرة جديدة، ص ٣٣٢.

(٣) ينظر، نظرة جديدة، ص ٣٣٣.

(٤) ينظر، الواقدي، المغازي، ٦٥٤/٢؛ الطبري، تاريخ، ١٢/٣.

خلف المسلمين، ولكن حين رأى بنو قريضة ان المشركين رحلوا، وتفرغ لهم المسلمون، احسوا بالخطر يداهمهم من المسلمين لخياتهم لهم، فتحصنوا في قلاعهم ومنازلهم. وتفرس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجه ابن عمه علي (عليه السلام) فرأى فيه اخلاصا صادقا، وبطولة نادرة اثبتها في معركة أحد والخندق، لذا اوكل اليه امر بني قريضة، فاتجه اليهم ومعه كوكبة من المجاهدين، وبعد ان حاصرهم علي (عليه السلام) عرض عليهم ان يدخلوا في دين الله، فاجابوه:

((نحن لا نعترف محمد نبيا ولن ندخل في دينه لانه عربي ولا يكون النبي من العرب، بل يكون من بني اسرائيل))، واستمر حصار يهود بني قريضة اربعة اسابيع ويروى ستة، مما جعل اغذيتهم تنفذ، فنادى كعب بن اسد، رئيس بني قريضة من وراء قلعتهم: ((يا علي، يفتقد ابناؤنا الى اللبن، لان اثناء امهاتهم جافة، لعدم وجود ما يأكلنّه))<sup>(١)</sup>.

ومن المستشرقين الاخرين الذين حاولوا الوقوف على شجاعة الإمام علي (عليه السلام) هو (اميل درمنغم)، فقد ذكر دور الإمام علي (عليه السلام) في معركة أحد من خلال القول الاتي: ((مما حدث ان ابا سعد بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين تحدى المسلمين... فخرج اليه علي بن ابي طالب، فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه لانه استقبله بعورته فعطفته عنه الرحيم))<sup>(٢)</sup>.

(١) جورجيو، نظرة، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) حياة محمد، ص ٢٥٢.

ثم اشار (درمنغهم) الى المنازلة التي دارت بين الإمام علي (عليه السلام) وعمرو بن عبد ود العامري اثناء معركة الخندق وكيف تمكن الإمام (عليه السلام) من التخلص منه بمهارة<sup>(١)</sup>.

واهم ما يمكن ملاحظته على ما كتبه (درمنغهم) بصدد الموضوع هو انه لم يتطرق الى كل المعارك التي اشترك فيها الإمام علي (عليه السلام) من اجل نشر الدعوة الإسلامية، كذلك لم يشر الى المصادر التي استقى منها معلوماته.

وكان المستشرق الفرنسي (اتين دينيه) قد ذكر معركة واحدة فقط كان الإمام علي (عليه السلام) قد اشترك فيها من بين المعارك التي خاضها للدفاع عن الإسلام وهي معركة خيبر، وقد وصفه فيها بأنه لم يخف ولم يضطرب رغم غرور خصمه (مرحب)، بل تقدم متحديا اياه قائلاً:

انا الذي سميتني امي حيدرة ضرغام أجام وليث قسورة<sup>(٢)</sup>

وعرض (دينيه) تفاصيل النزال الذي دار بين الإمام علي (عليه السلام) ومرحب، وهذا جانب مما قاله: ((ولم يترك علي لعدوه فسحة من الوقت لانتشال سيفه، بل امسك عن ترسه، الذي اصبح ولا فائدة منه، ثم حمل على غريمه بضربة قوية كسرت مغفر مرحب، ونفذت الى عمامته فشققتها والى رأسه فهشمته،

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٢٧١.

(٢) ذكر الطبري بيت الشعر هذا على النحو التالي:

انا الذي سميتني امي حيدرة اكيلكم بالسيف كيل السندرة

والسندرة مكيال كبير، ينظر، الطبري، تاريخ، ٥٨٠/٢.



وانتشر مخه على الارض ولم يتوقف السيف الا عندما بلغ الاضراس، فخرّ العملاق صريعاً<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق (ميور) فقد خصص جانباً مما كتبه للحديث عن معركة بدر الكبرى ومعركة أحد ولكن باختصار، حيث بدأ بتوضيح عملية الاستطلاع لمعركة بدر التي قام بها مجموعة من المسلمين بقيادة الإمام علي (عليه السلام) وتمكنهم من الامساك برجلين من المشركين حصلوا من خلالهم على المعلومات المتعلقة باعداد المشركين ومعداتهم، بعد ذلك تحدث عن سير المعركة ودور الإمام علي والحمزة (عليهما السلام) فيها<sup>(٢)</sup>.

واشار (ميور) الى موقف الإمام علي (عليه السلام) في معركة احد، بهذه العبارة:

((سقط حامل لواء المشركين صريعاً بسيف علي، وسقط كذلك ابنه واخوته، وعددهم خمسة، واحد تلو الاخر، بسيف علي، عندما كانوا يتصارعون لحمل اللواء))<sup>(٣)</sup>.

وعلق (ميور) في نهاية حديثه بقوله: ((وكان علي متالفا ورائعاً بريشته البيضاء الطويلة))<sup>(٤)</sup>.

---

(١) محمد رسول الله، ص ٣٠٥.

(٣) SiR. William Muir , Mahomaet and Aslam , P. ١٠٣

(١) Ibid , P. ١٠٨.

(٢) Ibid , P. ١٠٩

وحاول مستشرق اخر الاشادة بالموقف البطولي للإمام علي (عليه السلام) في معركة خيبر، عندما تمكن من اقتحام حصن خيبر في الوقت الذي لم يتمكن غيره من الصحابة من دخول الحصن، عند ذلك اعلن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه سوف يعطي الراية غداً (لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، وكان هذا الرجل هو الإمام علي (عليه السلام)، وعلق هذا المستشرق على قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الإمام علي (عليه السلام) بانه يظهر ميلاً شيعياً<sup>(١)</sup>.

وتابع كلامه بان الإمام علياً (عليه السلام) قام بقتل رئيس جماعة اليهود ويعني به (مرحب)، بضربة سيف واحدة، وقال ايضاً:

((واثبت علي مرة اخرى قوته البدنية الاستثنائية. حيث عندما فقد ترسه قام باقتلاع احد ابواب الحصن من مفاصله ودافع عن نفسه به وكان الباب ثقيلًا جدًا الى درجة انه احتاج الى ثمانية رجال لكي يتعاملوا معه. وظهر علي بسالة وشجاعة في بدر واحد ﴿ويقصد قبل معركة خيبر﴾، لكن هذه الحقائق اذهلت المسلمين، وكان هذا احد الاسباب التي جعلت الفتوة من علي نموذجاً اصلياً وجعلته من الابطال))<sup>(٢)</sup>.

وكتبت المستشركة (فاغلييري) بحثاً عن الإمام علي (عليه السلام) وخصصت جانباً من هذا البحث لمآثره العسكرية، وذكرت بان الإمام علي (عليه السلام) قد اشترك في كل الحملات العسكرية تقريباً كحامل لواء خلال حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان دائماً مظهرها من مظاهر الشجاعة وفيما بعد

(٣) The Encyclopedia of Aslam, New Edition , Vo,V١. P.١١٤٠

(٤) Ibid , Vo, VI.P.١١٤٠

اصبحت شجاعته نموذجاً ملحمياً وقام في معركة بدر بقتل عدد كبير من القرشيين، وفي معركة خيبر استخدم أحد الأبواب الثقيلة كدرع له، وكان نصر المسلمين على اليهود نتيجة لحماسته، وفي (حنين) سنة ٨ هـ / ٦٣٠ م كان أحد أولئك الذين دافعوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشجاعة<sup>(١)</sup>.

أما المستشرق (تور اندريه Tor Andrae) فقد مر مرور الكرام على أحداث معركة بدر الكبرى، حيث ذكر بأن المسلمين قد ربحوا هذه المعركة وانهمز القرشيون، وسقط منهم تسعة وأربعين قتيلاً، كان اثنان وعشرون منهم على يد الإمام علي (عليه السلام) بمفرده أو بمساعدة أفراد آخرين، وتم أسر عدد مساوي لعدد القتلى، فيما خسر المسلمون أربعة عشر رجلاً<sup>(٢)</sup>.

وعلى ما يبدو أن (تور اندريه) قد أخذ برواية ابن هشام فيما يتعلق بإحصائية عدد القتلى من الطرفين<sup>(٣)</sup>.

وكان المستشرق كونسلمان قد ذكر بأن الإمام علي (عليه السلام) قد أثبت حنكة وصلابة في حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان مقاتل يعرف كيف يستخدم سيفه ذا الفقار<sup>(٤)</sup>.

واغفل المستشرق (ارفينج) بشكل ملحوظ ذكر المعارك التي شارك فيها الإمام علي (عليه السلام) في دفاعه عن الإسلام، سوى معركتي خيبر والخنديق، وكانت الإشارة إليهما عابرة، فعند حديثه عن معركة الخنديق وأشارته إلى تمكن

(١) Vaglieri , the Encyclopedia of Islam , Vo.١.p.٣٨١

(٢) Andrae , Tor , Mohammed the man and his faith , London , ١٩٣٥.p.١٩٥.

(٣) ينظر ابن هشام، السيرة، ٧٠٨/٢-٧١٤، لمعرفة تفاصيل الموضوع.

(٤) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ٢٥.

المشركين من اختراق نقطة ضعف في الخندق وتحديهم للمسلمين، ذكر بان اول من قبل التحدي هو الإمام علي

(عليه السلام) وسعد بن معاذ<sup>(١)</sup>، وبدا علي (عليه السلام) المبارزة مع عكرمة بن ابي جهل على ظهور الخيل ثم ترجلا، ثم بالايدي الى ان تمكن الإمام علي (عليه السلام) من خصمه ففر هاربا، وانتهت المعركة بانسحاب المشركين، وفي اثناء ذلك عثر حصان المشرك نوفل بن عبد الله القرشي وسقط في الخندق فهاجمه المسلمون بالتبادل لكنه تحداهم بالمبارزة فقفز الإمام علي (عليه السلام) فورا الى داخل الخندق ليسقط نوفل سريعا بسيفه بعد مبارزة قصيرة، بعد ذلك عاد الإمام علي (عليه السلام) ليشارك قواته بملاحقة فلول خصومه المنهزمة<sup>(٢)</sup>.

وعندما تحدث ارفنج، عن معركة خيبر وضح الصعوبة التي واجهت المسلمين في اختراق الحصن لعدة ايام فقد ذكر بان ابو بكر (رضي الله عنه) قد هجم ولكنه اضطر الى التراجع بعد قتال جريء، وتبعه في اليوم الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي قاتل حتى غياب الشمس دون تحقيق نجاح افضل، اما الهجوم الثالث فقد قاده الإمام علي ابن ابي طالب حاملا باحدى يديه سيف

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسي الانصاري، اسلم على يد الصحابي مصعب بن عمير، وكان من الابطال وشهد بدرا، وأحدأ وكان ممن ثبت فيها، استشهد في معركة الخندق سنة (٥هـ) اثر اصابته بسهم، وروي ان العرش اهتز لموته وقيل فرحا من الملائكة بقدمه، وكان عمره قد بلغ السبع والثلاثين ودفن بالقيع، ينظر، ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، صفة الصفوة، تحقيق، ابراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، ط ٤ (بيروت - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢٣٦/١؛ النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ٢١٤/١.

(٢) ينظر، ارفنج، محمد وخلفاؤه، ص ٢٨٣، ٢٨٢

الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا الفقار ويده الاخرى العلم الإسلامي المقدس، فوصفه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((برجل يحب الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له))<sup>(١)</sup>.

وقال ارفنج بعد فتح خيبر: ((والمؤرخون العرب ذهبوا الى تضخيم حدث فتح ((خيبر)) فضخموا بظلمهم المختار لهذا الفتح فوصفوه (رضي الله عنه)... وهو يتسلق مع اتباعه الصخور الشاهقة التي يقع الحصن باعلاها، ثم ركز رايته على قمته، مصمما على عدم التراجع حتى تسقط القلعة. فخرج اليه اليهود لرد هجومه، واشتبكوا مع جماعته بقتال السلاح الابيض، فقاتل ((عليا)) رضي الله عنه قائدهم ((الحارث)) وصرعه، فتقدم اخاه ((مرحب)) ليثأر لقتله))<sup>(٢)</sup>.

وواصل ارفنج حديثه عن النزال الذي دار بين الإمام علي (عليه السلام) و((مرحب)) وكيف استطاع الإمام وبشجاعة ان ينتصر عليه وان يجعل من باب الحصن درعا له بعد ان فقد درعه<sup>(٣)</sup>.

ومن الامور الاخرى التي ناقشها (ارفنج) هو بعثة الإمام علي (عليه السلام) الى اليمن ليتولى الولاية والقضاء هناك، فقد ذكر بان هذا القائد الشاب ويعني به الإمام علي (عليه السلام) كان يواجه مهمة صعبة وكان تحت امرته رجال اكبر منه سنا، ولم يكن له ممارسة في القضاء، لذلك دعا له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الله سبحانه وتعالى ان يهدي لسانه ويثبت قلبه، وعندما وصل الى منطقة الهراطقة في اليمن، ((بدات قواته تغزو وتدمر على الطريقة

(١) ينظر، محمد وخلفاءه، ص ٢-٣.

(٢) محمد وخلفاءه، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٣) ينظر، محمد وخلفاءه، ص ٣٠٣-٣٠٤.

العربية، لولا ان ((علياً)) رضي الله عنه وجههم الى اعتقال الفارين من وجههم من السكان لشرح الإسلام لهم، ولان لسانه استمد هديه من دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) له، انطلق بالدعوة لهم بالبينة، لكن بعضهم اجابه بالرمح والسيف، مما اضطره الى اعمال السيف بهم حتى يعطوا آذانا صاغية، وكان علي (رضي الله عنه) بارعا بهذا الامر براعته بتاكيده القول بالفعل، وقد بدأ بقتل عشرين من المعارضين، تبعه بمثل هذا المنهج حتى استطاع ان يخضع اسماعهم الى ما سوف يقول وبذلك تُسمع كلمة الحق بازاء عناد الانسان، وبذلك فقط يتمكن الايمان من الوصول الى الاسماع، وهذا هو منهج الإسلام بالسيف في نشر العقيدة؟!))<sup>(١)</sup>.

ويمكن لنا مناقشة ما قاله (ارفنج) من وجهين، الاول فيما يتعلق بقوله:

((بدأت قواته ﴿أي قوات الإمام علي {عليه السلام}﴾ تغزو وتدمر على الطريقة العربية))، ففي هذا القول تعميم على ان الطابع المميز للفتوحات الإسلامية هو الغزو والتدمير، وفيه مجانبة للحقيقة التي اشار اليها (ارفنج) نفسه في نهاية كلامه عن بعثة الإمام علي (عليه السلام) الى اليمن، اما الوجه الثاني فيمكن ان نصف قول (ارفنج) بانه كان يحمل تناقضا ملحوظا، فلو دققنا في قوله: ((وبذلك تسمع كلمة الحق ازاء عناد الانسان، وبذلك فقط يتمكن الايمان من الوصول الى الاسماع. وهذا هو منهج الإسلام بالسيف في نشر العقيدة؟!))، فنجد ان ارفنج قد أعطى المبرر لاستخدام السيف في حالة عناد الانسان وعدم انصياعه لامر الحق.

(١) ارفنج، محمد وخلفاؤه، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

وكان المستشرق (جان بروا) قد تطرق الى شجاعة الإمام علي (عليه السلام) ومقدرته الحربية في معركة خيبر بأسلوب قصصي مشوق، بعد ان وضع عدم مقدرة كل من ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) في الوصول الى قلاع خيبر، فحين ذاك قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب تعبير (بروا): ((غدا اعطي الراية لفتى يحبه الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله عليه الحصن))، فاضطجع المجاهدون في مضاربهم، وكل يحلم بفتح الحصن على يديه، وكل يأمل ان يكون هو ذلك الرجل الذي يحبه الله ورسوله، وما ان انتهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلاة الفجر، فاتجهت العيون صوبه ينتظرون من سيجعل الله علي يديه فتح الحصن<sup>(١)</sup>، بعد ذلك يقول بروا:

((- علي ! علي ! ينظر المسلمون جميعا شطر ابي الحسن ويتجه علي صوب النبي وقد وضع يده على عينيه لشدة وطأة الرمد، فيعطيه الراية ويشره بالفتح ويأمره بالذهاب وعلي يستمع، ولما تزل يده على عينيه، ثم طلب اليه ان يدنو منه فمسح له على عينيه، فارتد كاحسن ما كانت عيناه جلاءً وشفاءً فيستطير ابو الحسن (اسد الله) فرحاً ويمتطي صهوة جواده))<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك يستغرب (بروا) مما جرى للحصن على يد الإمام علي، بالقول: ((ما بال الحصن يبدو في هذا اليوم متظامنا منخدلاً قد انكمش على نفسه فرقاً؟!؟!))، لقد تراءى جناحا النسريدان فضاء الحصن بالشكيمة والباس،

(١) ينظر، محمد نابليون السماء، ص ٨٧.

(٢) محمد نابليون السماء، ص ٨٨.

ويملأه رعباً ويرجانه رجة عنيفة كادت تكبّه على قرنيه، رجة زلزلته زلزالاً<sup>(١)</sup>.  
بعد ذلك يضيف:

((اقترب البطل علي وملئ ثوبه العزيمة ومعجزة النبوة وبشرى الفتح،  
اقترب بهديره وزئيره وجنوده من خلفه والراية ترفرف في يديه، راية النصر المؤكد  
والفتح المبين))<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الفرنسي (كاراديفو) فتراه قد اهتم بذكر وقائع بعض  
المعارك التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) ودوره في حسم نتائجها، وفي  
مقدمتها معركة بدر الكبرى التي قال عنها كاراديفو:

((كان علي وهو في العشرين من عمره، يشطر الفارس القرشي شطرين  
اثنين بضربة واحدة من سيفه))، اما عن معركة أحد التي خسرها المسلمون قال  
كاراديفو: ((تسلح بسيف النبي ذي الفقار فكان يشق المغافر بضربات سيفه  
ويخرق الدرع))<sup>(٣)</sup>.

وفيما يتعلق بمعركة خيبر، اشاد بدور الإمام علي (عليه السلام) فيها  
بقوله:

((قلقل علي بيديه بابا ضخما من حديد... ثم رفعه فوق راسه متخذاً منه  
ترسا مجناً))<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد نابليون السماء، ص ٨٨.

(٢) محمد نابليون السماء، ص ٨٨.

(٣) جرداق، الإمام علي صوت العدالة الانسانية، ج ٢٣٦/٥.

(٤) جرداق، صوت العدالة الانسانية ج ٢٣٦/٥.



ما ذكره كاراديفو من قول بشأن معارك الإمام علي (عليه السلام) لا يتلاءم مع أحداثها ولا سيما معركة خيبر على الرغم من ان ما ذكره كان ذا دلالة واضحة على انصافه واعجابه بفروسيته في الحروب.

# الفصل الثالث

## موقف المستشرقين من الخلافة

التمهيد: الخلافة مفهوما وممارسة

المبحث الأول: الدراسات الاستشرقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثاني: الدراسات الاستشرقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (عليه السلام).

المبحث الثالث: الرد على الدراسات الاستشرقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الإمامية.



## مدخل

لا يختلف اثنان على أهمية موضوع الخلافة في التأثير على مسار التاريخ الإسلامي، ولا نبالغ اذا ما قلنا بان اثارها قد امتدت لافاق المعرفة لتسهم بشكل او باخر في رسم اطار العلاقة فيما بين المسلمين انفسهم، اذ ان تأثيرها السلبي اكثر وضوحا في حياة المسلمين من تأثيرها الايجابي وذلك لان مفهوم الخلافة اختلط بمفهوم السلطة والسيطرة على شؤون الدولة منذ احداث السقيفة التي كان من نتائجها وضع اسس للخلافة اضرت تاريخيا بالإسلام والدليل التاريخي على ذلك هو الاحداث التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة وما اعقب ذلك من احداث.

انطلاقا من هذه الاهمية فقد اولى الباحثون في التاريخ الإسلامي من عرب او غربيين هذا الموضوع اهتماما يستحق الوقوف عنده والبحث فيه، ولا سيما المستشرقون الذين حملوا انطبعا عن الخلافة قد يكون مستمدا من رؤية بعض مؤرخينا المسلمين، او انه ناجم عن خلفيات مسبقة حملها هؤلاء المستشرقون والقت بظلالها على نتائج بحوثهم في هذا الاتجاه.

ولغرض الوقوف على مواقف بعض المستشرقين ازاء موضوع الخلافة فقد خصص الباحث هذا الفصل الذي يتضمن عرضاً وتحليلاً لبعض نتاجات هؤلاء، ومقارنة ذلك مع ما ورد في بطون بعض مصادر التاريخ الإسلامي ومراجعته، للخروج بالنتائج المرجوة التي يمكن من خلالها تقييم موقف هؤلاء المستشرقين من الخلافة بشكل واضح.

## ((تمهيد))

### الخلافة مفهوماً وممارسة

يرى الباحث محمد جواد مغنية ان حاجة الناس الى قائد يتولى ادارة شؤونهم العامة لا يحتاج الى دليل، لان الانسان اجتماعي بطبعه ولا يمكن لاي فرد في المجتمع ان يؤدي دوره في الحياة بمعزل عن الاخرين. ويمكن تلمس بعض مظاهر هذه الصفة حتى عند الحيوانات والطيور والنحل، فضلا عن الحشرات كالنمل، وهذه الحاجة واضحة للعيان ويحس بها الانسان كاحساسه بالحاجة الى الطعام والشراب، ولهذا يكون الاستدلال عليها ضربا من الفضول على حد تعبير هذا الباحث، وبصرف النظر عن شكل الحكم الذي ينبثق عنه القائد، سواء كان دينيا ام زمنيا، جمهوريا ام ملكيا<sup>(١)</sup>.

وذكر الباحث محمد المري كلاما يندرج في المضمون نفسه مفاده: ان لكل انسان حقوقه الطبيعية في الحياة ومنها حق الحصول على الطعام والشراب وحق السكون والحركة والمشى والجلوس والنوم، كذلك ان له حقوقا سياسية كأبداء الرأي وحق اختيار من يمثله في الحكم، وكل هذه الحقوق وغيرها ضرب من الحرية، وهي حقوق ثابتة ومقدسة ما لم تصل الى حد الاعتداء على حرية الغير، ويضيف هذا الباحث قائلاً:

((ان حكم انسان لانسان وحده من حريته وتسلمته عليه وادارته شؤونه العامة امر مخالف للحقوق الطبيعية التي هي ثابتة لكل فرد ولن يصح ذلك الا

(١) ينظر، امامة علي والعقل، دار نشر السجدة، (قم - ٢٠٠٣م)، ص ٥٦.

باذن من مالك تلك الحقوق وتوكيله اياه في ادارة شؤونه وتسليطه اياه على نفسه ومصالحه وامواله وحقوقه))<sup>(١)</sup>.

واهم ما يمكن تشخيصه من الكلام المتقدم للباحث الاول هو ان الحاجة الى الحاكم هي ضرورة اجتماعية ملحة، ولما كان الخليفة قد جمع السلطتين الدينية والدينية فان مهمته بلغت اقصى واجبات الحكم.

اما اهم ما يمكن استخلاصه من كلام الباحث الثاني هو ان اختيار الحاكم يجب ان يتم على وفق رغبة الرعية، ويمكن التعبير عن هذه الرغبة بافضل ما يمكن باختيار الشخص المؤهل والامين على ادارة شؤون الناس الدينية والدينية، الحريص على مصالحهم، وهذا الكلام ينطبق عندما يتم اختيار خليفة للمسلمين قبل غيره من الحكام الدينيين، الذين يتم اختيار اغلبهم على وفق المعايير الاجتماعية التي قد لا تتماشى مع المبادئ الإسلامية.

والجدير بالقول ان توضيح مفهوم الخلافة يقودنا بالضرورة الى توضيح مفهوم الامامة، بوصفها مفهومين متداخلين، يعينان في واحد من معانيهما المشتركة؛ ان يحل شخص ما محل شخص اخر عند الوفاة ليتولى ادارة امور المسلمين، ويمكن ان تكون الخلافة دنيوية اما الامامة فهي دينية خالصة.

فالخلافة في اللغة من (خلف - يَخْلِفُ - اخْلَفَ) ومصدرها خلافة، فيقال: خلفه خلافة، أي اصبح خليفته وبقي بعده، والجمع خلائف او خلفاء))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر، الخلافة في الدستور الإسلامي، مطبعة الاتحاد، (بيروت - ١٩٤٦م)، ص ٧، ٨.

(٢) ينظر، الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ). القاموس المحيط، دار

الجيل، (بيروت، د.ت)، ص ١٤٢.

اما في الاصطلاح فقد اخذت الخلافة عند اللغويين والمفسرين معان بمعن قليلة متعددة، اهمها، قال الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): ((الخليفة من استخلف مكان من قبله، ويقوم مقامه))<sup>(١)</sup>.

وذكر الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بان الخلافة هي: ((النيابة عن الغير اما لغية المنوب عنه واما لموته، واما لعجزه، واما لتشريف المستخلف))<sup>(٢)</sup>.

في حين نقل لنا ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م) وجهة نظر غيره عن الخلافة بقوله انها: ((الامارة، قال الزجاج<sup>(٣)</sup> جاز ان يقال للائمة خلفاء الله في ارضه، وقال غيره: الخليفة: السلطان الاعظم))<sup>(٤)</sup>.

والخلافة في نظر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) عند تفسيره الاية الشريفة:

(١) الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة الصدر، (قم - ١٤١٠هـ)، ج ٤/٢٦٧.

(٢) ابو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة، بيروت - د.ت)، ص ١٥٦.

(٣) الزجاج، هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سري بن السهل الزجاج النحوي، كان من اهل العلم والادب، صنف كتابا في معاني القرآن، وله كتاب ((الامالي)) وغيره، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالادب فنسب اليه، توفي يوم الجمعة، التاسع عشر من جمادى الاخرة سنة عشر و قيل سنة احدى عشر، وقيل سنة ست عشرة وثلاثمائة للهجرة، ينظر، ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٩هـ)، مجلدا، ص ٧٤، ٧٥.

(٤) جمال الدين ابو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠٠٥م)، مجلد / ٤٩٧.

((يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق))<sup>(١)</sup>

قال: ((هذه وصية من الله عز وجل لولاة الامور))<sup>(٢)</sup>. فهذا يعني ان ابن كثير قد فسّر كلمة خليفة بولي الامر.

وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): ((الخلافة: نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، والقائم به خليفة))<sup>(٣)</sup>.

وتطرق بعض الباحثين المحدثين الى ما يعنيه مصطلح الخلافة، فقد قال احدهم بان الخليفة هو الشخص الذي يتولى ادارة شؤون المسلمين ورئاسة دولتهم بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسمي خليفة كونه قد خلف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه المهمة<sup>(٤)</sup>.

واهم ما يمكن استنتاجه من التعريفات السابقة لمصطلح خلافة او خليفة هو ان البعض وهم الاكثية يعتقدون بان الخلافة تتم في حالة وفاة الشخص المخلوف او غيابه في مهمة ما، اما البعض الاخر وهم القلة، فقد اعتقدوا بان مهمة الخليفة تبدأ بعد وفاة المخلوف.

(١) سورة ص/ص ٢٦.

(٢) اسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، (بيروت - ١٤٠٦هـ)، ٣٥/٤.

(٣) عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٣هـ)، ص ١٥١.

(٤) ينظر، يعقوب، احمد حسن، النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة انصار بيان للطباعة والنشر، (قم - ١٤١٢هـ)، ص ١٧.



من جانب اخر وجدنا ان الخلافة قد اخذت عند ابن منظور معنى الامارة او السلطان الاعظم، او خليفة الله في الارض<sup>(١)</sup>، وهذا يعني انه جعل للخليفة السلطتين، الدينية والدينية.

اما مصطلح الامامة، فهو عند اللغويين والمفسرين قد احتمل الدلالات الآتية:

فكلمة إمام في اللغة عند ابن منظور، من أم في الاصل، ومعناها: الرئيس، او الدليل الذي يقود القافلة، وهي مرادفة لكلمة الهادي، ومنها كل شخص او شيء يتخذ دليلاً او قدوة<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح، فيرى ابن منظور ان الإمام: ((كل من ائتم به قوم.... وسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إمام امته، وعليهم جميعا الائتتمام بسنته))<sup>(٣)</sup>.

وقال الفراهيدي: ((كل من اقتدي به، وقدم في الامور فهو امام، والنبي (عليه السلام) إمام الامة، والخليفة امام الرعية))<sup>(٤)</sup>.

والإمام عند الراغب الاصفهاني: ((المؤتم به انساناً كان يقتدى بقوله او فعله، او غير ذلك محققاً كان ام مبطلاً، وجمعه ائمة))<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب، مجلد ٧ ص ٤٩٧.

(٢) ينظر، لسان العرب، مجلد ٧، ص ٢٣، ٢٤.

(٣) لسان العرب، مجلد ٧، ص ٢٢، ٢٣.

(٤) العين، ج ٨/٤٢٨.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٤.

وهناك قول للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (ت ٢٠٢هـ/٨١٧م)، يوضح فيه فحوى الامامة بوصف اياها بانها: ((هي منزلة الانبياء، وارث الاوصياء، ان الامامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول ومقام امير المؤمنين وميراث الحسن والحسين -عليهما السلام- ان الامامة زمام الدين ونظام المسلمين... ان الامامة اسس الإسلام النامي وفرعه السامي...))<sup>(١)</sup>.

واوضح الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) معنى كلمة امام بقوله: ((وقولنا: امام يستفاد منه امران: احدهما انه مقتدى به في افعاله واقواله من حيث قال وفعل... والثاني انه يقوم بتدبير الامة وسياستها))<sup>(٢)</sup>.

ووردت كلمة امام من حيث الاصطلاح في القرآن الكريم لتدل على معان متعددة منها، القدوة والطريق المبين الواضح. والمقتدى بنا وكذلك بمعنى اللوح المحفوظ<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة ما تقدم من قول بشأن الامامة فانها تعني القدوة وان القائم عليها يجب ان يكون قدوة في كل شيء، لا كما ذهب الراغب الاصفهاني بان الشخص المؤتم به يجب ان يقتدى باقواله وافعاله سواء كانت حقا او باطلا.

(١) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) عيون اخبار الرضا، تحقيق الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الاعلمي، (بيروت - ١٩٨٤م)، ج ٢/١٩٦، ١٩٧؛ الحرائي، ابو محمد الحسن بن علي (ت القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن ال الرسول، تحقيق حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الشريف الرضي، مطبعة شريعت، (قم - ١٤٢١هـ)، ص ٣٢٣.

(٢) ابو جعفر محمد بن الحسين (ت ٤٦٠هـ)، الرسائل العشرة، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين، (قم - ١٤٠٣هـ)، ص ١١١، ١١٢.

(٣) ينظر على التوالي، سورة البقرة / ١٢٤، الحجر / ٧٩، الفرقان / ٧٤، يس / ١٢.

فالامامة او الخلافة في رأى أحد الباحثين المحدثين هي النظام الذي جعله الإسلام اساساً للحكم بين الناس، لاختيار الاصلح من المسلمين لتتجمع حوله كلمة الامة وتتحد به صفوفها وتقام به احكام الشريعة<sup>(١)</sup>.

## الإمامة والخلافة عند اهل السنة

ان السمة المميزة لمفهومي الخلافة والامامة عند علماء اهل السنة يغلب عليها الطابع السياسي والتنظيمي الذي يرمي الى جعل كل شيء ممهداً لرئيس الدولة الإسلامية<sup>(٢)</sup>. ونجد هذا المفهوم واضحاً عند الماوردي، فيشمل اقامة الحدود وتدبير امور الامة، وتنظيم الجيوش، وتحصين الثغور، ورد المظالم، وحماية المظلوم، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم وتقسيم الفياء فيما بينهم<sup>(٣)</sup>.

ومن جانب اخر يبين الماوردي الدور الخطير للامام بشأن حراسة الدين بقوله: ((فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه، وطمست اعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعه، ولكل عصر فيه وهية اثر. كما ان السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب، حتى يرى اهله الطاعة فيه فرضاً، والتناحر عليه حتماً، لم يكن للسلطان لبث، ولا لا يامه صفو، وكان سلطان قهر ومفسد دهر، ومن هذين

(١) ينظر، مهران، محمد بيومي (الدكتور)، الامامة واهل البيت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ٢ (قم - ١٩٩٥م)، ج ١/٢٧-٢٨.

(٢) ينظر، العوا، محمد سليم، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، المكتب المصري الحديث، ط ٦، (القاهرة - ١٩٨٣)، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) ينظر، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، (بيروت - د.ت)، ص ١٨.

الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت، زعيم الامة، ليكون الدين محروسا بسلطانه، والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من هذا التزاوج الواضح بين سلطات السلطان الدينية وبين ما يجب ان يعتقد من دين، عند الماوردي اذ ان صلاح احدهما لا يكون الا بصلاح الاخر، الا ان مسألة النظر في ولاية امر المسلمين المتمثلة بالخلافة او الامامة لا تنسجم مع اهميتها العظمى هذه. فعندما صنف العلماء القدماء من اهل السنة فروع الدين واحكامه، فلم يعدوا الخلافة او الامامة من فروع الدين، والانكى من ذلك انهم كانوا دائما يحثون على عدم الخوض فيها والكلام عليها، بحجة ان ذلك قد يجلب النقد، بحق الخلفاء ولا سيما الاوائل منهم<sup>(٢)</sup>.

يقول الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) بصدد ذلك: ((اعلم ان النظر في الامامة ليس من المهمات، وليس ايضا من فن المعقولات، بل من الفقهيات، ثم انها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها اسلم من الخائض وان اصاب، فكيف اذا اخطأ؟))<sup>(٣)</sup>.

وللامدي (ت ٦٣١هـ/١٢٣٣م) رأي في ذلك مطابق لرأي الغزالي، يقول

فيه:

(١) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، ادب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، (بيروت - د.ت)، ص ١١٣.

(٢) ينظر، قاسم، اسعد (الدكتور)، ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة، مركز الغدير للطباعة والنشر، (بيروت - ١٩٩٧م)، ص ٣٣.

(٣) ابو حامد (ت ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق الدكتور علي بوملحم، دار الهلال، (بيروت - ٢٠٠٢م)، ص ٢٥٣.

((واعلم ان الكلام في الامامة ليس من اصول الديانات، ولا من الامور الابديات بحيث لا يسع المكلف الاعراض عنها او الجهل بها، بل لعمري ان المعرض عنها ارجى من الواغل فيها، فانها قلما تنقل عن التعصب، والاهواء، واثارة الفتن، والشحناء، والرجم بالغيب في حق الائمة والسلف بالازراء، هذا مع كون الخائض فيها سالكا سبيل التحقيق، فكيف اذا كان خارجا عن سواء الطريق؟؟))<sup>(١)</sup>.

ويمكن ان نستشف من هذه الاقوال السالفة بان دور الامامة او الخلافة عند فقهاء اهل السنة كان ثانوياً وليس جوهرياً، والاعتقاد السائد لديهم هو عدم الخوض حتى في الكلام بهذا المضمون، لان تعيين الخليفة او الإمام متروك للناس في كل عصر ليختاروا من يشاءون، استنادا الى قوله تعالى: ((وامرهم شورى بينهم))<sup>(٢)</sup>.

فهم يجوزون على الخليفة او الإمام الجهل والخطأ اذا كان في الناس من هو يقوم خطأه ويرده الى الصواب ويهديه. وقد تصل التنازلات عن الشروط حداً لا يبقى معه شيئا، وربما صيغت الشروط متاخرة كي تنطبق على الواقع

(١) ابو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت ٦٣١هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق، احمد فريد الزبيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٤هـ

/ ٢٠٠٤م)، ص ٣٠٩.

(٢) الشورى / ٣٨.

المفروض<sup>(١)</sup>، كما لاحظنا ذلك فيما اورده الماوردي وغيره من كلام تعرضوا فيه لهذا الموضوع.

## الإمامة والخلافة عند الشيعة الإمامية

يولي الشيعة للخلافة او الامامة اهتماما واضحا لارتباطه بالجانب الديني والديني في آن واحد، ويبدو هذا الكلام واضحا من خلال قول الإمام علي (عليه السلام) بشأن الإمام، الذي جاء فيه: ((وانما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاه على عباده، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه))<sup>(٢)</sup>.

واوجب الإمام علي (عليه السلام) وجود الخليفة او الإمام، فعندما نادى الخوارج بمقولتهم المشهورة ((لا حكم الا لله))، رد عليهم الإمام علي (عليه السلام) قائلا: ((كلمة حق يراد بها باطل، نعم انه لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا امرة الا لله، وانه لا بد للناس من امير))<sup>(٣)</sup>.

فتعامل الشيعة الإمامية مع الامامة او الخلافة ينطلق من كونهما التكليف الالهي الذي يتابع مسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويؤدي الوظائف جميعها الملقاة على عاتقه، باستثناء مهمة الوحي الرسالي، باعتبار ان الرسالة قد اكتملت على عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيكون

(١) ينظر، العاملي، مصطفى قصير، الشورى والبيعة ودورها في انعقاد الامامة الكبرى، المركز الإسلامي للدراسات، (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٦م)، ص ٢٧.

(٢) نهج البلاغة / الخطبة ١٥٢.

(٣) نهج البلاغة / الخطبة ٤٠، محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٩١/١.

دور الإمام او الخليفة هو تطبيق وتوضيح وتذكير الناس بما ورد في مضمون الرسالة، ، والإمام هو القدوة للامة في كل ما للكلمة من معنى، والمرجع لها في جميع امورها وشؤونها الدينية والدنيوية، ويجب ان يكون للإمام او الخليفة معرفة تامة بالكتاب والسنة وفي اقامة الدين والعدل، والدفاع عن حرمة الإسلام<sup>(١)</sup>.

ووصف احد اعيان مؤرخي الشيعة الإمام بانه ((امين الله في ارضه وحقته على عباده وخليفته في بلاده، الداعي الى الله، والذاب عن حرم الله، الإمام المطهر من الذنوب، المبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم... ولا يعادله عالم... مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات...))<sup>(٢)</sup>.

لذلك وانطلاقاً مما تقدم فان الشيعة الإمامية يعدون الامامة اصلاً من اصول الدين ولا يكتمل ايمان الفرد الا بالاعتقاد التام بامامة الائمة او الخلفاء المعينين من الله سبحانه وتعالى عبر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ان الاعتقاد السائد عند الشيعة الإمامية هو ان الإمام يجب ان يكون:

((اعلم الرعية وفضلهم في خصال الفضل، لان الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا انه شرط والا لم يكن له معنى))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، العاملي، الشورى والبيعة، ص ٢٧-٢٨.

(٢) الصدوق، عيون اخبار الرضا، ١/٢، المجلسي، بحار الانوار، ١٢٤/٢٥.

(٣) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تصحيح وترتيب، احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية، (النجف -

ويجب على الإمام الامام بالسياسة لان امره ونهيه منوط بها. وكونه عالما ليس مما يقتضيه مجرد العقل من غير استناد الى شرع، اذ يجب ان يكون عالما بجميع ما جعل اليه الحكم فيه<sup>(١)</sup>.

ويذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) صفة مهمة يجب ان يتحلى بها الإمام وهي ان يكون معصوما من القبائح والاخلال بالواجبات لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحاجة قائمة منه الى امام اخر، لان الناس انما يحتاجون الى الإمام، كونهم غير معصومين<sup>(٢)</sup>.

وزهد الإمامية الى ان الائمة كالانبياء في وجوب عصمتهم من جميع القبائح والفواحش من الصغر الى الموت، عمدا وسهوا، لانهم ((حفظه الشرع والقوامون به، حالهم في ذلك كحال النبي ولان الحاجة الى الإمام انما هي لاتنصاف المظلوم من الظالم ورفع الفساد))<sup>(٣)</sup>.

والامامة عند باحث اخر هي ايضا منصب الهي كالنبوة، فيما ان الله سبحانه وتعالى يختار من يجده مناسبا للنبوة ويؤيد بالمعجز، كذلك يختار للامامة من يشاء ويامر نبيه بالنص عليه، للقيام بالوظائف التي كان على النبي القيام بها

(١) ينظر، الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تلخيص الشافي، مراجعة السيد حسين بحر العلوم، مطبعة الاداب، (النجف - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)، ١/٢٤٥.

(٢) ينظر، الحكيم، حسن عيسى (الدكتور)، الشيخ الطوسي، مطبعة الاداب، (النجف - ١٣٩٥/١٩٧٥م)، ص ٤٣٢.

(٣) المظفر، محمد حسن (الشيخ)، دلائل الصدق، (قم - ١٣٩٥هـ)، ص ٣.



باستثناء الوحي، وإنما يتلقى الاحكام منه مع تسديد الهي، فالنبي مبلغ عن الله تعالى، والإمام مبلغ عن النبي<sup>(١)</sup>.

والامامة عند الشيعة الاثني عشرية متسلسلة في اثني عشر اماما كل سابق بالنص على اللاحق ويشترط ان يكونوا معصومين من الخطأ، وبخلاف ذلك تزول الثقة بهم<sup>(٢)</sup>.

وبين اهم ما تعتقده الشيعة الاثنا عشرية هو ان الله سبحانه وتعالى لا يخلي الارض من حجة على العباد، نيا كان او وصيا، ظاهرا او مستترا، وقد نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واوصى الى الإمام علي (عليه السلام)، ليوصي بدوره الى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) ثم اخاه الإمام الحسين (عليه السلام)، وهكذا حتى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)<sup>(٣)</sup>.

وعلى وفق رؤية الشيعة الإمامية للامامة والخلافة فان هناك تداخلا واضحا بين ما يقوم به الإمام والخليفة من واجبات وحقوق تجاه الناس عامة ويأتي في مقدمة تلك الواجبات دفع الظلم عنهم والحرص على اقامة العدل في الارض تطبيقا لشرائع السماء.

(١) ينظر، كاشف الغطاء، محمد حسين، اصل الشيعة واصولها، المكتبة الحيدرية، ط ٧ (النجف

- د.ت)، ص ٩٨.

(٢) ينظر، كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، ص ٩٨.

(٣) كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، ص ١٠٥.

## ((المبحث الاول))

### الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي (ص)

من بين المستشرقين الذين ناقشوا موضوع الخلافة وتبنوا الموقف الذي يؤيد عدم استخلاف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، مقتنعين بهذا الموقف او انهم تأثروا بميول بعض مؤرخي الإسلام، هو المستشرق الفرنسي (سيديو) الذي ذكر بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يضع نظاما لخلافته، مما ادى بالاطراف الطامحة لنيل الخلافة تفسير سكوته لمصلحة كل منهم، الى الحد الذي دفع بعضهم الى الاعتقاد بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد بعدم تعرضه لامر خلافته ان يكون صهره وابن عمه علي ابن ابي طالب (عليه السلام) خليفة له، وقيم (سيديو) هذا الموقف بالقول: ((ولو قبل ذلك لحال دون ظهور ما صرح القرن الاول من الهجرة بالدماء))<sup>(١)</sup>. وكان على هذا المستشرق مراجعة الاحاديث التي تؤثر على الخلافة.

واضاف سيديو بان الإمام عليا (عليه السلام) خشى ان يعارض نتائج ما الت اليه الخلافة لحدائه سنه ولذلك لم يبرز في الميدان «المنافسة»، وتابع سيديو ذكر احداث خلافة ابي بكر (رضي الله عنه)، وادعى ان ((المصلحة العامة)) هي التي املت على الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) استخلاف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي بدوره قد عهد الى خمسة من الصحابة لانتخاب الخليفة

(١) ينظر، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة -

من بينهم ، واقصي الإمام علي (عليه السلام) من الخلافة بـ (خدعة) ولم يتم اختيار الاجدر بها في سنة ٦٤٤م<sup>(١)</sup>.

واكد سيديو بان اختيار الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان من عمل بني أمية الذين وصفهم سيديو بانهم سادة قريش الذين ناهضوا رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرين سنة ولم يسلموا الا لمصلحة، وشخص سيديو الخلل في اثناء خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بالقول: ((فلم يعرف عثمان كيف يدبر امور سلطته بالحقيقة فنجم عن تراكم اغاليطه حدوث الكارثة التي اودت بسلطته وبجياته في سنة ٦٥٥م...، فاشتعلت الفتن في كل ناحية، ولم تكن لعلي ضلع في تلك المؤامرة، فلم يعارض احد في اختياره للخلافة))<sup>(٢)</sup>.

وختم سيديو كلامه بوصف منصف للامام علي (عليه السلام)، قائلا: ((وعلي هو من تعلم حرية الضمير وحضورا لمجالس المدينة مع ميله الى القيام بشؤون حياته المنزلية الهادئة...، جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب، ووجب على كل واحد ان ينحني امام صاحب هذا المجد العظيم الخالص))<sup>(٣)</sup>.

وجاءت المستشرقة البولندية (يوجينا غيانة شتيفسكا) لتأخذ بما جاء في كتابات غيرها حيث ذكرت بان الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما توفي بالمدينة بعد هجرته اليها لم يوص بالخلافة لأحد قبل موته، ولذلك وقع نزاع

(١) ينظر، سيديو، تاريخ العرب العام، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) ينظر، تاريخ العرب العام، ص ١٢٦.

(٣) تاريخ العرب العام، ص ١٢٦.

عقب موته بين المهاجرين والانصار حتى قال بعضهم، منا امير ومنكم امير، فرأى عمر بن الخطاب ان الامر سيشتد فبايع ابا بكر، وذكرت (شتيفسكا) خطبته ثم قالت: ((لما حضرته الوفاة اوصى بالخلافة بعده لعمر وذلك لانه رأى انه ﴿أي ابو بكر﴾ صاحب الامر ورئيس الامة فله ان يستخدم بعده من يشاء، لان الخلافة امانة تحت يديه يجب ان يؤديها الى من هو اهل لها وقد فعل... وخاف على المسلمين ان يفرقوا ويختلفوا ان هو ترك الامر للشورى لان كثيرا منهم يرون انفسهم اهلا للخلافة، فاراد ابو بكر ان يفصل في الامر ليحمي المسلمين من الفتن فكان عمله هذا من السياسة الرشيدة الحكيمة))<sup>(١)</sup>.

ويمكننا مناقشة (شتيفسكا) في مضمون رأيها هذا من خلال النقاط الالية:

١- ذكرت بان الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) قد استخلف لانه كان صاحب الامر ورئيس الامة فله ان يستخدم بعده من يشاء. فهل ان الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) اولى بالامر من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢- قالت (شتيفسكا) بان الخلافة كانت امانة تحت يدي الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) وعليه ان يؤديها الى من هو اهل لها. فهل يعقل ان هذه الحقيقة كانت غائبة عن نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، او انه لم يجد الشخص المؤهل الذي يسلمه الامانة؟

٣- بينت (شتيفسكا) بان سبب تعيين الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خليفة لابي بكر (رضي الله عنه)، هو خوفه على المسلمين ان يفرقوا ويختلفوا ان

(١) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ٣٧-٤٢.

ترك هو الامر للشورى، واراد ابو بكر بعمله هذا ان يحمي المسلمين من الفتن. وباعتقادنا ان اول من وحد المسلمين وحرص على ضرورة ابعادهم عن كل الفتن، هو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك من الاجحاف بحقه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يقال بان غيره كان حريصا على هذا الامر اكثر منه. وهذا امر غريب ان ابا بكر يؤشر على من يستخلفه خلافا للشورى ويعين عمر من بعده ولا يخشى النبي هذا الجانب.

وتابعت شتيفسكا التفصيل في موضوع الخلفاء الراشدين، فعندما تطرقت الى خلافة الإمام علي (عليه السلام) ذكرت بانه رابع الخلفاء الراشدين وتربى في بيت النبوة وزوجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته فاطمة (عليها السلام) ومع ذلك لم يرشحه للخلافة ابعادا له عن السلطة الشخصية عن ساحة الإسلام، بل ترك امر الخلافة شورى بين المسلمين يختارون من يريدون<sup>(١)</sup>.

ويبدو ان شتيفسكا في قولها هذا قد اوقعت نفسها في تناقض تام، ففي الوقت الذي اكدت في قولها السابق بان الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) لم يلجأ الى الشورى عند تعيينه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خوفا على المسلمين من الاختلاف والفرقة، تجدها تذكر فيما بعد بان الرسول الكريم (رضي الله عنه) قد ترك امر الخلافة شورى بين المسلمين يختارون من يريدون. فهل ان الشورى التي لم يستخدمها الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) قد اختلفت عن الشورى التي استخدمها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟.

وواصلت شتيفسكا الحديث عن خلافة الإمام علي (عليه السلام). فقد ذكرت بان مصدر خلافته كانت الثورة على عثمان (رضي الله عنه) وان بعض

(١) ينظر، تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها، ص ٥٦.

الثوار مالوا الى توليته وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ الذي وصفته بأنه احد يهود اليمن الذين اسلموا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم، الذي قام بدعاية منظمة لاحداث الفرقة في صفوف المسلمين في مدن واسعة من الدولة الإسلامية مثل مصر والبصرة والكوفة<sup>(١)</sup>.

ولا بد ان نذكر بان شخصية عبد الله بن سبأ هي شخصية اسطورية، وأورد ذلك عدد من دارسي التاريخ<sup>(٢)</sup>.

وفي محور اخير فصلت (شتيفسكا) في ذكر الاحداث السياسية والادارية في عهد الإمام علي (عليه السلام) ومنها الاجراء الذي اتخذته بعزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من قبل، ممن كانوا سببا في الثورة واستياء الناس، رغم تحذير البعض له من اتخاذ مثل هذا الاجراء، ثم مبادرته باسترداد الاقطاعات التي كان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد منحها لبعض المقربين منه، وكذلك اتباع الإمام علي (عليه السلام) الالية التي طبقها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في توزيع العطاء، وقد وصفت (شتيفسكا) هذه الاجراءات بقولها: ((وكل هذا راجع الى شدته في الحق وعدم المرونة السياسية

(١) ينظر، تاريخ الدولة، ص ٥٨.

(٢) لغرض الوقوف على تفاصيل هذا الموضوع، ينظر، حسين، طه، الفتنة الكبرى، دار المعارف، ط ٩/ (القاهرة - ١٩٧٦)، ج ٤٦/٢؛ الوائلي، احمد (الدكتور)، هوية التشيع، دار الكتب للمطبوعات، (بيروت - ١٩٨٧)، ص. العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ واساطير اخرى، منشورات كلية اصول الدين، (بغداد - ١٩٦٨)، ص ٣٧-٥٦.

التي يتبعها غيره من الرؤساء السياسيين. من اجل ذلك كان عهده عهد اضطراب في البلاد الإسلامية<sup>(١)</sup>.

ولم يختلف المستشرق الانكليزي (روم لاندو) عن سابقيه في القول بان وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تركت الإسلام الوليد من دون قائد، مما ادى الى تنافس ثلاث جماعات في مكة على الخلافة، واولى هذه الجماعات قد ايدت الإمام علي (عليه السلام) صهر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدته الخليفة الشرعي الوحيد، ومما زاد اتباع الإمام علي (عليه السلام) او العلويون تشبثا بدعواهم على حد تعبير (روم لاندو)، هو ايمانهم بان منطق الاشياء يحتم ان يكون الله (سبحانه وتعالى) قد قضى بان يخلف النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خلفاء من اقربائه الاذنين.

اما الجماعة الثانية الطامعة في الحكم التي ذكرها (روم لاندو) فهم الفرع السفيناني الذين سعوا لاستعادة ثروتهم القديمة ونفوذهم السابق عن طريق الدين الجديد، والجماعة الثالثة الطامعة في الوصول الى الخلافة هي التي اكدت على العرف السائد القاضي بان يختار ((ارشدهم وارجحهم عقلا)) كي يكون ((زعيمًا وقائدًا))، وكانت نتيجة المنافسة بين هذه الجماعات الثلاث بان اختير الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup>.

واهم ما يمكن استنتاجه من كلام المستشرق (روم لاندو) هو انه كان ناقلا لأحداث الخلافة والصراعات التي رافقتها دون ان يكون له رأي محدد في احقية من من الاطراف الطامعة ليتولى الخلافة.

(١) تاريخ الدولة الإسلامية، ص ٥٨.

(٢) روم لاندو، الإسلام والعرب، ص ٥٨، ٥٩.

وحاول مستشرق اخر وهو (بيتر ما نسفلد peter Mansfield) مناقشة موضوع الخلافة، فقد ذكر بانه عندما توفي النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة في الثامن من حزيران عام(١١١هـ/٦٣٢م) بعد مرض شديد، لم يترك تعليمات حول من سيخلفه كونه لم يكن لديه اولادا، وعلى الرغم من الميزة التي يحظى بها كل من صهره وزوج ابنته علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وصاحبه ابو بكر (رضي الله عنه) ووالد زوجته عائشة، ولكن لم يكن هناك سبب تقليدي او قانوني يجوز ان تؤول الخلافة بموجه لاحدهما، وبعد جدل طويل بين المسلمين حصل ابو بكر (رضي الله عنه) على الخلافة، وقد بايعه علي (عليه السلام) على مضض منه بعد عدة اشهر، وعلى اية حال والكلام لـ (مانسفلد)، فان العديد من الناس بقوا على اعتقادهم بالخلافة الحقيقية هي من حق الإمام علي (عليه السلام) وذريته، وان معاوية وورثته من بني امية هم مغتصبون دنيويون للخلافة<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق الالماني (كارل بروكلمان) فقد انساق وراء الروايات الضعيفة التي حاول واضعوها النيل من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بابتعادهم عن الحقائق التاريخية، فقال بروكلمان:

((ألح المرض على النبي ﷺ عليه وآله وسلم واشتد، فصار يهذي في حال وعيه، وفي يوم الاحد، ٧ تموز، حاول ان يلمي وصيته الاخيرة، ولكن عمر رأى من الخير ان يمنعه من ذلك خشية ان يكون في صدور بعض

(٢) peter Mansfield , the great Arab Explosion , p.٣٥-٣٨.



الاورام عن النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في تلك الحال التي لا تساعد على التفكير الصافي، ما يهدد بالخطر قضية المسلمين))<sup>(١)</sup>.

والباحث في مصادر التاريخ الإسلامي يجد البخاري قد ذكر هذه الحادثة التاريخية بأسلوب آخر خفف فيه من حدة قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي وصف فيه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه كان يهجر، فقد نقل البخاري قولاً لأبن عباس (رضي الله عنه) أكد فيه أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عندما حضرته الوفاة كان في بيته رجال بينهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ((هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) فقال عمر: ((إن النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قد غلب عليه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله))<sup>(٢)</sup>.

لكن المستشرق الفرنسي (رسلر) (j.s.Restler) تناول موضوع الخلافة بطريقة مختلفة عن (بروكلمان) فقد ذكر بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل وفاته لم يعين أحداً خليفة له، وحدث ما يحدث عادة حينما تصبح عملية اختيار الحاكم مرهونة بالموافقة الشعبية، فتشكلت أحزاب مختلفة، يعارض بعضها البعض، وأشار (رسلر) إلى أحد هذه الأحزاب الذي أسماه بحزب الصحابة المهاجرين وحزب الأنصار الذين وصفهم بأوفياء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأضاف لهم حزبا آخرًا أسماه بالمدافعين عن الحقوق الشرعية، المعارضون لمبدأ التعيين بالانتخاب، أنصار الحق الإلهي الذين تمسكوا بالإمام علي

(١) كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومدير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ٢ (بيروت - ١٩٥٣)، ص ٧٩.

(٢) الصحيح، باب قول المريض قوموا عني، ص ١٠٣٣.

(عليه السلام) بوصفه احد السابقين الى الإسلام وزوج السيدة فاطمة (عليها السلام)، اما اخر حزب ذكره (رسلر) فهو حزب الامويين الذين هم اخر من اعترف بالإسلام، وانهى حديثه عن الخلافة بهذه العبارة:

((ولم توجد قضية سياسية اراقت كثيرا من الدم الإسلامي مثل مشكلة الخلافة هذه، وهي المشكلة الاولى التي طرحت امام الإسلام، ولم تحل بعد قانوناً))<sup>(١)</sup>.

ومما يجدر الاشارة اليه ان موقف (رسلر) من الخلافة لا يختلف عن سابقه المستشرق (روم لاندو)، واستخدم نفس الاسلوب في عرضه لمجريات الصراعات التي رافقت عملية الاستيثار بها. من جانب اخر فقد استخدم مصطلح (الحزب) وهو من المصطلحات التي استخدمها المؤرخون المحدثون، ومن استخدم ما يدل عليه من المؤرخين الاوائل فقد استخدم لفظ (الجماعة)، مثل جماعة المهاجرين او جماعة الانصار<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الفرنسي (اتين دينيه) فقد اعطى لموضوع اختيار خليفة رسول الله اهمية اكبر من موضوع دفن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويبدو ذلك واضحا من خلال قوله: ((كان على المؤمنين قبل التفكير في دفن الرسول ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ان يفكروا في صد الخطر المحقق بالإسلام الذي فقد زعيمه الملهم، الذي ضم تحت لواء التأخي في الدين أسرا

(١) ينظر، رسلر، جاك س، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبد عون، مراجعة الدكتور احمد فؤاد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة - د.ت)، ص ٣٨.

(٢) ينظر علي سبيل المثال، اليعقوبي، احمد بن يعقوب (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت-د.ت)، ص ١٢٦.

وقبائل فرقت بينها قرون من العدا، فما عسى ان يكون مصير هذا التاخي؟))<sup>(١)</sup>.

ومن خلال القول المتقدم لـ (دينيه) يتضح لنا بانه اراد ان يعطي فكرة ايجابية عما جرى في السقيفة بوصف ذلك ضرورة ملحة فاقت حتى مسألة دفن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان ما اقدم عليه الصحابة لا تشوبه شائبة وحدث في الوقت المناسب.

واضاف (دينيه) بان القتال الدموي من اجل الاستحواذ على الخلافة كان اقرب من حبل الوريد، ولم يتمكن المسلمون من تجنبه لولا حكمة الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، الذي اسكت الاطراف المتنازعة وابان لهم ان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- في اواخر ايامه قد عين ابا بكر -رضي الله عنه- يصلي بالناس بدله، ولو كان عين احدا للخلافة لما عين الا ابا بكر -رضي الله عنه-<sup>(٢)</sup>.

واهم ما يمكن ان يؤاخذ عليه (دينيه) هو اعتماده على مصادر احادية النظرة التي تؤكد بان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يستخلف احدا، وهذه باعتقادنا اهم سلبية تؤثر على الباحث التاريخي، لان الاخذ بروايات احد اطراف المشكلة يعد خللا واضحا يعترض سبيل الوصول الى نتائج منصفة.

ولم يتجاوز المستشرق الانكليزي (ارنولد Arnord ١٨٦٤-١٩٣٠) هذه السلبية حينما تطرق الى الخلافة، فقد تبنى وجهة نظر المستشرق المسيحي الكاثوليكي (لامنس Lammens) ومفادها، ان مجرد وصول خبر وفاة الرسول

(١) محمد رسول الله، ص ٣٠٥.

(٢) ينظر، محمد رسول الله، ص ٣٠٥.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اذان اخص اصحابه ((فقد عملوا حالا على تأمين انتخاب ابي بكر طبقا للخطط التي رسموها بكل تأكيد عندما توقعوا قرب اجل مؤسس عقيدتهم والتحاقه بالرفيق الاعلى))<sup>(١)</sup>.

ووفقا لوجهة النظر هذه فان انتخاب الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) كان على وفق مخطط قد اعد له مسبقا ويبدو ان الكثير من المستشرقين لم يهضموا حالة النص وانما كان الاختيار هو الارجح عندهم وفق المصادر المؤيدة للخلافة.

واشار (ارنولد) ايضا الى وجهة نظر اخرى للمستشرق الايطالي (كايتاني Caetani) بشأن تعيين الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لخمسمة من الصحابة على ان يتم اختيار الخليفة من بينهم من بعده، حيث وصف (كايتاني) هذا الاجراء بالقول: ((ان تعيين عمر لجماعة من الناخبين انما كان بدعة الازمنة المتأخرة لتبرير العملية التي سيطرت طوال العصر العباسي وهي اعلان صلاحية ولي العهد))<sup>(٢)</sup>.

ومن بين المستشرقين الذين اخضعوا الروايات التاريخية المتعلقة بالخلافة الى التحليل والنقد، هو الروماني (كونستانس جورجيو)، فقد ذكر بان النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- طلب قبيل وفاته كاتباً يسجل له وصاياه، وكان احداها تعيين خليفة له، وقد علم بهذا الموضوع كل من الإمام علي (عليه السلام) وابو بكر (رضي الله عنه) وعمر (رضي الله عنه)، وعند حضور هؤلاء الثلاثة مجلس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شعر بالاحراج ولم يستطيع تعيين

(١) ينظر، ارنولد، السيدتوماس، الخلافة، ترجمة حسن حيدر الشيباني، مطبعة دار التضامن،

ط ٢ (بغداد - ١٩٦١م)، ص ١٥.

(٢) ارنولد، الخلافة، ص ١٦.

خليفته، وقد علق (كونستانس) على هذه الرواية التي استقى اطارها العام من مصادرنا التاريخية، بقوله: ((لكن هذه الرواية ضعيفة جدا، لان النبي اقوى من ان يتراجع عن تعيين خليفته، لان هذا الامر ذو اهمية كبيرة لدين الإسلام، فلا حاجة للتردد، ولا يمكن ان يتراجع عن ابداء رايه، مع العلم ان نفوذ كلامه في المسلمين كبيرا جدا، ومقبول لديهم جميعا، ومحمد ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ الذي اشترك في ثمانين معركة صغيرة وكبيرة، وعين قواداً لهذه المعارك دل على عزم وجرأة، وهو في هذا المقام اقوى من تعيينه القواد لتلك المعارك، ولهذا نرفض هذه الرواية))<sup>(١)</sup>.

اما المستشركة (فاغلييري Vaglieri) فقد تناولت جوانب عدة تتعلق بالإمام علي (عليه السلام) ومنها موضوع الخلافة وموقفه منها ودوره في الاحداث التي ادت الى انتهاء خلافة عثمان (رضي الله عنه)، والاجراءات الادارية التي اتخذها عقب توليه خلافة المسلمين.

واول المواضيع التي اشارت اليها (فاغلييري) هو، حادثة بقاء كل من الإمام علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وعدد من الصحابة في بيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- لمعاينة جسده والترتيب لعملية الدفن في الوقت الذي تم فيه اختيار ابو بكر -رضي الله عنه- خليفة، وعلقت فاغلييري على ذلك بالقول: ((ومن المشكوك فيما اذا كان علي يامل بخلافة محمد ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾))، وحجة (فاغلييري) في ذلك ان العرب لديهم ((قانون)) ينتخبون بموجه رؤسائهم من ذوي الاعمار الكبيرة، وواصلت القول: ((في سنة ١١هـ / ٦٣٢م كان لعلي اكثر من الثلاثين من العمر بقليل وليس لديه ميل لتولي السلطة

(١) نظرة جديدة، ص ٣٨٦.

الشرعية. اما الشيعة فوفقا لمعتقداتهم المخترعة او الماولة فان النبي قد نوى ان يعطي الخلافة بعده الى صهره علي، ولكن ما هو مؤكد ان النبي في ايام مرضه الاخير لم يوضح هذه الرغبة<sup>(١)</sup>.

واضافت (فاغليري) القول بان علي وفق المراجع العربية، كان الإمام علي (عليه السلام) مستشارا قيما للخلفاء الذين سبقوه ولكن من المشكوك فيه فيما اذا كانت نصائحه في القضايا السياسية مقبولة من جانب عمر، حيث انه كان يساله النصيحة في المسائل القانونية «الشرعية» وذلك لمعرفته الممتازة بالقرآن والسنة، وكان الإمام علي (عليه السلام) ذا وجهة نظر تتعارض بشكل تام مع وجهة نظر الخليفة حيث كان يرى ضرورة توزيع مصادر الدخل الحكومي دون ابقاء أي شيء احتياطي وهذا ما كان يعارضه الخليفة عمر (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup>.

وركزت (فاغليري) على بعض عوامل الخلاف بين الإمام علي (عليه السلام) والخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وفي مقدمة هذه العوامل هو اتهام الخليفة عثمان - رضي الله عنه - بالحيود عن القرآن والسنة وخاصة في اقامة حدود الله، حيث اصر الإمام علي (عليه السلام) على تطبيق القانون الالهي، وحدث ذلك بعد ادانة الوليد بن عقبة عامل الخليفة عثمان على الكوفة، بجرمة شرب الخمر<sup>(٣)</sup>.

يُذكر ان المسعودي (ت ٣٤٦هـ) قد وصف حال الوليد بن عقبة انه كان يشرب الخمر مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح، وفي احد الايام صلى

(١)Vagliere. the Encyclopadia of Aslam , New Edition , p.٣٨٢

(٢)Vagliere ,the Encyclopedia , new , p.٣٨٢.

(٣)Vagliere ,the Encyclopedia , new , p.٣٨٢.

يجمع من المسلمين صلاة الصبح اربع ركعات وقال: اتريدون ان ازيدكم؟، وشاع هذا الفعل بين اهالي الكوفة، فهجم عليه جماعة في بيته فوجدوه سكران ومضطجعا على سريره لا يعقل، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا الى المدينة يقصدون الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فشهدوا عنده ان الوليد قد شرب الخمر، فسألها عثمان ما يدريكما انه شرب الخمر؟ فاجابوه: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية. ثم اخرجوا الخاتم ودفعوا به الى الخليفة. بعد ذلك خرجوا الى الإمام علي (عليه السلام) واخبروه بما جرى، فاتي عثمان ليقول له: ((دفعت الشهود وابطلت الحدود، فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: ارى ان تبعث الى صاحبك فتحضره))<sup>(١)</sup>، وبعد ان اقيمت الشهادة ضده فالتقى الخليفة السوط الى الإمام علي لينفذ عقوبة الجلد بالوليد، ولكن الإمام قد كلف ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) للقيام بذلك<sup>(٢)</sup>.

والعامل الاخر في الخلاف بين الإمام علي (عليه السلام) والخليفة عثمان (رضي الله عنه) حسب ما ذكرته فاغليري هو قيام الخليفة عثمان بنفي الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري من المدينة بعدما وعظ الناس حول الاعمال الشريرة للجبابرة، عند ذلك قام الإمام علي (عليه السلام) واولاده بتوديعه عند رحيله رغم منع الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ومعارضته<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، مروج الذهب، ٤٨٧/٢؛ ابن كثير، ابو الفداء دمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق، الدكتور احمد بو ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - د.د، ١٦١/٧.

(٢) صحيح مسلم، ص ٧٦٦، كتاب الحدود، باب حد الخمر.

(٣) Vagliere , the Encyclopedia. p.٣٨٢.

ومن الامور المهمة التي اولتها (فاغلييري) اهتماما هو الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فقد اتهمت الإمام علي (عليه السلام) بالمشاركة او المساعدة او التشجيع على الثورة التي ادت الى قتل الخليفة، ويبدو ذلك واضحا من خلال قولها:

((عندما جاء الثوار من مصر الى المدينة ليتفاوضوا مع عثمان، كان علي وسيطهم او واحد من وسطائهم، وعندما عادوا الى المدينة مرة اخرى وحاصروا بيت عثمان طلبوا من علي ان يكون قائدهم، ورغم انه رفض، الا انه بسلوكة شجع الثوار خلال الحصار. وهناك اسباب للشك كونه على اتفاق معهم بالمطالبة من الخليفة التنحي عن الخلافة، الوقت نفسه فان أي مشاركة منه في العمل الدموي مستبعدا))<sup>(١)</sup>.

وحاولت (فاغلييري) تثبيت التهمة على الإمام علي (عليه السلام) من خلال القول الاتي:

((ما هو مؤكد ان عليا سمح لنفسه ان يعين كخليفة من قبل الثوار الذين تلطخت ايديهم بدم عثمان، وكان هذا خطأ لانه عرضة لأتهامات باشتراكه بالجريمة، رغم ان بعض الاحاديث تمثل كيف انه كان يسعى، ولو عبثا للتخلص من اتباعه الاكثر اثارا للشقاق، ورغم نصائح ابن عباس له بالتهمل الا ان علي وبدون تاخير قام باتخاذ بعض الاجراءات التي طلبتها المعارضة من عثمان، حيث قام بتنحية الحكام (الولاة) الذين عينهم عثمان واستبدلهم قدر التمكن بولاة من

(٤) Vagliere , the Encyclopedia, p, ٣٨٢.



حزبه وقام باسترضاء العامة عن طريق توزيع الاموال عليهم بمساواة جدية (بالثناء)<sup>(١)</sup>.

وابدت فاغلييري اعتقادها بان الاحاديث الواردة بخصوص اسلوب انتخاب الإمام علي -عليه السلام- ورغبته في قبول الخلافة كان يكتنفها الغموض، ومن جانب اخر، اعطت معاوية بن ابي سفيان المبرر الذي يجعله يحتاج على ان انتخاب الإمام علي (عليه السلام) لم يكن صحيحا كونه قد تم بالاقلية بسبب مغادرة المدينة بعض الافراد ومنهم طلحة (ت ٣٦هـ/٦٥٦م) والزبير (ت ٣٦هـ/٦٥٦م)، محمد بن مسلمة (ت ٤٣هـ/٦٦٣م)، المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ/٦٧٠م)، اسامة بن زيد (ت ٥٤هـ/٦٧٣م)، سعد بن ابي وقاص (ت ٥٥هـ/٦٧٤م) وعبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ).

ولو حاولنا تقييم ما ذكرته (فاغلييري) بشأن اتهامها للإمام علي (عليه السلام) بالاشتراك في الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، او ان انتخاب الإمام علي (عليه السلام) خليفة للمسلمين كان بسعي من الثوار، نجد ان في هذا القول تجني على الحقائق التاريخية، ويمكن ادانة فاغلييري من خلال قولها انف الذكر، فقد ذكرت بان انتخاب الإمام علي (عليه السلام) لم يكن صحيحا كونه قد تم بالاقلية بسبب مغادرة المدينة بعض الافراد وكان على راسهم طلحة والزبير وعبد الله بن عمر. واحداث التاريخ تؤكد بان هؤلاء كانوا قتيلى الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بل كانوا الاداة التي نفذت مآرب الثوار، ولو انهم على اتفاق مسبق مع الإمام علي (عليه السلام) لالتزموا ببيعتهم له عندما قبل بالخلافة على مضض منه، ولم يغادروا المدينة.

(١)Ibid , p, ٣٨٢.

ولم يختلف المستشرق (مرجليوث D.S. Margoliouth) عن فاكليري في محاولته القاء تبعات الثورة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على عاتق الإمام علي (عليه السلام)، حيث ذكر هذا المستشرق بان الإمام عليا (عليه السلام) قد حصل على الخلافة بدعم من المتمردين الذين قتلوا الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وان الإمام عليا (عليه السلام) اجبر بعد ذلك على ان ييدي مقته واشمئزازه لذلك العمل، فجلب بذلك لنفسه عداوة المتأمرين على قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عندما قبل التحكيم في صراعه ضد معاوية، وانتقاما منه قام احد الناجين من معركة النهروان التي حدثت سنة (٣٨هـ) باغتياله بعد فترة من المعركة<sup>(١)</sup>.

وبشان موضوع الفتنة التي اودت بحياة الخليفة عثمان، ذهب المستشرق (مورغان)، الى القول: ((وبدا - فترة ما - ان الرأي منصرف لمناصرة علي، احد كبار الصحابة واوائل الذين دخلوا في الإسلام، وابن عم النبي ﷺ عليه وآله وسلم) وزوج ابنته ووالد احفاده، وكان رجلا متقشفا متعبدا محاربا مبجلا. ولكن القوات التي خرجت من الفتنة متوزعة الاهواء لم يكن بالامكان - وآسفاه - السيطرة عليها، وقد دفع علي الثمن كاملا لموقفه وتحفظه ﷻ في اثناء الهجوم على سلفه يوم لم يتقدم علنا للدفاع عن القانون وحفظ النظام، والقى بعضهم المسؤولية عليه في مقتل عثمان وراحوا يطالبونه باقامة البيعة على عدم مشاركته في المؤامرة بان يقع القصاص بالجناة المعتدين، ولكن ذلك لم يكن باستطاعة علي، لانه كان متورطا معهم بل لان مسؤولية ما وقع كانت متوزعة هنا وهناك))<sup>(٢)</sup>.

(٢) Margoliouth D.S. , Encyclopedia of Religion and Ethics , V.II,P.٦٩٣.

(١) كينيث و. مورغان، الإسلام السراط المستقيم، ص٧٦.

ويمكن ان يكون (مورغان) قد اصاب فيما قاله الا في نقطة واحدة وهي ان الإمام علي قد تحفظ في اثناء الهجوم على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ولم يتقدم علنا للدفاع عن القانون وحفظ النظام، وحقيقة الامر ليس كما يدعيه (مورغان)، لان الإمام عليا (عليه السلام) حاول بكل الوسائل الحيلولة دون وقوع ذلك، فارسل ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) الى بيت الخليفة عثمان لتهدئة الموقف مع الثوار وكانا يحملان الماء الى الخليفة المحاصر في داره، ومن جانب اخر فان الدفاع عن القانون وحفظ النظام كانا بيد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بوصف ان السلطة كانت بيده، وربما كونه لم يوفق في تطبيق القانون وحفظ النظام بشكل تام، فقد اثار بذلك حفيظة الناس الى الدرجة التي لم يتوقع الإمام علي -عليه السلام- ان تصل الامور الى حد القتل، بل حسب بانها عملية ضغط على الخليفة من اجل الوفاء بوعوده التي قطعها للمعارضين، من اجل تصحيح مسار الخلافة وما آلت اليه الاوضاع في عهده.

وناقش المستشرق الالماني (فلهوزن) بشكل مستفيض موضوع الخلافة، حيث عد موت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبروز مشكلة الخلافة من اهم المصاعب التي واجهت المسلمين، كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتلاف ترك رعيته دون راع، على حد تعبير (فلهوزن)، رغم وجود القرآن والسنة، ولكن لم يرد فيهما من هو الخليفة، على ان ذلك لم يكن معناه الاستغناء عن الخليفة، بل كان لابد من تعيين امام يؤم الناس في الصلاة ويرأس الحكومة، والمشكلة لا توجد طريقة للانتخاب المنظم ولم يكن هناك حق وراثه النبوة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر تاريخ الدولة العربية، ص ٣٢-٣٨.

وذكر (فلهوزن) الاحداث التي رافقت اختيار الخليفة ابو بكر -رضي الله عنه- والدور الذي مارسه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الضغط على الاطراف الطامعة في الخلافة للتنازل الى ابي بكر، وكيف انه عين من بعده الخليفة عمر بن الخطاب.

وقال فلهوزن بحق خلافة كل من ابي بكر وعمر -رضي الله عنهما- : ((وكان ابو بكر وعمر يعلمان انهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا ان يسبغا على رئاستهما، التي كانت غير شرعية في اول الامر، ثوبا شرعيا الا فيما بعد، وذلك بان سارا في الحكم على المبادئ التي تقضي بها الحكومة الثيوقراطية))<sup>(١)</sup>.

واصبحت خلافة كل من الخليفتين ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) شرعية بنظر المستشرق فلهوزن، لانهما كانا يرجعان الى القرآن والسنة في الحكم على الاشياء<sup>(٢)</sup>.

واضاف فلهوزن ان مقتل الخليفة عمر قد اعاد مشكلة الخلافة من جديد، فلم يكن الخليفة قد اوصى بان يكون الامر من بعده للإمام علي (عليه السلام)، بحكم كونه ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج ابنته، الذي كانت لديه ((مطامع)) في الخلافة، بل لديه شعور بانه قد تخطي من قبل، اما الذي فعله الخليفة عمر (رضي الله عنه)، فقد اوصى بان يكون تعيين الخليفة من بعده عن طريق مجلس الشورى، وقد تخطى اعضاء هذا المجلس الإمام علي (عليه السلام) ايضا، لانهم لم يعترفوا له بانه صاحب الحق الاول، فانتخبوا الصحابي المسن

(١) تاريخ الدولة العربية، ص ٣٢-٣٨.

(٢) ينظر، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٨.

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ولكن النتيجة جاءت مخيبة لظنهم، لان ما كان عليه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من ضعف لم يجد نفعاً لهم، بل كان مفيداً لبني امية<sup>(١)</sup>.

وتعرض (فلهوزن) الى ممارسات الخليفة عثمان (رضي الله عنه) تجاه اقاربه مما سبب في الثورة عليه، وقد فصل في احداث هذه الثورة، وحمل كبار الصحابة مسؤوليتها بقوله: ((اما كبار الصحابة الذين كانوا يحملوا الوزر في اندلاع نار الثورة، وهم علي وطلحة والزبير، فانهم لم يبدلوا أي جهد لآخمادها، وربما كان موقفهم من الخليفة، هو انهم اظهروا اسفهم انهم لا يستطيعون مساعدته لان ايديهم مقيدة، ولكونهم انما كانوا يظهرون غير ما يبطنون، اما الحقيقة فهي انهم لم يعملوا على ايقاف سير الحوادث آملين ان تنتهي بفائدة لهم))<sup>(٢)</sup>.

ومن الممكن ان يكون المستشرق (فلهوزن) قد شخص السبب الدافع لبعض الصحابة في الثورة على الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ولكن ليس كل الصحابة الذين اشار اليهم في قوله المتقدم، فقد جعل الإمام علي (عليه السلام) واحدا منهم، والحقيقة غير ذلك تماما، لان الإمام علي (عليه السلام) لو كانت غايته الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، لما رفض تسلمها بادئ الامر بعد ان تحقق له ما يريد حسب اعتقاد فلهوزن.

(١) ينظر، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ص ٤٨، ٤٩.

لذلك نجد في قول الإمام علي (عليه السلام) ما يفند كلام المستشرق فلهوزن وغيره، فقد ذكر في اشارة منه الى دفاعه عن الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فقال:

((والله، لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثمًا))<sup>(١)</sup>.

يضاف الى ذلك وحينما ارسل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بطلب الى الإمام علي (عليه السلام) بالتدخل من اجل تزويده بالماء عندما حاصره طلحة وجماعته، فقال عثمان (رضي الله عنه): ((ان فلانا يعني طلحة - قد قتلتني بالعطش او القتل بالسلاح اجمل من القتل بالعطش))، فخرج الإمام علي (عليه السلام) الى دار الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وامر طلحة بان يزوده بالماء، ولكنه لم يستجب، فدار سجال بين الإمام وطلحة، وخرج الإمام علي (عليه السلام) وارسل براوية من الماء الى الخليفة المحاصر<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكن ان نعد موقف المستشرق الانكليزي (مونتغمري واط Montygomery Wat) من الخلافة مختلفا عن سابقه، حيث ذكر بان في عصر ما قبل الإسلام لم يكن هناك قانون يحق للابن البكر ان يستخلف ابيه في رئاسة القبيلة، ولكن من النادر جدا ان يموت شيخ قبيلة ما قبل ان يصبح ابنه الاكبر في السن اذا كان ذا كلمة مبكرة، هو الذي يقود العشيرة، وهذا على حد قول (واط) ربما ينطبق على الخلفاء الراشدين الذين حكموا الدولة الإسلامية اذا ما اعتبر المهاجرون الاوائل على انهم عائلة منفردة او قبيلة منعزلة، واطاف (واط) بانه من الخير لهذه الجماعة ان يكون الخليفة هو الشخص المؤهل، وقال

(١) نهج البلاغة / الخطبة ٢٤٠، محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج ٢/٢٣٣.

(٢) ينظر، الطبري، تاريخ، ٣٥٨/٤، محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ١٤٨/٢، ١٥٣، ١٥٤.

واط بعد ذلك ((ورغم ان الشيعة فيما بعد بالغوا في حقيقة ان عليا يعود نسبه الى محمد ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وقبيلة هاشم، الا ان هذا ليس بالضرورة ما اهله لان ينصب خليفة في عام ٦٥٦ م، وتم اختياره فيما بعد لانه كان من ابرز المهاجرين الذين بقوا على قيد الحياة))<sup>(١)</sup>.

واضاف (واط) بان المسلمين المتواجدين في المدينة قد انتخبوا عليا (عليه السلام) وكان انتخابه على اية حال لم يقر بالاجماع بسبب رفض معاوية مبايعته يضاف له قليل من المكيين الذي ينحدر منهم ابو بكر (رضي الله عنه) وعمر (رضي الله عنه) ممن رفعوا السيوف في وجه الإمام علي (عليه السلام)، وقد غادر الإمام علي (عليه السلام) المدينة متوجها الى الكوفة ليكون قريبا من العمليات العسكرية، وختم (واط) كلامه عن الإمام علي، بقوله:

((ولم تزد الخلافة عليا شرفا ولا منصبا))<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لنا من الكلام المتقدم لـ (واط) بانه اراد القول ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستخلف احداً، وان ما ورد على لسان الشيعة حول صلة القرابة التي بينه وبين الإمام علي (عليه السلام) لم تكن هي المقياس في انتخاب الإمام علي (عليه السلام) للخلافة، وبذلك فان (واط) لم يتعرض للروايات التي اكدت استخلاف الإمام علي (عليه السلام) مذ كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على قيد الحياة.

(١)Wat, Montygomery , Islam and Integration of Society, London Routled and Kegan Paul,p.١٦٥.

(٢)Wat,Aslam and the integration of society , p.٩٧, ٦٥.

ولم يكن (واط) دقيقاً في قوله بان انتخاب الإمام عليا (عليه السلام) لم يقر بالاجماع، ولا نبالغ اذا ما قلنا بان بيعته في شرعيتها تفوق البيعات الثلاثة السابقة، لانها جاءت عفوية وبالجملة عامة الناس.

فوجد عند الطبري ما يشير الى ذلك بوصفه للبيعة قائلًا:

((اتاه اصحاب رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم﴾ فقالوا... لا بد للناس من امام ولا نجد اليوم احداً احق بهذا الامر منك، لا اقدم سابقة ولا اقرب من رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم﴾، فقال: ((لا تفعلوا، فاني اكون وزيراً خيراً من اكون اميراً، فقالوا ما نحن بفاعلين حتى نباعك، قال: ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون الا عن رضا المسلمين.... وابي هو الا المسجد، فلما دخل، دخل المهاجرون والانصار فبايعوه، ثم بايعه الناس))<sup>(١)</sup>.

لقد وصف الشيخ المفيد هذه البيعة قائلًا: ((ثبتت البيعة لأمير المؤمنين باجماع من حوته مدينة الرسول ﷺ عليه وآله وسلم﴾ من المهاجرين والانصار واهل بيعة الرضوان، ومن انضاف اليهم من اهل مصر والعراق في تلك الحال، من الصحابة والتابعين باحسان))<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الانكليزي ((بودلي)) فقد اشار الى خلافة الإمام علي (عليه السلام) فذكر انه بعدما انتهى المسلمون من دفن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اجتمع مجلس الشورى الذي حدد اسماء الخليفة عمر (رضي الله عنه) قبل ان يقتل، وعرضت الخلافة على الإمام علي (عليه السلام) اولاً،

(١) الطبري، تاريخ، ٤/٤٢٧.

(٢) الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤٢.



على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الشيخين، فقبل الشرطين الاولين ورفض الثالث، وعرضت الخلافة على عثمان (رضي الله عنه) بالشروط نفسها، وعلق بودلي على هذه الحادثة بالقول: ((ولما كان عثمان﴾ اقل اخلاصا من علي فقد قبل الشروط بدون اعتراض))<sup>(١)</sup>.

وتطرق بودلي الى بعض الاحداث في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بايجاز، فبعد ذكره مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قال بودلي ان الإمام علي (عليه السلام) قد هيا امره بسرعة وعرض نفسه من اجل الخلافة، وكانت هناك معارضة طفيفة، اذ ان معاوية بن ابي سفيان كان في دمشق ولا يدري ما يجري في المدينة، في الوقت الذي فر كل من الزبير وطلحة ليلتقيا بعائشة -رضي الله عنها- التي كانت ترتب الحوادث من مكة، وكان البارزون الاخرون مشغولين بمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فلم يكن عندهم الوقت الكافي ليفكروا في امر الخلافة، فتمكن الإمام علي -عليه السلام- من ان ((يفرض ترشيحه))<sup>(٢)</sup>.

وقال بودلي ايضا: ((وفي خلال اسابيع قليلة من توليه﴾ الخلافة﴾ كان من الواضح انه سيكون من السهل على المقربين منه ان يحركوه كما كان الحال وعثمان، وان ذلك فقط ما يبغيه مناصرو خلافة الفاطميين ليأملوا في المناصب الهامة في الادارة المدنية والعسكرية للدولة الإسلامية))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٤٢٠.

(٢) ينظر، حياة محمد، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) حياة محمد، ص ٤٢٣.

ولا يمكن ان يكون ما قاله المستشرق (بودلي) دقيقا بل ان في بعضه تناقضا، ففي الوقت الذي قال بان الإمام عليا (عليه السلام) قد رفض الخلافة حينما عرضت عليه اولا بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لاقترانها بشرط العمل بسيرة الشيخين، نجده يقول في موضع آخر بان الإمام عليا (عليه السلام) قد هيا وعرض نفسه بسرعة من اجل الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وحقيقة الامر لو كانت غاية الإمام الخلافة، لكان بإمكانه التصرف عندما تهيأت الفرصة له حين عرضت عليه اولا من دون الالتزام بشرط العمل بسيرة الشيخين، ولكن الإمام علي (عليه السلام) اراد خلافة مقرونة بتطبيق مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تؤكد على احترام العهود والمواثيق.

ومن جانب اخر ذكر بودلي بان الإمام عليا (عليه السلام) قد فرض ترشيحه للخلافة، في حين ذكرت اغلب المصادر عكس ذلك تماما، فهو ابدى رفضه تسلم الخلافة لانه لم يجد في نفسه القدرة على تحمل هذه المسؤولية، بل لتردي اوضاع الدولة الى الحد الذي يصعب معها الاصلاح دون اللجوء الى الحروب او المساومة على مبادئ الإسلام، مما جعله ولشدته في الحق ان يفضل سلوك الطريق الاول في بداية الامر.

وقد اشارت بعض مصادرنا الإسلامية الى عدم رغبة الإمام علي -عليه السلام- في تسلم الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان -رضي الله عنه-.

فقد ذكر الطبري بان الناس قصدوا الإمام عليا -عليه السلام- وقالوا له: ((نبايعك، فقد ترى ما نزل بالإسلام، ما ابتلينا به من ذوي القربى))<sup>(١)</sup>، فقال لهم الإمام علي (عليه السلام): ((دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشكك الله، الا ترى ما نرى! الا ترى الإسلام! الا ترى الفتنة! الا تخاف الله! فقال: قد اجبتكم لما ارى، واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم، وان تركتموني فانما انا كاحدكم، الا اني اسمعكم واطوعكم لمن وهبتموه امركم))<sup>(٢)</sup>.

اما المستشرق الفرنسي (ولا ستون Wollaston) فقد وصف ما الت اليه اوضاع الدولة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بانه اضطراب ليس بالقليل، نتيجة لأنقسام المسلمين في اختيار الخليفة، مما ادى الى ان يتقدم بعضهم الى الإمام علي -عليه السلام- لكي يرغبوه في السلطة، ولكنه رفض ذلك، وظلوا يصرون على ان ليس هناك احد اصالح منه سواء من ناحية مآثره ام قرابته من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وازاف (ولا ستون) القول:

((لكن يد الله (كما يحلو لبعض المؤرخين ان يسموه بها) كان عنيدا ولم يقبل بالامر الا بعد ان جاءه ﴿الغافقي بن حرب﴾ زعيم المدينة المنورة مستغيثا بتقواه ومناشدته بالله ان يتقلد الامر حفاظا على الدين. ولكن هل كان عليا

(١) تاريخ، ٤/٤٢٧، ابن الاثير، الكامل، ٣/٨٤، النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون العرب، تحقيق عبد المجيد ترميني، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - ١٤٢٤هـ)، ج ٩/٢٠٩.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٩٢.

مدركا من ان اعداءه ليس بالقليلين عددا ولا بالضعيفين نفوذاً؟ بحكمة اصر علي ان تتم مبايعته علنا في المسجد<sup>(١)</sup>.

وتابع (ولاستون) سير الاحداث بعد تسلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة، فذكر الاجراء الاداري الذي اتخذه الإمام علي (عليه السلام) بعزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على الرغم من اعتراضات بعض الاصدقاء المخلصين، وانتقد ولاستون هذا الاجراء بوصفه ((طيشا غير ضروري)) تمخض عنه اثاره الخطر المحقق من الاعداء، قبل التمكن من تحصين اركان الدولة، فاقب عملية العزل السريع حال من التذمر وانبرى عن ذلك ظهور كتلة ساخطة كانت بتحريض رجلين من ذوي النفوذ وهما طلحة والزبير، ومما زاد في اشعال نار الحرب ضد الإمام علي (عليه السلام) هو ((سلوك الحاقدة عائشة زوجة النبي المفضلة)) على حد تعبير (ولاستون)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو ان المستشرق ولاستون قد ردد مأخذ غيره على الإمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بتمسكه برأيه في تغيير الولاة السابقين في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فوصف ذلك الموقف على انه عناد.

وبدأ بعض المستشرقين عند حديثهم عن الخلافة بمقدمة عن الشيعة او السُنّة لارتباطهما الشديد بالموضوع، لذلك ذكر المستشرق الامريكي (باتون Walter M. Patton) بان اصطلاح الشيعة هو اصطلاح جمعي ويعني (الحزب) او (الاتباع)، وهذا الاصطلاح ينطبق على انصار ال (بيت) علي (عليه السلام)،

(١)Arthur , N.Wallaston , Half Hours with Mohammad , London , co , limited ,

3water ١٠ , Pall Mall , s.w. ١٨٩٢ , p.٩٦

(٢)Wallaston , Half Hours , P.٩٧.

ابن عم النبي وصهره، ومنذ الايام المبكرة للاسلام قاما بتشكيل طائفة، والتسمية الكاملة لها هي شيعة اهل البيت، أي اتباع اسرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، واذاف (باتون) بان هناك اصطلاح اخر وهو (العلويين)، ويحتوي هذا المصطلح على مضمون سياسي كونه يشير الى ((مزاعم)) ال (بيت النبي) (عليه السلام) بالخلافة، وعلى الرغم من ((مزاعم)) الشيعة والاحاديث التي استندوا عليها، الا انه ليس هناك اثر يعتمد عليه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشير الى ان الإمام علي (عليه السلام) وسلالته هم خلفاء النبي في قيادة الإسلام، ويضيف (باتون) القول: ((يزعم الشيعة ان النبي سمى وبشكل محدد علي واولاده عند بركة الغدير و اشار في مناسبات مختلفة الى تفضيله لعلي، وهناك اشارات مستترة في القرآن تضع عليا في مصاف النبي في الفضيلة وترفعه فوق مستوى البشر، وذلك عندما تفسر مجازيا (تأول) بان النبي هو الشمس وعلي هو القمر))<sup>(١)</sup>.

ويؤكد (باتون) ان مسيرة الاحداث في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما بعده تناقض هذه الحجج مما يؤدي الى ابطالها ((الغائها))، لذلك يجب دراسة ((المزاعم)) العلوية في ضوء الحقائق التاريخية، ومن بينها ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض ان يسمى خليفته، وان الخليفين ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد انتخبهم المجتمع الإسلامي، في حين لم يجمع في تسمية الخليفة الثالث بشكل حاسم، حيث عرضت الخلافة اولا على الإمام علي

(١)Walter M.Patton , Encyclopaedia of Religion and Ethics , Edited by James Hasting , Edinburgh.p. ٤٥٣ , ٤٥٤

(٢) I, bid.p. ٤٥٣,٤٥٤

(عليه السلام) شريطة ان يتعهد بالولاء للمصالح التقليدية للاسلام، لكنه لم يكن متاكدا من جوابه، وتم اختيار الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وعندما قام الإمام علي (عليه السلام) وحزبه بتأييد المتأمرين معنويا عندما اغتالوا الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، اخذ معاوية بالمطالبة بدمه، وحتى عندما الت الامور الى الإمام علي (عليه السلام) لان يكون خليفة منتخب، فانه لم يكن راغبا بالمراجعة باي شيء ضد حقوقه القانونية ولو امكنه لتخلص من الانتخاب. وتقريبا فان الثائرين واصحابه اجبروه على قبول الخلافة<sup>(١)</sup>.

واراد (باتون) جزافا ان يثبت عدم رغبة الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة راجع الى كونه غير مؤمن في الحق الالهي لاهل البيت في الخلافة، ويضيف (باتون) القول: ((ونتيجة لذلك لم يكن هناك شيعة او حزب يحمل ذلك الاعتقاد (= الايمان بالحق الالهي)، والانكى من ذلك فقد اتهم (باتون) اتباع الإمام علي (عليه السلام) بتزوير الحجج المتطلعة لاقامة الحق الالهي للإمام علي (عليه السلام) واهل بيته كي يحكموا المجتمع الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

ويبدو ان (باتون) قد انساق وراء الروايات التي تدعي ان الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يسم خليفة من بعده، وبهذا جفاء للانصاف، يضاف الى ذلك وصفه روايات الشيعة على انها مزاعم في حين اخذ بالروايات السننية التي تدعي عدم استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدها حقائق، وبذلك لم يَف (باتون) بوعوده التي قطعها على نفسه بالرجوع الى

(٣) I, bid.p. ٤٥٤

الحقائق التاريخية وانما لجأ الى اقتباس الاحكام الجاهزة، متهما الشيعة بانهم قد زوروا الحقائق.

وحول المستشرق الانكليزي (ترتون A.S.Tritton) قضية ارض (فدك) التي طالبت بعائديتها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الى قضية سياسية ارتبطت بموضوع الخلافة.

قال (ترتون) بصدد ذلك: ((كانت لمحمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ارض تدعى (فدك)، وبموته طالبت بها عائلته، تقلبات هذا الجدل لا تعنينا باي حال من الاحوال، ولكن مضمونا سياسيا قد يقرأ بين سطوره، تقول احد التقاليد او الاعراف ((بان الانبياء لا يورثون، ما يترك يذهب للملكية العامة او الاعمال الخيرية)). المضمون السياسي لهذا القول هو ان نسل علي ليس لهم الحق بالخلافة وان هذا الحق منوط بالجماعة))<sup>(١)</sup>.

واضاف (ترتون) بان الشيعة قد فسروا مضمون هذا النص بشكل مختلف اذ انهم يعتقدون بان ما ترك لاعمال الخير لا يمكن ان يورث ولكن عدا ذلك ممكنا، وهذا ما يدعم ادعاء الشيعة وكان منطلقا ((لادعاء)) الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة لانه احد اقرباء الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن قسم من اتباعه عدوا هذا الامر مخالفة لسلطة الله وخرجوا ضده، ومن هنا جاءت تسمية الخوارج<sup>(٢)</sup>.

(١)A.S. Tritton, Islam Belief and practices , Hutchinson.

(٢)Ibid , p. ٣٣

ويمكننا انتقاد (ترتون) من وجوه عدة، فبالرغم من اشارته الى الارتباط بين الخلافة والارث، فعندما رفض الارث كقضية اقتصادية، رفضت الخلافة كقضية سياسية وكلاهما ينصبان في موضوع النص من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الا ان الإمام علياً (عليه السلام) لم يحتج بهذا الامر، من جانب اخر فقد خلط (ترتون) بين احداث التاريخ، ففي الوقت الذي يتحدث فيه عن ((ادعاء)) الإمام علي (عليه السلام) بانه هو الذي يخلف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يذكر ان جماعة قد انكروا هذا الامر وسموا بـ (الخوارج)، والمتبع لاحداث التاريخ يعلم بان نشاط الخوارج بدأ بانشقاقهم عن الإمام علي (عليه السلام) بعد معركة صفين (٣٧هـ / ٦٥٧م).

واطل المستشرق الفرنسي (الفريد جيوم) بكلام اكثر واقعية من غيره حين يذكر ان الإمام علي (عليه السلام) حاول اثبات حقه في الخلافة كونه قد عزل عنها عن طريق ((الخدیعة)) وان كان قد ((ظَلَّ)) في نظر الجماعة الإسلامية المحافظة.

ويضيف الفريد جيوم القول بان الإمام علي (عليه السلام) كان اخر الخلفاء الراشدين الحقيقيين، ولكنه قد اقصى عن اهم المناطق التي استولى عليها المسلمون الاوائل، وهي الشام التي تمتلك قوة حربية مدربة الى احد ما. وختم (الفريد جيوم) كلامه بقوله:

((اغتيال علي بن ابي طالب لسوء الحظ على يد الخوارج سنة ٦٦١م وتنازل ابنة الحسن عن حقه بالخلافة))<sup>(١)</sup>.

(١) الفريد جيوم، الإسلام، ص ١١٣، ١١٤.



وفي اطار الخلافة، ادلى المستشرق الالماني (شبولر Vonbartold Spuler)

بقوله:

((لقد كان علي في الحقيقة شخصية شجاعة وشريفة ولكنها فاشلة سياسيا حيث لم يفلح علي بايجاد تسوية وكان عليه ان يدافع عن حقه بحد السيف))<sup>(١)</sup>.

وحقيقة الامر ليس كما يعتقد (شبولر)، لان الإمام علي (عليه السلام) اراد بسكوته عن حقه في الخلافة ان يجنب المسلمين اراقه الدماء، ولا سيما ان الاوضاع التي اعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت حرجة جدا، ليحافظ بذلك على وحدة المسلمين رغم ضياع حقه.

ويحمل المستشرق الالماني شاخت انطبعا مماثلا لما ابداه شبولر حول ضرورة استخدام الإمام علي (عليه السلام) القوة في سبيل الاحتفاظ بالخلافة، اذ يقول شاخت:

((من الصعب وصف علي بن ابي طالب بعد البيعة التي حازها انه صاحب سلطة، اذ كان عليه ان يحاول انتزاعها، اذا قرر ان تلك السلطة هي امتداد لما تمتع به سابقوه التي تجد جذرها المعتقدي انطلاقا من اعتبار انه لا يوجد الا اله واحد وقانون الهى واحد، ويجب ان يكون هناك حاكم اعلى واحد على الارض يمثل الله ويطبق القانون))<sup>(٢)</sup>

(١) Spuler , Vonbartold , Geschichte Der Islami Chen Lander , Leiden , E.J.Brill, ١٩٥٢, p. ٣٦.

(٢) شاخت، جوزف، وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت- ١٩٩٨م)، ٢١٧/١.

## ((المبحث الثاني))

### الدراسات الاستشراقية التي تبنت الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي (ع)

يذكر بعض المستشرقين وكان من بينهم ادوارد براون ( Edward Browne) وجهة النظر الشيعة التي تؤكد بان النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عين ابن عمه علي بن ابي طالب (عليه السلام) كقائد روحي للإسلام كي يخلفه، ويخرج هذا المستشرق بنتيجة فحواها، ان كل من الخلفاء الثلاثة قد اغتصبوا حق الإمام علي (عليه السلام) بالتوالي، ورغم انه انتخب كخليفة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الا انه اغتيل بعد فترة وجيزة من الحكم المضطرب الذي استمر خمسة سنوات (٦٥٦-٦٦١م)<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق (ليونارد بندر Leonard Binder) فقد سلك منهج المستشرق الذي سبقه وهو (ادوارد براون)، فقد قال: ((شيعة الإسلام تختلف عن سنة الإسلام في موضوع الخلافة المبكرة بعد وفاة النبي محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم) ... ان الموقف الجوهري للشيعة ينصب على ان محمداً قد عين صهره خليفة له لكن الاخرين الاقل كفاءة دبروا امر اغتصاب الخلافة، وكان الخليفة الثالث عاجزاً عن كبح جماح اقاربه المرشيين اذ ان عجزه ادى الى اندلاع

(١)Edward. Browne , Encyclopedia of religion and Ethics , vol , II P.٢٩٩.

احتجاج عنيف قُتل الخليفة فيه، واعترف بعلي عموماً ليصبح الخليفة الرابع إلا أن خلفته القصيرة الأمد قد سادها النزاع<sup>(١)</sup>.

وأضاف (بندر) بأن الخلافة الأموية جاءت بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) واستخدمت الحزم والقمع مع كل من يطالب بخلافة العلويين، وأفضع حادثة تمثل هذا القمع هي استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) الابن الثاني للإمام علي (عليه السلام) مع مجموعة من أنصاره في كربلاء، وبالنسبة للشيعة فإن الخلافة الأموية وبعدها الخلافة العباسية لم يكونا أبداً شرعيتين، وإن الشرعية الحقيقية لجمهرة الإسلام تكون في الأئمة الاثني عشر الذين ينحدرون من سلالة الإمام علي (عليه السلام) ومن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبر السيدة فاطمة (عليها السلام)<sup>(٢)</sup>.

وأفرزت دراسة المستشرق الألماني (شتورثمان R. Strothmann) عندما حاول الربط بين التوقيت الذي ظهرت به ((الشيعة السياسية)) وبين المطالبة بأن يكون الإمام علي (عليه السلام) خليفة للرسول، عن رأي بعيد كل البعد عن الحقيقة التاريخية، وهو أن الشيعة نظروا إلى الصحابة الذين بايعوا الخليفة أبا بكر (رضي الله عنه) على أنهم مرتدين.

وعبر (شتورثمان) عن رأيه هذا بقوله: ((واقدم وقت قامت به الشيعة السياسية وبعبارة أدق شيعة علي هو منذ وفاة النبي (عليه السلام)، أما إذا أخذنا بروايات الشيعة، فإن الشيعة الأولى، كانت تتألف من ثلاثة أشخاص: هم سلمان

(٢) Leonard Binder , The Ideological Revolution in the middle east , Department of political science university of chicago. p.٣٢.

(٣) Ibid , p.٣٢.

الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود الكندي، فهؤلاء فيما يزعم الشيعة كانوا وحدهم (وبعض الروايات تذكر اسماء اخرى قليلة) الذين دعوا بعد وفاة النبي (عليه السلام) الى ان يكون علي هو خليفة النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾، أي انهم في رأي الشيعة لم يرتدوا عن الدين، وذلك ان مبايعة سائر صحابة النبي لابي بكر عدت في نظر غالبية الشيعة (ردة)<sup>(١)</sup>.

وزاد (شتورثمان) بان اهم ما كان تبغيه الشيعة هو ان تبقى الامامة في الإسلام للعلويين، باعتبارهم (آل بيت) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما لم يتحقق، فخلافة علي (عليه السلام) القصيرة بين عامي (٣٥ و٤٠هـ) لم تكن سوى خلافة لم يجمع عليها المسلمون وتنازعوا في شأنها تنازعا شديدا، اما ابنه الحسن والكلام لـ (شتروثمان)، فانه لا يمكن ان يسلك ((بحق في عداد الخلفاء))<sup>(٢)</sup>.

وما ذكره المستشرق (شتورثمان) يعد كلاما غير دقيق كونه لم يرد على لسان الشيعة الاوائل او مؤرخيهم بان كل من بايع الخليفة ابا بكر (رضي الله عنه) هو مرتد، بل ان كلمة رده قد اطلقت على الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-.

اما قول شتروثمان بان الإمام الحسن (عليه السلام) لا يمكن ان يحسب في عداد الخلفاء، فهذا الكلام مرفوض ولا تقره المصادر الإسلامية، فان الإمام الحسن تولى الخلافة بشرعية كاملة وبويع من قبل المسلمين، وبعد عقد اتفاقية مع معاوية تنازل عن الخلافة (بصفتها الدنيوية) وفق شروط مدونة.

(١) شتروثمان، س، دائرة المعارف الإسلامية، مادة شيعة، ص ٥٨.

(٢) شتروثمان، دائرة المعارف الإسلامية، مادة شيعة، ص ٥٩.

اما المستشرق (اميل آيسن Emel Esin) فلم يفصل بخصوص خلافة الإمام علي (عليه السلام) واكتفى بالقول:

((استلم الامر عليا ابن عم محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره كرايع واخر الخلفاء الراشدين ويبدو ان بعض اتباعه بدأوا بتبجيله هو وابناءه كاصحاب الحق المقدس بالخلافة ايمانا قاد الى اختلاف دائم في العالم الإسلامي))<sup>(١)</sup>.

واطل المستشرق (سودر بلوم N.Soderblom) بوجهة نظر اشار فيها الى ان الخلافة عند الشيعة المعتدلين لا تأخذ صفة التجسيد (incarnation) بمعناه التام، ولكن اعتقادهم بان حق الخلافة يعود الى اسلاف الإمام علي (عليه السلام)، وهو ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج فاطمة (عليها السلام)، يستند الى صلة قرابة الدم والامر الالهي وليس كما يعتقد السنة بان الخلفاء يجب انتخابهم او تعيينهم من عامة الناس<sup>(٢)</sup>.

واضاف (سودر بلوم) القول بان نظرية الائمة تستند على العديد من الركائز، وان التعاقب السماوي لهؤلاء الائمة نابع ليس من كونهم ينحدرون من عائلة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ومواهبهم فوق البشرية فحسب، بل لامتلاكهم جوهر نور سماوي، وهي قوة الهية او جزء من الله -سبحانه وتعالى-، وانها روح الله التي انحدرت من ادم (عليه السلام) الى سلسلة من الرجال الالهيين ووصلت الى سلف النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وعلي (عليه

(١)Emel Esin , Mecca the Blessed Madinah the Radiant , p.١٢٤

(٢)N,Soderblom , Encyclopaedia of religion , and Ethics , vol,Vii,p.١٨٣

السلام) عبر فاطمة (عليها السلام)، لتنتهي هذه السلسلة بالإمام الغائب (عجل الله فرجه)، الذي سيظهر آخر الزمان<sup>(١)</sup>.

ويذهب المستشرق (فلهوزن) الى الاعتقاد بان اهل البيت يمتلكون علما غزيرا مستمدا من علم النبوة، وقد اوضح اعتقاده هذا خلال حديثه عن يوم المباهلة الذي قال فيه:

((ولله المحاكمة -المباهلة- التي فيها اظهاره الوحيد لاختصاصه المطلق، جمع النبي اهله -الخمسة- الذين دثرهم بدثاره وهم حفيدها وابنته وزوجها، رهائن على ايمانه برسالته النبوية. ومنذ ذلك الحين تحول عند بعض صحابة النبي ما كانوا يحملون من مودة نحو الخمسة الى حب عباده))<sup>(٢)</sup>.

ويعد المستشرق (دونلدسن) واحدا من ابرز المستشرقين الذين اولوا موضوع الخلافة اهتماما في كتابه (عقيدة الشيعة)، لانه اعتمد في دراسته مصادر ومراجع متعددة واستخدام اليات البحث التاريخي للوصول الى النتائج المقنعة، وقد احتلت الروايات الشيعية عنده المقام الاول، ففي قضية الخلافة بدأ كلامه بقول اكد فيه بان دراسة احداث التاريخ بامانة يتطلب فحص الاخبار التي حيكت في سدى التاريخ عند المسلمين، وهو يرى في المقام الاول ان الشيعة يعلقون اهمية كبرى على الخبر الوارد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عودته من حجة الوداع. حيث نزل مكانا يعرف بـ (غدير خم) وفيه اعلن لمن كان معه رغبته في جعل الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده، ونقل

(٣) Ibid , p.١٨٣

(٢) ما سنيون، لويس، سلمان الفارسي والبواكير الروحية للاسلام في ايران، ترجمة، الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، (الكويت - ١٩٧٨م)، ص ٤٥.

(دونلدسن) رواية لليعقوبي الذي وصفه بانه مؤرخ عربي قديم اشتهر برواية الاخبار المؤيدة للعلويين وميله اليهم<sup>(١)</sup>.

قال في هذه الرواية: ((وخرج (صلى الله عليه وسلم) منصرفا الى المدينة فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدیرخم لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وقام خطيبا واخذ بيد علي بن ابي طالب فقال: الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه... ثم قال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: ايها الناس انني فرطكم وانتم واردون علي الحوض واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، قالوا، وما الثقلان يا رسول الله؟ قال الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تبدلوا، وعترتي اهل بيتي))<sup>(٢)</sup>.

وذكر (دونلدسن) رواية يقول انها للمسعودي مفادها ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند انصرافه من غزوة الحديبية وقبل النزول (بغدير خم) باربع سنوات كاملة قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))<sup>(٣)</sup> ولم يجد الباحث في كتاب المسعودي ما يشير الى هذه الرواية.

وقد عقب (دونلدسن) على هذه الرواية بالقول:

((ان تكرار هذا القول الاساسي نفسه للرسول في الحالتين يدل بوضوح على احتمال كون احدهما تكرار للثاني. غير ان هناك ما يستدل به من تسلسل

(١) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٢٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ج ١٠٢/٢، دونلدسن، عقيدة، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٢٢، ٢٣.

الحوادث احتمال اعادة الرسول هذا القول في الحالتين. فعندما غزا الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ الحديبية سنة (٦) للهجرة لم يكن له ولد وكان حفيده الحسن والحسين ابنا علي وفاطمة لا يزالا طفلين عمر اولهما ثلاث سنوات وعمر الاخر اربع. ولا يمكن ان يخلفه حفيده الا اذا اعترف بعلي خلفا له، فانه ليس من عادة العرب رد النسب الى البنت))<sup>(١)</sup>.

ويضيف (دونلدسن) القول بانه لا يغرب عن بال احد من ان عليا (عليه السلام) لم يكن هو ابن عم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره فحسب، بل ان ابا طالب كفل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ورباه وحماه فلا غرو ان يرغب الرسول في ان ينظر المسلمون الى الإمام علي (عليه السلام) نظرهم الى المرجع الثاني في الاهمية من بعده، فيحتمل انه قال في اثناء غزوة الحديبية ((من كنت مولاه فعلي مولاه))<sup>(٢)</sup>.

ويسلك (دونلسن) اتجاها آخر عند تحليله لقضية ان يكون الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مقتنعا بخلافة الإمام علي ام لا، فقد جعل من حادثة زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ثلاث زوجات وتسريه باثنتين في الستين السادسة والسابعة من الهجرة بانه دلالة واضحة على عدم قناعته في امر

(١) ينظر، عقيدة، ص ٢٣.

(٢) ينظر، دونلسن، عقيدة الشيعة، ص ٢٣، ٢٤؛ وروى هذا الحديث كل من ابن حنبل في مسنده، ج ١/١٤٨، وفي فضائله، الصفحات ١٢٩، ١٥٩، ١٨٠، واخرجه الترمذي في سننه وقال عنه حديث حسن، وزاد فيه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وادر الحق معه كيفما دار وحيث دار، السنن، ص ٨٧٩؛ ورواه اخرون.



من يخلفه في بيته عن طريق الإمام علي (عليه السلام)، حيث كان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الرغبة في الحصول على ولد من صلبه، وقد تحققت له هذه الرغبة في السنة الثامنة للهجرة حينما ولدت له زوجته القبطية مارية، ولدا اسماه ابراهيم، ففرح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) به فرحا شديدا ونحى له في اليوم السابع كبشا وتصدق بوزن شعره من الفضة وامر بدفن الشعر، وتساءل دونلسن بعد ذلك السؤال الاتي:

((فهل خطر لمحمد ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ان يحصر المركز الديني ويجعله ارثا في بيته؟ انه سؤال يصعب البت فيه، فيما يتعلق بابراهيم، فان هذا لم يدرك الستين، ويمثل ما رد به الرسول على ازواجه في اهتمامه الخاص بمارية ام ابراهيم، فانه اغتم غما شديدا بموت ولده، حتى لم يجرؤ احد الصحابة على التخفيف عنه)) وتساءل (دونلدسن) ايضا: ((هل ان ما يروى عن بيعة علي في غدير خم هو نتيجة لما اصاب النبي اخيرا من الخيبة بوفاة ابراهيم، مضافا الى ذلك حقيقة عدم حمل نسائه الاخريات اللواتي تزوجهن حديثا باولاد له... وتدعي الشيعة ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) كرر بعد (٩) اشهر من موت ابراهيم في الثامن عشر من شهر ذي الحجة اعلانه ((من كنت مولاه فعلي مولاه))<sup>(١)</sup>.

ويمكننا الاجابة على تساؤلات (دونلدسن) السابقة بان الرسول محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان على قناعة تامة بان يجعل الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده وقد اشار الى ذلك قبل صلح الحديبية وقبل زواجه في السنة السادسة وقبل مجيء ولده ابراهيم (عليه السلام)، وكان ذلك عندما نزل

(١) عقيدة الشيعة، ص ٢٤، ٢٥.

قول الله سبحانه وتعالى: (وانذر عشيرتك الاقربين)<sup>(١)</sup>، فدعا اقرباءه الى اعتناق الدين الإسلامي فلم يستجب لدعوته سوى الإمام علي (عليه السلام)، حينها قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) قوله المشهور: (انت وصيي ووزير وخليفتي من بعدي))، وهذا الوعد لم يصدر من شخص عادي وانما هو رسول الله ولا ينطق عن الهوى.

ويذكر دونالدسن قولاً لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) أكد فيه ان الثامن عشر من ذي الحجة هو عيد الغدير، وهو غدير خم، وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير او بطيحة، ويقال ان رسول الله لما عاد من مكة بعد حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة وقف في خم وأخى علياً بن ابي طالب (عليه السلام) وقال: ((علي مني كهرون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله))<sup>(٢)</sup>.

وعلق دونالدسن في نهاية هذه الرواية بالقول: ((ويعلق الشيعة على هذا الحديث اهمية كبرى))<sup>(٣)</sup>.

ونقل دونالدسن عن العلامة الشيعي محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) خلاصة الحديث عما جرى في غدير خم، حيث ذكر بان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نزل في غدير خم وهو مكان لم يكن نزول المسافرين فيه متعارفاً عليه، وانما السبب في نزوله هناك ما انزل عليه في القرآن الكريم بلزوم نصب الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده، وقد انزل عليه ذلك عدة مرات

(١) الشعراء / ٢١٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٤٥/٤، ٣٤٤، دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص ٢٥.

(٣) دونالدسن، عقيدة، ص ٢٥.

ولم يعين الوقت لتبليغ ذلك الامر، وقد اخر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- هذا الامر خشية اعتراض الناس، ولو جاوز ذلك المكان أي غدير خم لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة ناحية، فامر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بالاجتماع، وقد انزل الله سبحانه وتعالى عليه ((يا ايها النبي بلغ ما أنزل اليك من ربك، فان لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس))<sup>(١)</sup>.

وكان ذلك الامر بنصب الإمام علي (عليه السلام) خليفة هو سبب نزول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه في ذلك المكان. وكان الهواء في غاية الحرارة والمكان مملوء بالاشواك، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء. وامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينصب له منبرا من اقطاب الابل، فلما نصب له واجتمع الناس ارتقى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر ودعا عليا (عليه السلام) للوقوف الى يمينه، وبعد ان حمد الله واثنى عليه اخبر الناس بدنو اجله قائلا: ((ولقد دعيت الى ربي واني مجيب، واني مغادركم من هذه الدنيا واني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، ولن يتفرقا حتى تردا علي الحوض، ثم قال: الست اولى بكم من انفسكم؟))، قالوا (نعم)، فاخذ بيد الإمام علي (عليه السلام) ورفعها حتى بان بياض ابطنه، وقال ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)). فلما نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المنبر صلى صلاة الظهر ثم ذهب الى خيمته وامر بنصب خيمة بجانب خيمته لامير المؤمنين. فجلس علي (عليه السلام) في خيمته وامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله

(١) المائة / ٦٧.

وسلم) الناس ان يبايعوه بالامامة، ويسلموا عليه بامرة المؤمنين ففعلوا نساءً ورجالاً وسراً عمرً بذلك مثل غيره<sup>(١)</sup>.

وتطرق دونلدسن الى وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه واله سلم) معتمدا على ما رواه البخاري ومسلم، فقد جاء في حديث رواه كل من البخاري ومسلم، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دنت وفاته كان عنده في البيت عدة رجال من بينهم عمر بن الخطاب فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((اثنوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابداء)) فقال عمر (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله))<sup>(٢)</sup>.

واختلف الحضور فمنهم من قال قربوا له يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم ((قوموا ما ينبغي ان يكون بين يدي النبي خلاف))<sup>(٣)</sup>.

وذكر (دونلدسن) رواية لابن عباس (رضي الله عنه) قال فيها: ((ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغتهم)) وساق لنا (دونلدسن) روايات ما يعتقد

(١) ينظر، المجلسي، محمد باقر، حياة القلوب، تحقيق سيد علي اماميان، انتشارات، مؤسسة سرور، (قم - ١٣٨٤هـ)، ج ٤ / ١٣٨٩-١٣٩٩؛ دونلدسن، عقيدة، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) ينظر، البخاري، الصحيح، ص ٧٨١، مسلم، الصحيح، ص ٧٢٦؛ دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٢٨.

(٣) البخاري، الصحيح، ص ٧٨١؛ مسلم، الصحيح، ص ٧٢٦، دونلدسن، عقيدة، ص ٢٨،

بها اهل الجمهور، ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بين ذراعي عائشة (رضي الله عنها)، كما جاء ذلك في حديث مروى عنها، واورده نقلا عن كتاب (مشكاة المصابيح)<sup>(١)</sup>، وقال بعد ذلك: ((وليس من الغريب ان يكون لدى الشيعة حديث اخر عن اخر ساعات محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا يكون فيها لعلي وفاطمة الدور البارز بدلا من عائشة))<sup>(٢)</sup>.

وكانت احدى الروايات التي ذكرها (دونلدسن)، هي ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغ في مرضه الاخير بعض الاوامر ونزلت عليه سورة ((اذا جاء نصر الله))<sup>(٣)</sup> فساله علي (عليه السلام) اذا كانت هذه اخر كلماته، فقال: ((نعم يا علي فقد مل قلبي هذا العالم))، ثم قال بعد ذلك ((يا جبريل أعني وانجز لي وعدي)) ثم دعا عليا (عليه السلام) اليه فوضع راسه في حجره وتغيرت سحته وعرق جبينه، وكانت فاطمة (عليها السلام) جالسة قربه فلما رأت ذلك قامت حزينه واخذت بيدي الحسن والحسين (عليهما السلام) وجعلت تندب اباها. ففتح الرسول عينيه ووضع راسه على صدرها ودعا وقال اللهم هم فاطمة الصبر ثم قال:

((ابشري يا فاطمة فستكونين اول من يلحق بي))، واصبح يعالج سكرات الموت فاخذت تبكي بكاء شديدا فاراد الإمام علي (عليه السلام) اسكاتها فقال

(١) ينظر، ينظر التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ت ٧٤١هـ)، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق

الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت - ١٤٢٢هـ)، مجلد ١١/ ١١٤؛

دونلدسن، عقيدة، ص ٢٩.

(٢) دونلدسن، عقيدة، ص ٢٩.

(٣) النصر / ١.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((دعها تبكي اباها)) ثم اغمض عينيه واسلم روحه<sup>(١)</sup> وابدى دونلدسن رأيا في هذا الموضوع بعد المقارنة بين روايات اهل الجمهور والروايات الشيعية بقوله: ((ويميل الانسان الى التفكير بان هذا الحديث يمثل ما يراه الشيعة لاثقا بوفاة النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم﴾ اكثر منه ما حدث بالفعل ومهما كان الامر ما يفضلون الاعتقاد به على حديث عائشة))<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك ناقش (دونلدسن) عملية اختيار خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معتمدا في ذلك على مصادر مختلفة، ومستعرضا كل اوجه الخلاف التي نشأت بين المهاجرين والانصار، مبينا في الوقت نفسه فضائل كل منهم في الدعوة الإسلامية، وذكر (دونلدسن) بان بوادر الشقاق بين المهاجرين والانصار قد ظهرت قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فادرك ذلك وخاف ان يحدث خلاف بينهم، فصعد المنبر لآخر مرة وخاطب الناس قائلاً:

((اوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلكم، ان تحسنوا اليهم، الم يشاطروكم في الثمار؟ الم يوسعوا لكم في الديار؟ الم يؤثروكم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل عن محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، ابن سعد، الطبقات، ج٢/١٨٨؛ دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص٣٠.

(٢) دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص٣٠.

(٣) ينظر، البخاري، الصحيح، ص٦٦٩-٦٧٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢ / ١٩٣-١٩٤، فيما يتعلق بجزء من وصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للانصار التي اوردها دونلدسن، ص٣٠، ٣١.

وذكر (دونلدسن) بانه، بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اسرعت الانصار لتعمل على الاستئثار بالسلطة لنفسها، ونقل في صدد ذلك قولاً للطبري جاء فيه:

((انها ﴿الانصار﴾ اجتمعت في سقيفة بني ساعدة لتولية سعد بن عبادة، وبلغ خبر ذلك ابا بكر فانطلق هو وعمر وابو عبيدة بن الجراح اليهم وسألوا عن الخبر فقالت الانصار نختار اميراً، فقال ابو بكر (رضي الله عنه) منا الامراء ومنكم الوزراء وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين واخذ بيد عمر ويد ابي عبيدة فقال عمر ((ان رسول الله قد امر ابا بكر يؤم الناس وايكم تطيب نفسه ان يتقدمه)) ثم مديده وباع ابا بكر وباع الناس الا ان بعض الانصار قالوا لا نبايع الا علياً(((<sup>(١)</sup>.

واورد (دونلدسن) روايات مختلفة حول الجدل الذي دار لتولي الخلافة لا مجال لذكرها ومن الممكن الرجوع اليها في مصادرنا الإسلامية، ولكن الذي يهمنا هو النتيجة التي خرج منها دونلدسن حيث قال: ((ومما نستفيدة من هذه الروايات انها تبحث بصورة مباشرة وشخصية. وهي تؤلف قصصاً جيدة، فان اهم المسائل في سياسة الدولة تحل في معظم الاحيان بمقدمات رسمية بسيطة<sup>(٢)</sup>. ففي هذه القضية نرى انه عندما بلغ ابو بكر وعمر ((رضي الله عنهما)) منزل فاطمة هجموا في جماعة على الدار... فخرجت فاطمة وقالت والله لتخرجن...،

(١) تاريخ، ج ٢٠١/٣، ٢٠٢؛ ابن الاثير الكامل، ج ١٨٩/٢، دونلدسن؛ عقيدة، ص ٣١.

(٢) ينظر، عقيدة الشيعة، ص ٣٢، ٣٣.

فخرجوا وخرج من كان في الدار، واقام القوم اياما ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ابا بكر ولم يبايع عليا الى بعد ستة اشهر وقيل اربعين يوما<sup>(١)</sup>

وخصص (دونلدسن) في كتابة انف الذكر حول موضوع الخلافة بابا كان عنوانه ((الغاصبون الثلاثة)) ونراه قد وضع هذا العنوان بين قوسين، وبدأ الكلام فيه حول ما يعتقد الشيعية في حق الإمام علي (عليه السلام) الصريح في الخلافة، وانه هو امير المؤمنين بالحق، فكان من الواجب نصبه خليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٢)</sup>.

ونجد ان (دونلدسن) يدخل منعظا جديدا في تقيمه لمجريات احداث الخلافة من خلال قوله

((ومن المهم ان نلاحظ ان سن علي كان عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣٣) سنة فهو لا يزال حدثا بالنسبة لعرف القبائل العربية، لتولي المسؤولية الادارية الكبرى فليس من الشاذ ان يختار الناس من هم اكبر منه سنا من الصحابة البارزين بمدة خمس وعشرين سنة. ويظهر بالحقيقة وجوب التقدم في السن في اختيار الخلفاء الراشدين، فابو بكر استخلف وعمره فوق الستين، وعمر كان سنه (٥٣) وعثمان كان قد بلغ نحو السبعين، وعلي كان عمره اما (٥٩) او (٦٤)، بالنسبة لسنه عندما امن اول مرة، فليل انه كان بالعاشرة وقيل بالخامسة عشر)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، دونلدسن، عقيدة الشيعية، ص ٣٢، ٣٣؛ للاطلاع على هذه الرواية، ينظر،

اليقوبي، تاريخ، ج ٢/١٢٦.

(٢) ينظر، دونلدسن، عقيدة، ص ٣٤، ٣٥.

(٣) عقيدة الشيعية، ص ٣٥، ٣٦.



وينتقل دونلدسن بعد ذلك الى جانب اخر يتعلق بتوضيح طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين الإمام علي (عليه السلام) وباقي الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، فقد ذكر بان الإمام علي كان ينظر الى الخليفة ابي بكر بعين الاحترام وله عليه تأثيرات في القرارات التي كان يتخذها<sup>(١)</sup>.

وعندما اوصى الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) قبل وفاته باستخلاف عمر (رضي الله عنه)، نقل دونلدسن حديثا لعائشة يتعلق بعلي (عليه السلام) وطلحة قالت فيه: ((لما ثقل على ابي دخل عليه فلان وفلان، فقالوا يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك اذا اقدمت عليه غدا وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ فقال اجلسوني. ابا الله ترهبوني؟ اقول لقد استخلفت عليهم خيرهم))<sup>(٢)</sup>.

وعلق (دونلدسن) على هذه الرواية بالقول: ((فان صح هذا الخبر فان امل علي في التمتع بمركز سام في خلافة عمر لم يكن قويا. لكن عمر سمع بما طعن عليه فلم يابه)) وذكر (دونلدسن) بان عليا (عليه السلام) بقي في المدينة وله عند عمر (رضي الله عنه) نفس المكانة السياسية التي كانت له عند ابي بكر (رضي الله عنه)، ويروى ان عليا (عليه السلام) قد ابدى النصح لعمر (رضي الله عنه) في مناسبات عديدة فسمع منه، منها ان يكون الخليفة عمر (رضي الله عنه) هو قائد الحملة على فلسطين وعندما تردد عمر (رضي الله عنه) اقنعه الإمام علي (عليه السلام) بالعدول عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر، عقيدة الشيعة، ص ٣٨.

(٢) ينظر، ابن سعد، الطبقات، ٢٠٧/٣؛ دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٣٨.

(٣) ينظر، عقيدة الشيعة، ص ٣٨، ٣٩.

يضيف (دونلدسن)، بان الإمام عليا (عليه السلام) كان مشاورا للخليفة عثمان (رضي الله عنه) ايضا، وكان الناقمون على عثمان (رضي الله عنه) ياتون عليا (عليه السلام) ليعرضون شكاواهم، ووضعوا ثقتهم فيه اول الامر للوساطة عند الخليفة، ولما كان الإمام علي (عليه السلام) يستمع الى شكاوى هؤلاء الناس، فينقلها الى عثمان (رضي الله عنه)، فقد شك البعض في ضوء الحدوداث التي تلت بان عليا (عليه السلام) نفسه كان مشتركا بوضع الخطط العدائية ضد الخليفة<sup>(١)</sup>.

ولكن دونلدسن عرض رواية للمسعودي يبعد فيها اللوم عن الإمام علي (عليه السلام) باي وجه من الوجوه في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، واهم ما في هذه الرواية هو:

((فبلغ عليا طلبه أي ﴿الخليفة عثمان﴾ فبعث اليه بثلاث قرب ماء... فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله، بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته، وامرهم ان يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا، واكثر ابناء الصحابة ارسلهم آباؤهم اقتداءً بمن ذكرنا، فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام، واشتد القوم، وجرح الحسن، فخشي القوم ان يتعصب بنو هاشم وبنو أمية، فتركوا القوم القتال على الباب، ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها، وكان بمن وصل اليه محمد بن ابي بكر ورجلان اخران،.... فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل امير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني امية، فوجدوه قد فاضت نفسه، فبكوا، فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير ﴿وسعدا﴾ وغيرهم من المهاجرين

(١) ينظر، عقيدة الشيعة، ص ٣٩.

والانصار، فاسترجع القوم، ودخل علي الدار، وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه، كيف قتل امير المؤمنين وانتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب ﴿صدر﴾ الحسين، وشم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير، فقال له طلحة لا تضرب يا ابا الحسن، ولا تشتم ولا تلعن، لو دفع ﴿اليهم﴾ مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بني امية))<sup>(١)</sup>.

ولكننا في موضع اخر نجد ان (دونلدسن) يتخذ موقف الشك من الإمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بمقتل الخليفة عثمان، فقد قال: ((كان علي هنا في موقف صعب فان القتلة الحقيقيين كانوا قد هربوا اما الذين ادى استيائهم وتخريضهم الى وقوع الماساة فكانوا كثيرين وهم من بين اخلص اصحابه - وقد يكون بالحقيقة هو احدهم - فلم يكن جوابه الا ((لعن الله قتلة عثمان)) وهو جواب غير شاف))<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكننا تقييم ما كتبه المستشرق (دونلدسن) ما لم يتم لنا دراسة اغلب الجوانب التي ركز عليها في كتابه انف الذكر على الرغم من سعتها، ففي الباب الرابع الذي حمل العنوان ((علي الإمام الاول))، افاد فيه بان دراسة حياة الائمة بشكل دقيق يكشف حقيقة واحدة، وهي ان رجالا لا يزيدون عن مستوى الشخص الاعتيادي بشيء قد رفعوا الى مصاف الخالدين، ويعتقد دونلدسن ان خير طريق للتأكد من هذا الموضوع هو الرجوع الى اقدم المصادر، فنتمكن بذلك تقدير ما كان عليه هؤلاء الناس في حياتهم الحقيقية، وفي وجودهم المجرد من التمجيد والتقديس، ومن الضروري في الوقت نفسه محاولة تصوير الهالة التي

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٢/٣٥٤، دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) عقيدة الشيعة، ص ٤٩.

احاطتهم بها القصص المتاخرة، وازاف بانه ما لم تذهب الى وراء ما كانوا عليه الى ما قد قيل فيهم فسيكون نصيبينا الفشل التام. ولا يمكن ايضا العوائد الغريبة الشاملة التي تُعد اليوم اساسا للايمان.

وقال دونلدسن بهذا الشأن: ((تدلنا اقدم الروايات على ان ادعاء علي بالخلافة لم يكن بنظر اصحابه وشيعته مجرد طموح سياسي بل حق الهي له. وكان لتعاليم ودسائس شخصية خفية نسيها في تاريخ الإسلام اليد الطولى في ظهور وجهة النظر هذه وانتشارها. فقد ظهر منذ زمن خلافة عثمان داعية متنقل اسمه عبد الله بن سبأ، قطع البلاد الإسلامية طولا وعرضا... واستقر اخيرا في مصر وفيها قام بدور رئيس في المؤامرة في سبيل علي واعلن ان ابا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين))<sup>(١)</sup>.

ويبدو ان (دونلدسن) قد انساق وراء الروايات التي روجت لهذه الاسطورة، ولا نستغرب منه هذا الموقف كون بعض مصادرنا ومراجعتنا الإسلامية قد اشارت الى قضية عبد الله بن سبأ، وحيث ان دونلدسن قد اعتمد على بعضها فمن الطبيعي ان يتاثر بذلك.

ويمكن تقييم موقف المستشرق (دونلدسن) من الخلافة بشكل عام، بانه كان يشك في صحة الروايات الشيعية التي اكدت على حق الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة استنادا الى ما صدر من الرسول من اقوال وافعال، وقد ابدى استغرابه من هذه الروايات ووصفها بانها كانت بفعل دسائس شخصية منسوية الى ما اسماه بالداعية عبد الله بن سبأ، والحقيقة ان كلام (دونلدسن) بهذا الشأن غير دقيق، لان الاخبار التي تناولت قصة عبد الله بن سبأ الاسطورية كانت

(١) عقيدة الشيعة، ص ٥٨.

احداثها في خلافة عثمان (رضي الله عنه)، بينما نجد ان مطالبة شيعة الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة كانت بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، وبعد احتجاجهم بما صدر من احاديث عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اكد فيها على استخلاف الإمام علي (عليه السلام) ومن بين هذه الاحاديث، حديث الغدير واحاديث اخرى سيتم الحديث عنها في صفحات قادمة من هذا الفصل.

ولم تقتصر دراسة المستشرق دونلدسن على خلافة الإمام علي (عليه السلام)، وكدليل على اهتمامه بكل ما يتعلق بشخصيته، فقد خصص باباً تحت عنوان ((مشهد علي بالنجف))، تعرض فيه الى الروايات التي تناولت مكان دفن الإمام علي (عليه السلام) على اختلافها، وكذلك التطورات التي طرأت على بناية القبر عبر العصور المختلفة، مستفيداً من المصادر الإسلامية وكتب الرحلات، مثل رحلة ابن جبر (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م). اضافة الى بعض المراجع الاجنبية<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق الالماني (كونسلمان) فقد ابدى انطباعه عن الخلافة اثناء حديثه عن طبيعة العلاقة بين النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- والإمام علي (عليه السلام)، حيث ذكر بان مهمة ادارة الحكم في الإسلام قد اتخذت اهمية اكثر اثناء السنوات العشر منذ هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى يثرب وحتى موته، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) في اخر ايامه يسيطر على الجزء الاعظم من شبه الجزيرة العربية، وبالرغم من هذا التطور فان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك امر تنظيم خلافته رغم احاطته ببضعة رجال

(١) دونلدسن، عقيدة، ص ٧٠-٧٩.

اكفاء، إلا انه لم يشأ الحاق الضرر بواحد منهم، وتجاهل (كونسلمان) ان كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لديه فكرة مساعدة آل بيته للوصول الى السلطة ام لا، الا ان ورثته المباشرة قد اقتصرت على ابنته فاطمة (عليها السلام)، وحاول كونسلمان الوقوف على بعض الحوادث التي جعلت بعض الصحابة يعولون عليها للحصول على الخلافة، فعلى سبيل المثال اتخذ من حادثة تسليم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) امور مقاليد الحكم في يثرب الى الإمام علي (عليه السلام) الذي يثق به ويفضله على الاخرين، على انها الدافع للإمام علي (عليه السلام) لان يكون على يقين بانه سيحصل على مكانة خاصة بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي هذا الاطار ذكر (كونسلمان) قولاً للإمام علي (عليه السلام) بالمعنى وليس بالنص جاء فيه:

((مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وراسه على صدري وسال دمه من فمه على يدي فلطخت به وجهي وقد كلفت بتغسيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وساعدتني الملائكة في ذلك، وكان الضجيج يملأ الدار وكانت ملائكة كثيرة تنزل من السماء واخرى تصعد اليها. ولم يفتني أي حركة صدرت عنها. وكانت تصلي على محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى واريناه التراب، فمن كان اقرب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مني في حياته ومماته؟؟))<sup>(١)</sup>.

ورأى المستشرق كونسلمان بان امر الخلافة قد خرج حقا عن سيطرة الإمام علي (عليه السلام) وذلك لانشغاله بواجباته تجاه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد رحيله الى ربه الكريم، وبعد اداء واجبه عاد ليرى ان الخلافة قد

(١) سطوع نجم الشيعة، ص ١٢.

اخذت منه غدرا في سقيفة بني ساعدة وان ما جرى لم يكن عملية شورى وانما نتيجة مؤامرة<sup>(١)</sup>.

وينقل (كونسلمان) رواية اخرى على لسان عائشة (رضي الله عنها) تبين فيها ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما رجع من المسجد في يومه الاخير قد وضع رأسه في حجرها<sup>(٢)</sup>.

ويعلق (كونسلمان) على هذه الرواية بالقول: ((وخاتمة رواية عائشة عن موت النبي (صلى الله عليه وسلم) تظهر انها كانت مضطرة للدفاع عن نفسها فلا بد ان يكون احد قد اتهمها بانه لم يكن من حقها مطلقا وفي هذه اللحظة ان تحتضن محمدا. اما الذي وجه لها الاتهام فقد يكون علي. الذي قص رواية فيما بعد عن لحظة وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم). ولم يلتفت الى رواية علي بانه الشاهد الوحيد على الوفاة. الا عندما نشب الخلاف على خلافة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحكم))<sup>(٣)</sup>.

وتابع (كونسلمان) عرض الروايات التي توضح اثبات حق الخلافة في نظر كل التيارات المتصارعة، فيذكر ان رواية ابناء الإمام علي (عليه السلام) واضحة في تحديد ان النبي (صلى الله عليه وسلم) نظم مشكلة خلافته؛ واستدل كونسلمان على ذلك بما ذكره الإمام علي (عليه السلام) من قول النبي عنه بانه هو الاخ والوريث وعلى المؤمنين طاعته، وان عليا دائما مع الحق ومع القرآن

(١) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ١٨.

(٢) ينظر، كونسلمان، سطوع، ص ١٣، للاطلاع على رواية عائشة ينظر، ابن هشام، السيرة،

١٣٢٤/٤، الطبري، تاريخ، ٣/١٩٩.

(٣) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ١٣.

وسوف يكون الحق والقرآن معه. وكان كل من يؤمن باحقية الإمام علي (عليه السلام) بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم)، يرى ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) قد نظم مشكلة الخلافة بوضوح قبل عودته للمدينة، ففي موضع يدعى (غدير خم) قام النبي محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) امام كل المؤمنين الذين ذهبوا معه الى مكة بتكليف علي (عليه السلام) بلا شك بتجهيز نفسه لتسلم اعلى منصب. ومن آمن بهذا التكليف فسرعان ما صاروا شيعة علي (عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

ويضيف كونسلمان القول: ((وبالرغم من ان (عليا) استطاع النفاذ الى وعي الجمهور في الدولة الإسلامية الا انه ظل مستبعدا من الخلافة كذلك بعد مقتل عمر))<sup>(٢)</sup>.

ويعلل كونسلمان السبب في ذلك الى العامل الاقتصادي، حيث يصف الإمام علي (عليه السلام) بانه كان واحدا من المنتقدين لنظام جمع الضرائب وقد تسبب هذا الموقف في النهاية في ان لا يكون للإمام علي (عليه السلام) بين اثرياء العاصمة اصدقاء لترشيحه بعد مقتل الخليفة عمر (رضي الله عنه)، فالعائلات التي هاجرت مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة، اصبحت تعد من العائلات الثرية للغاية في البلاد فظنت ان الإمام علي (عليه السلام) لو صار خليفة فسوف يتبع نظاما ضريبيا عادلا يمنع تدفق الاموال على تجار المدينة بدون اخضاعه الى حساب دقيق، مما دفع اهل المدينة الى صرف النظر عن الإمام علي

(١) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ١٧.

(٢) سطوع، ص ١٨، ١٩.



(عليه السلام) ومبايعة عثمان (رضي الله عنه) على الرغم من كونه ((اقل شأنًا))<sup>(١)</sup> على حد تعبير كونسلمان.

ويبدو ان السبب الذي ذكره كونسلمان في استبعاد الإمام علي (عليه السلام) عن الخلافة مقنعا ومنطقيا رغم كونه لم يعد السبب الوحيد والمباشر.

وخلص كونسلمان الى القول: ((اما فشل علي كخليفة فله مبرره القوي، وهو ان رجال النخبة في مكة والمدينة اعتادوا على حكم رجال السياسة الذين يفكرون في المصالح الاقتصادية للطبقة العالية بالذات. وهم لم يشاءوا الرجوع الى عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا ان يطلب منهم الخضوع. اما علي فلم يملك القوة لهدم نظام السلطة القائم في اهم مدينتين في شبه الجزيرة العربية. الا ان تطلعه الى بلاد الرافدين احيا لديه الآمال))<sup>(٢)</sup>.

ان قراءة المستشرق كونسلمان لاحداث الخلافة تعبر عن وجهة نظر ثابتة حيث ادرك بان المصالح الشخصية القائمة على المرتكزات الاقتصادية قد اخذت مداها في تكوين الطبقة داخل المجتمع الإسلامي مما انعكس سلبا على مجريات احداث الخلافة بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتحدث المستشرق (يان ريشار) عن افضلية الإمام علي (عليه السلام) دون غيره للخلافة، واكد ذلك بقوله: ((فاذا نظرنا الى عامة المسلمين، وجدنا ان عليا هو النموذج الامثل للحاكم الواعي والملمهم، وفي الاصل فانه كان يقوم بما يشبه وظيفة الوزير في حكومة النبي، وكان قويا كالاسد، ومسلحا بسيفه)) (ذو

(١) ينظر، سطوع نجم الشيعة، ص ١٩.

(٢) سطوع نجم الشيعة، ص ٣٠، ٣١.

الفقار)) الذي كان له حدان، ولكنه تحول بحكم الايديولوجيا المناضلة الى شهيد في سبيل العدالة. وحقا فانه كان في وسعه ان يثور على تعيين الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه. وعلى العزل الكامل الذي وضعه في عثمان، وكان بوسعه ان يحتال على معاوية، كمقدمة لاضعافه أي موالاته اولا، للهجوم عليه فيما بعد بصورة المفاجأة وكان بإمكانه ان، يتجاوز بالحيلة، ما علق في رؤوس الرماح من وريقات القرآن، في معركة صفين، واستخدم تفوقه العسكري فيها حتى النهاية))<sup>(١)</sup>.

والحقيقة ان مقاييس واساليب النجاح في الحرب عند (ريشار) لو استخدمها الإمام علي (عليه السلام) لانتصر في حربه ضد معاوية، ولكن المبادئ التي يحملها الإمام علي (عليه السلام) ليست نفسها التي يحملها معاوية او الاساليب التي يفكر في ضرورة استخدامها المستشرق (ريشار) لكسب أي حرب، فالإمام علي (عليه السلام) يرفض استخدام الغدر والخداع مهما كانت النتائج التي يراد الوصول اليها.

وعندما يتحدث (ريشار) عن بيعة الغدير يؤكد احقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة فيقول بصدد ذلك:

((واول قضية تراثية يتسلح بها الشيعة، من غير ان ترفضها السنة رفضا كليا، هي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي، ابن عم النبي وصهره، ولاية شرعية على جماعة المسلمين))<sup>(٢)</sup>.

(١) الإسلام الشيعي، ترجمة، حافظ الجمالي، دار عطية، (بيروت - ١٩٩٦م)، ص ٤٠.

(٢) الإسلام الشيعي، ص ٣٤.

وبذلك فان (ريشار) يرى بان تعيين الإمام علي (عليه السلام) خليفة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيعة الغدير كانت قضية محسومة ولا يمكن للمنصفين من انكارها، ويمكن تلمس ذلك من خلال قوله:

((وعلى الرغم من ان عليا هو الخليفة المعين من قبل النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه استبعد عن هذه الخلافة))<sup>(١)</sup>.

ويبدو ان المستشرق ريشار قد اطلع على ما كتب في مصادرنا التاريخية واستطاع بموضوعيته ان يميز وجه الحق في استحقاق الإمام علي (عليه السلام) لان يكون خليفة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورغم ان ما كتبه عن الخلافة كان بايجاز شديد ولكنه اصاب كبد الحقيقة.

(١) الإسلام الشيعي، ص ٣٥.

## ((المبحث الثالث))

### الرد على الدراسات الاستشراقية التي تؤيد عدم استخلاف النبي محمد (ص) لأحد في ضوء مواقف الشيعة الإمامية

بعد ان تابعنا ما ذكره بعض المستشرقين بشأن موضوع الخلافة، يمكننا في هذا المبحث معالجة اهم نقطة قد اوردها المستشرقون وهي ادعائهم عدم تعيين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خليفة من بعده، بعد الاستعانة بما ورد في بعض مصادرنا او مراجعنا الإسلامية، سواء كانت افكار هؤلاء المستشرقين قد تبناها لقناعتهم بها ام انهم قد تاثروا بما كتب عنها في الكتابات العربية والإسلامية، وغايتنا في ذلك هي محاولة الوقوف على بعض الحقائق التاريخية التي اغفلها هؤلاء المستشرقين جهلا بها او بقصد السير في ركب المؤرخين الذين انساقوا وراء مذهبيتهم او عواطفهم او تحزبهم لطرف معين دون اخر، من اجل الحصول على مكاسب مادية او معنوية او خوفا من اصحاب السلطة عند اعلان تلك الحقائق. وسوف يكون التعامل مع هذه المعالجات بشكل مباشر ومختصر لانها حقائق سبق وان شخص اغلبها العديد من الباحثين، وعندما نحاول ذكرها وازضافة ما يمكن اضافته اليها مضافا لما امكنا ذكره من خلال مجريات المبحث الثاني، فغايتنا ان لا تكون هذه الدراسة هي عرضا واقتباسات من هنا وهناك لما ورد في كتب المستشرقين حول موضوع الخلافة فقط دون ذكر ما يقابلها من حقائق وردت على لسان المؤرخين المسلمين، لكي تكتمل الصورة وتكون هناك موازنة في عرض الاحداث.

لقد افرزت بعض الدراسات الاستشراقية مسألة في غاية الاهمية، وهي ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن قد حدد نظاما معيناً لمسيرة الخلافة قبل وفاته، بل ترك الامر شورى للمسلمين. فلو دققنا بعض المصادر الإسلامية التي يعتمد ويعول عليها اصحاب هذا الراي انفسهم في بيان احداث تاريخية اخرى، نجد ان هناك دلائل واضحة على ان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حسم الموضوع من سيخلفه قبل مرضه الاخير ووفاته، و اشار الى ذلك في اكثر من مناسبة وبشكل تدريجي بحيث لا يثير حفيظة صحابة اخرين مقربين منه كان امنية كل واحد منهم ان يكون خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل وتمت مباركة الشخص الذي حدده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون خليفة من الصحابة الطامحين في نيل الخلافة انفسهم في احدى المواقع.

ويمكن اجمال اهم هذه المواقع وحسب سبقها التاريخي، والتي تعد دلائل على استخلاف الإمام علي (عليه السلام) بما يلي:

١- حادثة التبليغ: المعروفة بيوم الدار، وملخص هذه الحادثة، انه عندما نزل قوله تعالى: ((وانذر عشيرتك الاقربين))<sup>(١)</sup> في بداية الدعوة الإسلامية، عمل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على تنفيذ الامر الالهي، حيث دعا اقرباءه وقال لهم:

((يا بني عبد المطلب، اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء بافضل مما جئتكم به، اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة. وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه. فايكم يؤمن بي ويؤازرنني على هذا الامر على ان يكون اخي

(١) الشعراء / ٢١٤.

ووصيي وخليفتي فيكم؟)) فسكت القوم ولم يجيبوا الا الإمام علي (عليه السلام) رغم صغر سنه، حيث قال:

((انا يارسول الله اكون وزيرك على ما بعثك الله)). وبعد ان كرر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا القول ثلاث مرات لم يستجب له سوى الإمام علي (عليه السلام)، حينها التفت اليهم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً:

((ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا. فقام القوم يضحكون، ويقولون لابي طالب، قد امرك ان تسمح لابنك وتطيع))<sup>(١)</sup>.

هذا هو اول موقف من المواقف التي انفرد بها الإمام علي (عليه السلام) ليساند فيه ابن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر الدعوة الإسلامية، ليستحق على اثره اول اشارة من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون اخوه ووصيه وخليفته من بعده.

ويندرج في نفس المضمون ما ذكره ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) من قول للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء فيه:

((لكل نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن ابي طالب))<sup>(٢)</sup>.

وعندما نزل قوله تعالى: ((اني جاعلك للناس اماما، قال: ومن ذريتي))<sup>(٣)</sup>، روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسيره لهذه الاية، قال: قال

(١) ينظر، الطبري، تاريخ، ج ٢ / ٣١٩-٣٢١؛ ابن الاثير، الكامل، ج ١/٥٨٦.

(٢) الكامل، ج ١/٥٨٦، ٥٨٧؛ ابن كثير، التفسير، ٣/٥٦١؛ الحلبي، السيرة الخلية، مجلد

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انتهت الدعوة التي والى علي لم يسجد احدنا قط لصنم، فاتخذني نبيا واتخذ عليا وصيا))<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد الشيخ المفيد اهمية حادثة التبليغ بوصفه ان موازنة الإمام علي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك الفترة من المناقب الجليلة، التي انفرد بها الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وهي من الامور التي تدل على امامته، فقال الشيخ المفيد في ذلك:

((وفي الخبر ما يفيد انه به عليه السلام تمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبليغ الرسالة واطهار الدعوة والصدع بالإسلام))<sup>(٣)</sup>.

وذكر الطبري حديثا للإمام الحسين (عليه السلام) يبين فيه ان الله سبحانه وتعالى قد بلغ رسالته عبر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون اهل بيته (عليهم السلام) هم اوصيائه وورثته، فقال الإمام الحسين (عليه السلام): ((اما بعد، فان الله اصطفى محمدا (صلى الله عليه وسلم)، على خلقه، واكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله اليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما ارسل به (صلى الله عليه وسلم)، وكنا اهلنا واوليائه، واوصيائه وورثته، واحق الناس بمقامه في

(١) البقرة / ١٢٣

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/١٢٤؛ النيسابوري، المستدرک، ٣/١٢٥؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ٢/٢٣٤.

(٣) ينظر، محمد بن محمد العكبري (ت ٤١٣هـ)؛ الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام، ط ١ (قم - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج ١/٥١.

الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة واحببنا العافية، ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا من تولاه))<sup>(١)</sup>.

٢- حديث المنزلة: خلاصة هذا الدليل ما ذكره البخاري واكده غيره من المؤرخين، انه عندما خرج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى غزوة تبوك عام (٨هـ) فاستخلف الإمام علي (عليه السلام) على المدينة، حينها قال له الإمام علي (عليه السلام) اتخلفني في الصبيان والنساء، فقال له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ الا انه ليس نبي بعدي))<sup>(٢)</sup>.

وكانت دلالة هذا الحديث هي محاولة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) اعداد الإمام علي (عليه السلام) لممارسة خلافته في حياته تمهيدا لما هو بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي رواية عن ابي هارون العبدي، قال:

((سألت جابر بن عبد الله الانصاري عن معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي (عليه السلام):

(١) تاريخ الأمم، ٣٥٧/٥.

(٢) ينظر، ابن سعد، الطبقات، ٣/١٤، ١٥، ١٧؛ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ص ٧٧٦، ابو نعيم، حلية الاولياء، ٤/٣٤٥.



((انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي))، قال: استخلفه بذلك والله على امته في حياته وبعد وفاته، وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين))<sup>(١)</sup>.

٣- حديث يوم الغدير: بعد ان اتم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حجه الاخير في السنة العاشرة للهجرة والتي سميت حجة الوداع وعند وصوله الى منطقة تدعى غدير خم، نصب الإمام علي (عليه السلام) ليكون خليفته، وقد وردت احاديث عدة بطرق اسناد مختلفة فيها زيادة او نقصان، ويمكن ايجازها في الروايات الآتية:

عن ابن عباس وجابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قالوا: ((امر الله ((تعالى)) محمدا ان ينصب عليا للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يقولوا: حايبى ابن عمه، وان يطعنوا في ذلك عليه، فاوحى الله اليه: ((يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...))<sup>(٢)</sup> فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم))<sup>(٣)</sup>.

(١) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، معاني الاخبار، تحقيق علي اكبر الغفاري، دار المعرفة للطباعة، (بيروت - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ص ٧٤.

(٢) المائدة / ٦٧.

(٣) الحاكم الحسكاني، عبد الله بن عبد الله بن احمد (من اعلام القرن الخامس الهجري)، شواهد التنزيل بقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، (بيروت -

١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م)، ١/ ١٩٢.

وعن البراء بن عازب، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: ((الستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا: بلى. قال: الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى فاخذ بيد علي، وقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه...))<sup>(١)</sup>.

وفي رواية للحارث بن مالك، انه قال: ((قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فابلق ثم قال: ((ايها الناس: الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ ثلاث مرات، قالوا: بلى قال: ادن يا علي، فرفع يده ورفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده حتى نظرت الى بياض ابطنه، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، حتى قالها ثلاث مرات))<sup>(٢)</sup>.

وروى الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى: ((يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك...))<sup>(٣)</sup> قال نزلت الاية في فضل علي بن ابي طالب (رضي الله تعالى عنه)، ولما نزلت هذه الاية اخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيد علي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقية عمر فقال: هنيئا لك اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة))<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن ابي شيبة، ابو بكر عبد الله (٢٣٥هـ)، المصنف في الاحاديث والاخبار، الدار السلفية، بوميبي، (الهند - ١٤٠٢هـ)، مجلد ٧ / ص ٥٠٣.

(٢) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، (ت ٥٧٣هـ)، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، ط ٢ (بيروت - ١٣١٨هـ)، ٧/٢.

(٣) المائة / ٦٧.

(٤) التفسير الكبير، ٤٩/١٢، السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، (بيروت - ١٤٠٣هـ)، ١١٧/٣.

وبعد تنصيب الإمام علي (عليه السلام) امره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بان يجلس بجمعة بجوار خيمته، وبعد ذلك امر المسلمين ان يدخلوا عليه فوجا فوجا، يسلمون عليه ويباركونه امرة المؤمنين ثم امر ازواجه وجميع نساء المسلمين ان يسلمن عليه<sup>(١)</sup>.

وكان من بين المهتمين للإمام علي (عليه السلام) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث قال له: ((هنيئا لك يا ابن ابي طالب)) اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة<sup>(٢)</sup>. وفي رواية اخرى قال له عمر (رضي الله عنه): ((بخ بخ لك يا ابن ابي طالب، اصبحت مولاي ومولى كل مسلم...))<sup>(٣)</sup>.

وذكر الهيثمي (ت ٩٧٤هـ) رواية بين فيها ان ابا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قالاه: ((امسيت يا ابن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة))<sup>(٤)</sup>.

وحاول عدد من المؤرخين المحدثين<sup>(٥)</sup> الدخول في نقاشات لتوضيح قصد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما قاله بخطبة الغدير، فقد اشار محمد

(١) ينظر، الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، اعلام الورى باعلام الهدى،

المكتبة الحيدرية، ط ٣ (النجف - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) ابن حنبل، المسند، ٣٥٥/٥، ابن ابي شيبه، المصنف، ٧٩/١٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٥/٥.

(٤) الصواعق المحرقة، ص ٦٧.

(٥) على سبيل المثال، ينظر، الحسيني، ادريس هاني، الخلافة المعتصبة ازمة تاريخ ام ازمة

مؤرخ، د.م - د.ت، ص ١٢٢ وما بعدها؛ الخزاوي، عبد الحسين، امام وخليفة، مكتبة

الالفين، (لندن-١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ص ٢٧-٤٠؛ القبانجي، احمد، خلافة الامام علي (عليه

السلام) بالنص ام بالنصب؟، سلسلة ثقافة اسلامية معاصرة، عدد ١/، (د.م-

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ص ٦٥-٨٦.

بيومي مهران الى ان كل ما صدر عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يدل بشكل واضح ولا لبس فيه على انه اوصى واستخلف الإمام المقتدى به وهو علي بن ابي طالب (عليه السلام) وضاف هذا المؤرخ القول: ((ومما يؤكد ذلك قول ابي بكر وعمر لعلي بعدما سمعا قول النبي (صلى الله عليه وسلم). امسيت يا بن ابي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، او قول عمر بخ بخ لك يا بن ابي طالب، اصبحت مولاي ومولى كل مسلم، او هنيئا لك يا بن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فان النبي -صلى الله عليه وسلم- لو لم يكن قد انشأ ووجد بفعله وقوله ذلك لعلي (عليه السلام) منصبا جديدا، لم يكن ثابتا له من قبل، لما قالوا له: امسيت او اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ونحو ذلك، فان مثل هذا التعبير لا يقال الا عند حصول منصب جديد حادث، والا فالإمام عليا انما كان محبا لمن كان النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ محبا له، او ناصرا لمن كان النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ناصرا له، وهذا كله واضح، لا يحتاج الى مزيد بيان))<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الشيخ المرتضى (ت ٤٣٦هـ) خبر حادثة الغدير وعده من النصوص الجلية الدالة على امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام)، واكد صحة الخبر وتواتره<sup>(٢)</sup>.

كما جعله الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) من النصوص الجلية واورد رواته<sup>(٣)</sup>.

(١) مهران، محمد بيومي، الامامة واهل البيت، ص ١٢٣.

(٢) ينظر، الشريف، ابو طالب علي بن الحسين، (ت ٤٣٦هـ)، الشافي في الامامة، مؤسسة

الصادق، (طهران، د.ت)، ص ٨٥، ٨٨.

(٣) ينظر، اعلام الورى باعلام الهدى، ص ١٦٧.

ويذكر ان الشاعر حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) قد انشد بحق الإمام علي (عليه السلام) في يوم الغدير شعرا قال فيه<sup>(١)</sup>:

يناديهم يوم الغدير نبئهم	بخم فاسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ومالك منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فاني	رضيتك من بعدي اماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا

٤- ويضيف الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) دليلا مهما يثبت حق الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة حيث قال:

((فاما الاجماع على ما يوجب له ﴿أي للإمام علي (عليه السلام)﴾ الامامة من الخلال فهو اجماعهم على مشاركته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في النسب، ومساهمته له في كريم الحسب، واتصاله به في وكيد السبب، وسبق الامة كافة الى الاقرار، وفضله على جماعتهم في جهاد الكفار، وتبريزه عليهم في المعرفة والعلم بالاحكام وشجاعته وظاهر زهده الذي لم يختلف فيه اثنان، وحكمته في التدبير وسياسة الانام وغناء بكماله في التاديب المحوج اليه

(١) المغازلي، ابو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت ٤٨٣هـ)، مناقب الامام علي بن ابي

طالب، دار الاضواء، ط ٣ (بيروت-١٤٠٣هـ)، ص ١٩.

النقص عن الكمال، وبيعض هذه الخصال يستحق الامامة فضلا عن جميعها على ما قدمناه<sup>(١)</sup>.

٥- احاديث عديدة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يستدل بها على تفضيله للامام علي (عليه السلام) ورغبته في استخلافه، نذكر منها:

- قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((علي مني وانا من علي، ولا يؤدي عني الا انا أو علي)).

روى الترمذي في صحيحه، بسنده عن انس بن مالك قال بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث ببراءة ﴿الى اهل مكة﴾ مع ابي بكر (رضي الله عنه)، ثم دعاه فقال ((لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا، الا رجل من اهلي، فدعا عليا، فاعطاه اياه))<sup>(٢)</sup>.

وذكر المحب الطبري قولاً للامام علي (عليه السلام)، جاء فيه ((لما نزلت عشر ايات من براءة على النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) ابا بكر، فبعثه بها ليقرأها على اهل مكة، ثم دعاني فقال لي: ادرك ابا بكر، فحيثما لقيته فخذ الكتاب، فاذهب به الى اهل مكة، فاقرأه عليهم، فلحقته فاخذت الكتاب منه، ورجع ابو بكر الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا

(١) محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ)، الافصاح في امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام)، دار المنتظر، ط ٢، (بيروت - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ص ١٥.

(٢) الصحيح، ص ٩٧٧؛ النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، تهذيب خصائص امير المؤمنين (عليه السلام)، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت.)، ص ٦٧،

رسول الله، نزل في شيء؟ قال: لا جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك، الا انت او رجل منك<sup>(١)</sup>.

ولعل من دواعي البحث تقييم موقف الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما اناب عنه الإمام علي (عليه السلام) ليلغ اهل مكة بما جاء في مضمون سورة براءة بعدما كانت هذه المهمة تخص الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بوصفه كان اميرا للحج في حينه، ففي هذا الموقف اشارة واضحة لاستجابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لنداء جبريل (عليه السلام) الذي فضل الإمام علي (عليه السلام) على غيره لتبليغ امر الله سبحانه وتعالى عبر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الموقف فيه تعزيز لحادثة تاريخية سابقة وهي غزوة تبوك التي استخلف فيها الرسول محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- الإمام علي (عليه السلام) على المدينة ليحل محله.

- قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ان الإمام علي (عليه السلام) وزيره:

روى المحب الطبري بسنده الى (اسماء بنت عميس)<sup>(٢)</sup> قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((اللهم اني اقول - كما قال اخي موسى

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١١٩.

(٢) هي اسماء بنت عميس بن معاذ بن الحارث بن هيثم، تزوجها جعفر بن ابي طالب (عليه السلام)، وانجبت منه عبد الله وعونا ومحمد، وعند استشهاده في معركة (مؤته ٨هـ) تزوجها ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) فولدت له محمدا، ثم مات عنها فتزوجها الامام علي (عليه السلام) فولدت له يحيى وعونا، ينظر، ابن سعد، الطبقات، ج٨ / ٢١٩-٢٢٢.

- اللهم اجعل لي وزيرا من اهلي، اخي عليا، اشدد به ازري، واشركه في امري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا))<sup>(١)</sup>.

يضاف لما ذكرنا من ادلة فقد اوضح العلامة الشيخ الاميني حادثة الغدير التي اشرفنا اليها سابقا، بما لا يقبل الشك في انكارها او تاويلها، في كتابه (الغدير في الكتاب والسنة والادب)، فاورد اسماء مائة وعشرين صحابيا رووا حديث الغدير<sup>(٢)</sup>. ومن التابعين اربعة وثمانون تابعيا<sup>(٣)</sup>.

ومن روى حديث الغدير من ائمة الحديث وحفاظه والاساتذة، ذكر الاميني ثلاثمائة وستين شخصا<sup>(٤)</sup>.

فضلا عن المؤلفين في حديث الغدير من الفريقين وهم تسعة وعشرون<sup>(٥)</sup>، وكان الشهود لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يوم الرحبة بحديث الغدير، ذكر الاميني اسماء اربعة وعشرين صحابيا<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن حنبل، احمد، فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، تحقيق حسن حميد السنيد، المجمع العالمي لاهل البيت، مطبعة ليلي، (قم، ١٤٢٥هـ)، ص ٣٧٠؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ١٠٦/٣.

(٢) ينظر، الاميني، الغدير، ١/٣٥-٨٧.

(٣) ينظر، الغدير، ١/٨٩-١٠١.

(٤) ينظر، الغدير، ١/١٠٢-١٩٠.

(٥) ينظر، الغدير، ١/١٩١-١٩٨.

(٦) ينظر، الغدير، ١/٢٢٧-٢٢٩.





# الفصل الرابع

الحروب التي خاضها الإمام علي (ع) ضد  
الخارجين عن السلطة ﴿الضالين﴾  
في الدراسات الاستشراقية

المبحث الأول: حرب الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين  
في معركة الجمل.

المبحث الثاني: حرب الإمام علي ضد القاسطين في معركة  
صفين.

المبحث الثالث: حرب الإمام علي ضد المارقين (الخوارج) في  
معركة النهروان.



## مدخل

نالت الحروب التي خاضها الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين لبيعته وهما طلحة والزبير واتباعهما، والقاسطين<sup>(١)</sup> وهم معاوية واتباعه فضلا عن المارقين الذين يطلق عليهم لقب الخوارج اهتمام عدد من المستشرقين الذين ركزوا في دراساتهم على ابراز جوانب من احداث المعارك الثلاث التي دارت رحاها والمتمثلة بالجمال وصفين والنهروان، وقد حاول هؤلاء المستشرقون الوقوف على الاسباب التي ادت الى حدوث هذه المعارك، وسيتبين من خلال هذا الفصل بان بعضهم قد اخذ بظاهر الاسباب المعلنة في مصادرنا التاريخية دون الدخول والتحري عن الاسباب الحقيقية، او انهم تاثروا براء غيرهم حينما تناقلوا الاخبار المتعلقة بهذه المعارك وما نجم عنها سوى ان البعض قد شخص الحقائق فيما يتعلق بالاسباب والنتائج.

سيتناول هذا الفصل وجهات نظر وما تناقله بعض المستشرقين بشأن هذا الموضوع مع الاخذ بنظر الاعتبار ما ورد من آراء واللجوء في بعض الاحيان الى اقتباس النصوص التي توضح بجلاء موقف هؤلاء المستشرقين من الحروب التي حدثت ابان تسلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة.

---

(١) من القسوط وهو الجور، لانه عدول عن الحق، فيقال قَسَطَ يَقْسِطُ قِسْطاً، فهو قاسط اذا جاز عن الطريق، قال تعالى في كتابه العزيز: ((واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)) الجن/١٥. والرجل القسطاء التي في ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة، الطوسي، التبيين في تفسير القرآن، ٣٧٥/٢.

## ((المبحث الاول))

### حرب الإمام علي (ع) ضد الناكثين في معركة الجمل

من بين المتاعب الجمة التي واجهها الإمام علي في اثناء خلافته هي معركة الجمل، وخاض هذه المعركة ضد الناكثين لبيعته وهم طلحة والزبير ومن التحق بهما من اتباع السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوج الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد حظيت هذه المعركة باهتمام عدد من المستشرقين.

كان من بينهم المستشرق الانكليزي بودلي الذي ذكر ان السبب الذي دفع لوقوع هذه الحرب هو عدم ميل الإمام علي (عليه السلام) لمعاينة قتلة الخليفة عثمان (رض)، مما ادى الى استغلال عائشة هذه ((الاطباء)) لتتال من الإمام علي (عليه السلام)، اذ اتهمته بان له يد في عملية القتل، وقد ساندتها في ذلك معاوية بوصفه شيخ الامويين و احد المطالبين بدم الخليفة عثمان (رض) من جانب، ولانه كان يطمع في الخلافة من جانب اخر، ويضيف بودلي على ما تقدم بالقول:

((وان من تابع ذلك كان كقصة خيالية لا تحاكيها اية قصة خرافية خرجت من بلاد العرب))<sup>(١)</sup>

ولكن بودلي لم يوضح جانب الخيال والخرافة في كل ما قاله عن معركة الجمل.

(١) ينظر، حياة محمد، ص ٤٢٣.

وذكر ان عائشة وبمعاونة طلحة والزبير اعدت جيشاً في مكة وانطلقت الى البصرة التي وصفها انها كانت منقسمة في ولائها للإمام علي (عليه السلام)، وقد كره استخدام القوة ضد زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كرها شديداً، وخرج الى البصرة وحاول ان ينهي الامر بمحنة سياسية، ولكنه لم يستطع، وكان في كلا المعسكرين كثير من المتهورين ومن الذين يحبون المغامرة، وقليل منهم كان يسعى الى وحدة المسلمين التي غرسها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوسهم، وقد بدأت المعركة ببعض المناوشات في ديسمبر ٣٦هـ/ ٦٥٦م ادت الى اشتباك الجيشين في القتال<sup>(١)</sup>.

وتابع بودلي ذكر وقائع المعركة ووصفها انها كانت شديدة وقاسية، وكانت قيادة الإمام علي (عليه السلام) هي المتفوقة وارغم جنود عائشة على التقهقر المرة تلو الاخرى، رغم محاولتهم للممة شعنتهم بين الحين والآخر على صوت قائدتهم، اذ اشتدت المعركة حول جمل عائشة حتى اصبح هودجها الاحمر كالقنفذ جراء الرياح والسهام والحراب المغروسة فيه، وقد سقط جنود عائشة واحداً بعد الاخر عند اقدام الجمل، مما ادى الى جرح عائشة جرحاً طفيفاً، واخيراً جاء رجل وضرب الجمل على خواتمه فعفره وكان ذلك ايذاناً بالهجوم لجيش الإمام علي (عليه السلام)، فانهمز رجال عائشة<sup>(٢)</sup>.

وختم (بودلي) حديثه عن معركة الجمل بهذا القول: (ولما كان علي جندياً باسلاً بقدر ما كان حاكماً فاشلاً. فقد كبح جماع جنده، فلم تكن هناك مذابح ولم يستول الجنود على غنائم واسلاب، وذهب لزيارة عائشة كما كان

(١) ينظر، بودلي، حياة محمد، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٢) حياة محمد، ص ٤٢٤.

يزورها في الايام الخوالي في دور النبي الملتصقة في المسجد، فلم ترحب عائشة بالزيارة الكريمة، واستقبلت علياً في غلاسة وصمت وقد كان كل ما قالته ((يا ابن ابي طالب، ملكت فاصفح...)) فصفح علي وجهازها بجمال وحرس، وارسلها الى مكة ثم الى المدينة))<sup>(١)</sup>.

وليس كل ما ذكره بودلي كان دقيقاً، ففيما يتعلق بالسبب الذي ادى الى معركة الجمل لم يكن كما ادعاه، وان صح ادعاؤه فان الاطراف التي اشتركت في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كانت متوزعة هنا وهناك مما يصعب السيطرة عليها ولو امكن الإمام ذلك لحال دون وقوع الحادث اصلاً، من جانب اخر فان الثوار قد هددوا الإمام علي (عليه السلام) بان يلحقوه بصاحبه ما لم يستجيب لمطالبهم وفي مقدمتها تسلم الخلافة.

كذلك وصف بودلي الإمام علياً (عليه السلام) انه كان حاكماً فاشلاً في الوقت الذي قال عنه انه جندياً باسلاً، ولم يسمح لجنوده بالاستيلاء على الغنائم او ارتكاب جرائم الذبح وعامل السيدة عائشة (رضي الله عنها) بكل حسنى وارجعها الى المدينة معززة مكرمة.

فاذا كان عدم الاستيلاء على الغنائم والابتعاد عن جرائم الذبح ومعاملة السيدة عائشة بالحسنى لم تكن وسائل نجاح تُحسب للإمام علي (عليه السلام) فلا نعلم ما هي مقاييس الحاكم الناجح عند بودلي؟

ويطل المستشرق (هنري ماسيه) لييدي رأيه في معركة الجمل بشكل موجز ومختصر الى حد كبير، فقد وضع انه وبعد اكثر من خمسة اشهر على تقلد الإمام

(١) حياة محمد، ص ٤٢٤.

علي (عليه السلام) الخلافة، ترك المدينة وتوجه على رأس جيش الى البصرة، وكان من المحتم عليه إخضاع طلحة والزبير الذين اتفقا مع عائشة لشن الحرب ضد الإمام علي (عليه السلام) بحجة الثأر للخليفة عثمان (رضي الله عنه)، والحقيقة كما يعبر عنها (هنري ماسيه) هي العداة السابق الذي تكنه عائشة (رضي الله عنها) نتيجة لموقف الإمام علي (عليه السلام) الذي اشار فيه على الرسول الكريم بضرورة طلاقها بعد حادثة الافك<sup>(١)</sup>.

وياتي المستشرق (سيديو) بوصف دقيق للدور الذي مارسته عائشة (رضي الله عنها) وطلحة والزبير في حربهم ضد الإمام علي (عليه السلام)، اذ أشار (سيديو) الى ان رفض الإمام علي (عليه السلام) تولية طلحة والزبير الكوفة والبصرة ادى الى ان تنقلب صداقة هذين الرجلين الى حقد شديد، اما عائشة فقد وصفها انها ((روح كل مكيدة))<sup>(٢)</sup>.

ويضيف (سيديو) القول ان احد عمال (٣) الإمام علي (عليه السلام) قد اخذ على حين غفلة مما دفع باللجوء الى السلاح، وتوجه الإمام علي الى العراق، وقد قتل كل من طلحة والزبير في الموقعة المعروفة بيوم الجمل سنة (٣٦هـ)، في الوقت الذي تم اسر السيدة عائشة (رض) ومعاملتها معاملة حسنة وارسالها الى المدينة مع ولدي الإمام علي (عليه السلام) الحسن والحسين (عليهما السلام)،

(١) هنري ماسيه، الإسلام، ص ٦٤.

(٢) تاريخ العرب العام، ص ١٢٧.

(٣) يقصد به سيديو الوالي عثمان بن حنيف الذي عينه الإمام علي (عليه السلام) على البصرة، وقد اسره طلحة والزبير بعد ان قتلوا حراسه وقاموا بنتف لحيته وشاربه والاستيلاء على بيت المال في ابان معركة الجمل، ينظر، الطبري، التاريخ، ٤/٤٦٨.



واتخذت بعد ذلك الكوفة مقراً للخلافة وتمت مبايعة الإمام علي (عليه السلام) من اهل العراق والجزيرة العربية وفارس وخراسان<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق (الفريد جيوم) فقد وصف عهد الإمام علي (عليه السلام) انه كان بداية الانقسامات التي لم تنته قط بين المسلمين اذ ان عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعها طلحة والزبير كانوا معارضين لحكم الإمام علي (عليه السلام) وقد هزمهم في الموقعة المعروفة باسم (وقعة الجمل)، وقتل طلحة والزبير ولم تكن هذه الحادثة بداية المتاعب فحسب فقد كان هناك خصم آخر وهو معاوية ابن ابي سفيان، ابن عم الخليفة المقتول الذي كان عثمان (رضي الله عنه) قد عينه والياً على الشام، مما حدا به المطالبة بدمه<sup>(٢)</sup>.

وفيما يخص المستشرقة البولونية (يوجينا غيانه شتيفسكا) فقد ذكرت ان كل من طلحة والزبير قد بايعا الإمام علي (عليه السلام) وبعد ذلك مباشرة ذهبا الى مكة والتقيا بعائشة (رضي الله عنها) التي وصلت الى مكة قبل مقتل الخليفة عثمان، ورغباها في قتال الإمام علي ومطالبته بدم عثمان، مما ادى الى ان يتبعهم كثير من بني امية، فساروا لقتال الإمام علي (عليه السلام) وفي اثناء المسير ارادت عائشة الرجوع فلم يسمحوا لها بذلك وحاولوا الاستيلاء على البصرة فمنعهم والي الإمام علي عثمان بن حنيف من دخولها، واكدوا للوالي انهم لم يقصدوا الحرب وانما الصلح وكتبوا بينهم وبينه كتاباً على انهم لم يتسببوا في أية مشكلة حتى قدوم الإمام علي (عليه السلام)، لكن اصحاب طلحة والزبير غدروا

(١) تاريخ العرب العام، ص ١٢٧.

(٢) الفريد جيوم، الإسلام، ص ٢١.

بعثمان بن حنيف وسجنوه، ثم اطلقوا سراحه بعد ان عذبه، وعندما تلقى الإمام علي (عليه السلام) الخبر سار الى البصرة ومعه اربعة الاف من اهل المدينة وانضم اليه ستة الاف من اهل الكوفة، وعند وصوله البصرة، سعى جاهداً لتجنب اسباب الحرب، فلم يمكنه ذلك، وحينها دارت الحرب بين الطرفين اربع ساعات وكانت عائشة راكبة على الجمل، واسفرت النتيجة عن هزيمة عائشة (رض) وقتل طلحة في المعركة اما الزبير فقد قتل ايضاً ولكن عندما حاول الهروب الى المدينة، وامر الإمام علي (عليه السلام) بان تعود عائشة (رض) الى المدينة بعد ان جهزها بما تحتاج اليه، وسميت هذه المعركة بـ (وقعة الجمل)<sup>(١)</sup>.

وتناول المستشرق (ولاستون) معركة الجمل بعد ان بدأ الحديث عن الاضطراب الذي سببه مقتل الخليفة عثمان (رض) مما ادى الى ان يتقدم بعض المسلمين الى الإمام علي (عليه السلام) ليطالبوا منه تسلم الخلافة ولكنه رفض ذلك في بداية الامر وبعد الالحاح عليه وحفاظاً على الدين طلب ان تكون مبايعته علناً، وبعد الاعتراف به خليفة صمم على عزل الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان رغم النصائح التي وجهت اليه من البعض، وقد وصف (ولاستون) هذا الامر بقوله: ((وعبثاً ذهبت اعتراضات الاصدقاء المخلصين ضد هذا الطيش الغير ضروري وعن اثاره خطر محقق من جمهرة الاعداء قبل ان يتمكن من تحصين موقعه))<sup>(٢)</sup>.

واضاف ولاستون انه قد اعقبت عملية العزل السريع حالة من التذمر وبرزت في الساحة جماعة ساخطة كانت بتحريض رجلين من ذوي النفوذ هما

(١) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ٦٠.

(٢) Wollaston , Arthur. N , Half Hours with Mahomad. P.٩٧

الطلحة والزبير واشعل نار هذه المشكلة ((سلوك الحاقدة عائشة)) على حد تعبير ولاستون.

اضافة الى العدو الاقصى والمستعر ضد زوج ابنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمتمركز في سوريا - ويقصد به (معاوية) - وفي الوقت نفسه وصل خبر الى المدينة مفاده ان ام المؤمنين عائشة (رض) وطلحة والزبير سيتوجهون الى البصرة، وان كل من كان حريصاً على دينه ان يقاتل للاخذ بثأر الخليفة (عثمان) ويذهب طوعاً معهم ما لم يمنعه مانع من النفير، واحتشد ما يزيد على ثلاثة الاف مقاتل حول هودج عائشة (رض) الموضوع على الجمل، وشدت الرحال الى البصرة وهي ((مفعمة بروح الحقد لآل علي))<sup>(١)</sup>.

ووصف ولاستون مدينة البصرة انها كانت خاصة بالجماعات المتعددة في ولائها، وبعد ان استلم عاملها امرت (العقيلة الحاقدة) ويقصد بها السيدة عائشة (رض)، بقتل العامل، الا ان تأثير رفاقها قلل من عزمها على قتله وسمحت له ان ينجو بحياته بعد ان تعرض للاذلال والاهانة بنتف لحيته وحاجبه ارضاءً ((لام المؤمنين الساخطة))، ويعرج ولاستون على ثقة الإمام علي (عليه السلام) بالمسلمين الذين عبر عنهم بالجماهير بقوله ((كان ينصب اهتمام علي على الجماهير بافراط وكان يعتقد انه من المعروف ان انتخابه قد تم بحرية، ولكن حتى بلاغته، اذ كان يعد من افضل خطباء عصره، لم تكن كافية لاستحالة النفوس اليه))<sup>(٢)</sup>.

(١) Wallaston , Half Hours , P. ٩٨. □

(٢) Ibid , P. ٩٩. □

اما ابنه الحسن (عليه السلام) والكلام لـ(ولاستون) فكان يرى ان هذه مؤامرة ميثوس منها وسعى لثني عزم ابيه ونصحه في التقيّة، لكن دون جدوى، واتجه الإمام علي (عليه السلام) باتجاه البصرة وارسل رسولين الى الكوفة، وفصل ولاستون في موضوع المراسلات التي جرت بين الإمام علي (عليه السلام) والوالي الكوفة، وذكر جزءاً من الكلام الذي وجهه الإمام علي (عليه السلام) لأهل الكوفة عن طريق ابنه الحسن ووضح من خلاله نكث وغدر كل من طلحة والزبير بعد بيعتهما، ودعا اهل الكوفة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوجد استجابة منهم وانضم الى معسكر الإمام علي (عليه السلام) ما يزيد على تسعة الاف من اهل الكوفة واستقبلهم بحفاوة، وبذلك يرتفع عدد مقاتليه الى ما يزيد عن ثلاثين الف رجل مما ادخل الرعب في قلب عائشة، يضاف الى ذلك ان الإمام علياً كان قائداً بارعاً في المعارك، اكسبه لقباً محبباً لنفوس المسلمين وهو ((اسد الله))، وهكذا بدأ القتال بضراوة شديدة بين الجانبين ولفترة طويلة، اصيب طلحة بسهم في ساقه فتعذر عليه التحكم بمحصانه وانطرح على ارض المعركة، وحاول احد اصحابه ابعاده عن المعركة وايصاله الى المدينة ولكن اجله قد دنا من المصير المحتوم، وبذلك ازيل حجر العثرة عن طريق الإمام علي (عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

ويضيف (ولاستون) بان الزبير هو الناكث الثاني فقد شعر بالذنب ووخز الضمير وانسحب من المعركة قاصداً طريق مكة إلا أن احد الموالى من معسكر الإمام علي (عليه السلام) تمكن من ادراكه وقتله عندما كان ساجداً في صلاة المغرب وقطع رأسه. وعندما رأى امير المؤمنين رأس عدوه مخرجاً بالدماء استنكر هذا الفعل ووبخ الشخص الذي قام به وبشره بجهنم ومن صدمة

□ Wollaston , o.p.t.p.100,102 (٣)

الاحساس بالجريمة دفعه الى قتل نفسه مباشرة عند اقدم الامام علي (عليه السلام) الذي اندهش لهذه الحادثة، وبذلك ازيح المتآمران الرئيسان من الساحة، الا ان المعركة لم تنته بسبب وجود عائشة (رضي الله عنها) ما دام الناس يرونها فان المعركة كانت مستمرة على اشدها وكان الهودج مركز الجذب للعدو والصديق والذي اصبح مثل القنفذ من كثرة السهام، ولكن وبعد برهة من الزمن اصبحت عائشة تحت رحمة الامام علي (عليه السلام) المنتصر، وعلى النقيض مما كانت هي عليه، قابلها بالمعروف واعد لها جهازاً جيداً وارسلها الى المدينة مع ابنه الحسن والحسين (عليهما السلام) لمرافقتها وفي الوقت نفسه منعها من التدخل في شؤون الدولة، وبعد هذا اليوم الحاسم اتجه الى الكوفة واصبحت مركز حكمه سنة ٦٥٦م.

ومن الملاحظ على ما قاله (ولاستون) حول ما جرى في معركة الجمل هو انه استخدم بعض العبارات بحق السيدة عائشة (رضي الله عنها). ومنها ((الحاقدة)) وانها ((مفعمة بروح الحق ضد آل علي)) و((الساخطة))، وكل هذه المصطلحات تدل على انه استطاع ان يقرأ مفردات التاريخ الإسلامي بموضوعية ولا سيما فيما يتعلق بطبيعة العداة الذي تكنه عائشة للامام علي (عليه السلام) مما دفعها لسلوك طريق الخديعة والمكر واللجوء الى الحرب.

ولم تاخذ معركة الجمل حيزاً كبيراً فيما كتبه المستشرق (نولدكه)، بل ولم يذكر اسمها لكنه اشار اليها من خلال سياق الكلام فقد وصف الاوضاع التي الت اليها الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) انها كانت بداية لحرب اهلية دموية وانشقاقات متوقعة، ان قتلة الخليفة عثمان بايعوا الامام عليا (عليه السلام) للخلافة ومنهم طلحة والزبير ولكنهم نكثوا عهدهم بسرعة واتحدوا مع

عائشة (رضي الله عنها) ضده الا ان شجاعة الإمام علي (عليه السلام) كانت الند لهؤلاء الاعداء<sup>(١)</sup>.

واهم ما يمكن ان يؤخذ عليه (نولدكة) هو ادعاؤه ان الإمام عليا (عليه السلام) قد وصل الى الخلافة بدعم قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وهذا لا يمكن عده في صلب الحقيقة التاريخية وقد اشرنا الى الأدلة التي تبرئ ساحة الإمام علي (عليه السلام) من حادثة القتل في اكثر من موضع خلال البحث.

ولم يختلف المستشرق (مونتغمري واط) عن نظيره نولدكة فيما يتعلق بذكر معركة الجمل فقد اشار اليها بسطور معدودة، فذكر ان المسلمين المتواجدين في المدينة انتخبوا الإمام عليا (عليه السلام) بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) مباشرة، ولكن انتخابه لم يكن باقرار الجميع، اذ ان معاوية بن ابي سفيان، قريب عثمان وحاكم سوريا وقلّة قليلة من قبائل مكة التي ينحدر منها ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) رفضوا البيعة ورفعوا السيوف في وجه الإمام علي (عليه السلام)، ولكنهم هزموا على يديه قرب البصرة في كانون الاول عام ٦٥٦/٥٣٦م، ووصف مونتغمري واط حربهم ضد الإمام علي بقوله:

((وبدا وكأن خروجهم ضد علي اكثر من رغبة شخصية بل طمعا في السلطة والثروة))<sup>(٢)</sup>.

وخص المستشرق (برسي سايكس Sir.Percy Sykes) معركة الجمل في صفحة من صفحات كتابه (Histiry of Percia) وقد بدأ بمقدمات هذه المعركة،

(1) Noldeke,Theodor,Sketches From Eastern History,Khyats Oriental Reprnts No.٢,Beirut,١٩٦٣,P.٧٩.

(1) Wat,M,Aslam and Integration of society,P.٩٧.

فذكر انه عندما انتخب الإمام علي (عليه السلام) للخلافة، قام البعض بتوجيه النصح له بتعقب قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، إلا أنه احجم عن هذا الامر على اساس انه كان يفتقر القوة اللازمة، واطاف (برسي سايكس) القول: ((في الوقت نفسه لم يكن حكيمًا بقراره طرد معاوية، على الرغم من النصائح الموجهة اليه بان يتركه في موقعه الى ان تستتب له امور الخلافة))<sup>(١)</sup>.

وذكر (برسي سايكس) ان الإمام عليا (عليه السلام) لم يكن محظوظًا، بسبب عداوة السيدة عائشة (رضي الله عنها) وهي زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المفضلة، اذ قام كل من طلحة والزبير بالاستيلاء على البصرة بعد صراع شديد مع الموالين للإمام علي باستخدامهما كاداة، وبعد تلقي التعزيزات من الكوفة قام الإمام علي بالزحف نحو البصرة<sup>(٢)</sup>.

ويضيف (برسي سايكس) ان الإمام علياً (عليه السلام) حاول جاهداً تجنب هذه الحرب ولكنه فشل بسبب قيام قتلة عثمان بالهجوم، وسميت هذه بحرب الجمل، نسبة الى جمل عائشة، وكانت في اثناء الحرب على هودج الجمل، وعندما اندلعت المعركة، كانت هناك خسائر كبيرة لدى الطرفين، واسفرت عن قتل كل من طلحة والزبير وأسر عائشة (رض)، وقد عامل الإمام علي (عليه السلام) المهزومين بشهامة، لكن المعركة وحسب تعبير (برسي سايكس) ((كانت

(٢) Sir.Persy Sykes,History of Percia , Macmillan & Coltd,Third Edition,London,١٩٥٨.P.٥٣٣

(٣) Ibid, P.٥٣٣.

ضربة موجعة لمصالح الإسلام. ولو ان ﴿الإمام﴾ علياً قام بشجب قتلة عثمان ورفض التعامل معهم لامكن تجنب الحرب<sup>(١)</sup>.

وناقشت المستشرقة (فاغلييري) الظروف التي مهدت لحرب الجمل والدور الذي مارسته عائشة (رضي الله عنها) في دعم المعارضة ضد الخليفة عثمان، في الوقت الذي قامت به بالتوجه للحج خلال الحصار الذي فرض على بيت عثمان، وفي اثناء عودتها علمت بالاحداث التي جرت في المدينة، ودخل الرعب في قلبها خصوصاً عند سماعها بانتخاب الإمام علي (عليه السلام)، فرجعت الى مكة واشتركت بدعاية مكثفة ضد الخليفة الجديد، وبعد اربعة اشهر التحق بها كل من طلحة والزبير، وعلم الإمام علي (عليه السلام) بعد مدة قصيرة انهم وبصحبة مئات من الجنود كانوا في طريقهم الى العراق، فحاول اللحاق بهم ولكن لم يستطع من ذلك، ومما زاد في اصرارهم على الحرب هو توقعهم الحصول على امدادات بشرية ومادية من اهل العراق، لذلك ترى فاغلييري ان الإمام علياً كان مجبراً على منعهم من السيطرة على العراق، وتعتقد ان السبب في ذلك هو ان سوريا كانت تحت سيطرة معاوية، ومصر في حالة فوضى سياسية، وان خسارة العراق تعني خسارة الاقاليم الشرقية التي تعد واجهة تعتمد عليها الدولة<sup>(٢)</sup>.

وتعتقد (فاغلييري) ان كل من طلحة والزبير وعائشة كانوا يتحملون جزءاً من المسؤولية في قتل عثمان، لذلك ان مطالبتهم بالانتقام من قاتليه مسألة يكتنفها الغموض، وحاولت فاغلييري تفسير هذا التصرف انه يرجع الى دوافع اجتماعية

(١) Ibid, P.٥٣٣.□

(٢) Vaglieri , the Enclopadia of Aslam , P. ٣٨٣.□



واقصادية، دون ان تحدد طبيعة هذه الدوافع، سوى ذكرها دافعاً واحداً وهو خوف الناكثين من تشدد الإمام علي (عليه السلام) في الحكم<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك تابعت فاغليري مجريات المعركة، فذكرت بان المتمردين قاموا باحتلال البصرة وذبحوا عدد من الرجال، وعلى اثر ذلك قام الإمام علي (عليه السلام) بارسال بعض انصاره الى الكوفة لدعوة سكانها للمشاركة معه في الحرب ضد طلحة والزبير وعائشة، وعندما جمع قوة كافية توجه نحو البصرة، ولكن الطرفين كانا يرغبان بتسوية النزاع سلمياً، وبسبب شجار حدث بين الجانبين تطور الى معركة اصبحت فيما بعد مشهورة في سجلات تاريخ المسلمين بـ (معركة الجمل) وحدثت في الخامس والعشرين جمادى الثاني سنة ٣٦ هـ المصادف التاسع من كانون الاول سنة ٦٥٦ م، قتل خلالها كل من طلحة والزبير، بينما اعيدت عائشة (رضي الله عنها) الى المدينة تحت حراسة بامر الإمام علي (عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

ويمكن تقييم موقف (فاغليري) من احداث معركة الجمل بانها قد اختلفت عن سابقتها بالحكم على ان كل من طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنها) كان لهم مصلحة في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، واعطت الحق للإمام علي (عليه السلام) للوقوف بوجههم حيال استيلائهم على العراق، من جانب اخر كانت فاغليري غير دقيقة في قولها ان كلا الطرفين كان يرغب بالسلم، والحقيقة كان ذلك غاية الإمام علي (عليه السلام) في حين غاية الطرف الثاني هي الحرب لا غير.

.(٣) Ibid, P. ٣٨٣

(١) Ibid, P. ٣٨٣.

ويعد ما كتبه المستشرق (فلهوزن) حول معركة الجمل جهدا متميزا، اذ بدأ بعرض الاوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبيان وجه الخلاف بين الإمام علي (عليه السلام) والاشخاص الذين لم يبايعوه عند تسلمه الخلافة، فقد ذكر ان مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كان حادثا جسيما لا يكاد يدانيه في خطره حادث اخر في التاريخ الإسلامي، فمنذ ذلك الحين صار للسيف القول الفصل في امر رئاسة الدولة، وتلك الفعلة المحملة بالبلاء قد وقعت في حجر الإمام علي (عليه السلام)، وقد تلقى البيعة في المسجد في اليوم نفسه الذي قتل فيه الخليفة عثمان<sup>(١)</sup>، ولكن اصابع الاتهام قد وجهت اليه ولم تلقى بيعته تاييدا قويا، وكأما كان من حسن حظه ان طلحة والزبير وهما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة، انقلبا عليه انقلابا مخزيا، لانه بتلقيه البيعة من دونهما كان نجاحا قانونيا، وكان في حياة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) يكيدان له المكائد، ويبدو وكأن ذلك لاجل الإمام علي (عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

(١) تباينت آراء المؤرخين في تحديد اليوم الذي بويع فيه الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة، فيذكر المسعودي ذلك في اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ينظر، المسعودي، مروج المذهب، ٣٥٨/٢؛ بينما يشير السيوطي الى غد اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ينظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، (مصر - ١٣٧١هـ / ١٩٥٢هـ)، ص ١٧٤؛ لكن الطبري يذكر عدة تواريخ في هذا الاطار وابرزها بان المدينة المنورة قد بقيت بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) خمسة ايام بدون خليفة وكان اميرها الفاطمي بن حرب، ينظر، الطبري، تاريخ، ٤٣٢/٤؛ وذكر ابن الاثير نفس ما ذكره الطبري، ينظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٨٣/٣. وعلى ما يبدو ان فاغليري قد اخذت بما ذكره المسعودي.

(٢) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٥٠، ٥١، ٥٢.

فقد قدماءه في وقت سابق على نفسيهما، لكنهما الان خرجا عليه خروج المنافقين واتهماه انه هو الذي دبر مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو الذي استفاد منه، مما دفعهما بترك المدينة والانتقال الى مكة، وكانت هناك عائشة (رضي الله عنه) وقد انسحبت من الثورة على عثمان (رضي الله عنه) بعد ان اشتركت فيها اشتركا قويا والكلام لفلهوزن، واتجهت الى مكة قبل ان يبلغ الامر غايته، وذلك لكي تبعد الشبهة عنها، ويمكن تفسير موقفها هذا بانها كانت تبغض الإمام علي (عليه السلام)، فعندما سمعت بانه قد بويع، لم تتردد في تقديس الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ونادت بالثار له من الخليفة الجديد، واستطاعت ان تجمع حولها عدد من الهاربين الى مكة وانضم اليها طلحة والزبير، وكانوا ثلاثتهم قواد ﴿الثورة﴾ على الإمام علي (عليه السلام)، ولكنهم لم يستطيعوا محاربته من مكة، لانه وحسب اعتقاد فلهوزن كان في المدينة وعدد رجالها اكثر من مكة، فقررروا ان يخرجوا من جزيرة العرب ويقصدوا البصرة، التي تأوي مؤيدين لطلحة واستطاعوا السيطرة والاستقرار فيها، ونتيجة لهذه الاحداث وجد الإمام علي (عليه السلام) نفسه مرغماً على اللحاق بهم الى العراق، وقصد الكوفة اولاً وكان مالك الاشرق قد مهد له الطريق وخرج الإمام علي (عليه السلام) في اهل الكوفة، وهاجم البصرة، وانتصر على اعدائه في موقعة الجمل في (٩ ديسمبر سنة ٣٦هـ/٦٥٦م)<sup>(١)</sup>.

(١) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٥٢، ٥٣.

ويذكر (فلهوزن) نتيجة هذه المعركة بمقتل كل من طلحة والزبير وانسحاب عائشة من المعركة، ومن ثم صالح اهل البصرة الإمام علي (عليه السلام) وبايعه اهل العراق جميعاً فاقام هناك واتخذ الكوفة عاصمة للدولة<sup>(١)</sup>.

وتعد دراسة المستشرق (وليم ميور) للمعارك التي خاضها الإمام علي ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، في كتابه (الخلافة، ظهورها، تدهورها وسقوطها) من الدراسات الشمولية المهمة التي تطرق من خلالها للأحداث التاريخية المتعلقة بالخلافة عامة والاحداث التي رافقت خلافة الإمام علي (عليه السلام) خاصة بعد ان وضع الظروف التي اعقبت مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه).

اشار (ميور) الى انسحاب اقرباء عثمان (رضي الله عنه) الذين اسهموا في الدفاع عنه لبيتعدوا عن المشهد في اثناء الحادثة، وساد الرعب في المدينة التي تقبلت هذه الفاجعة بصعوبة، وذكر ان الكثير من الذين شجعوا او ساهموا مع المتمردين بدأوا بالتراجع بعد وقوع الحادث وهرب اقرباء الخليفة المقتول الى مكة عازمين على الانتقام، ولفوا الاصبع المقطوع العائد لزوجته عثمان (رضي الله عنه)، نائلة، وقميص الخليفة عثمان (رضي الله عنه) المضرج بالدماء كرمز للانتقام وحملوه الى دمشق، ليكون تحت انظار معاوية، وسادت الفوضى المدينة المنورة ﴿بضعة ايام وسيطر القتل عليها، وكان المصريون من بينهم في بادئ الامر، وبعد مرور خمسة ايام صمم المتمردون على انتخاب خليفة يعود بالدولة الى وضعها الطبيعي، ومن دون شك تقلص نشاط من اراد الظهور بالواجهة

(١) تاريخ الدولة العربية، ص ٥٣.

كخليفة لعثمان (رضي الله عنه) وانسحب الإمام علي (عليه السلام) وفضل ان تكون الخلافة لطلحة او الزبير<sup>(١)</sup>.

ويضيف ميور القول: ((واخيرا وتحت تاثير القتل وتوسلات الاصدقاء وافق علي على الخلافة بعد ستة ايام من الفاجعة واقسم على ان يعمل وفق القاعدة (كتاب الله)، ثم نودي له بالخلافة وكان طلحة والزبير اول من بايع ثم زعما انهما كانا مجبرين على المبايعة خوفا من المتآمرين))<sup>(٢)</sup>.

ثم بايع اغلب الناس وكان هناك بعض من تخلف، ولكن الإمام عليا (عليه السلام) كان متساهلا ولم يجبر الناس على المبايعة واعلان الولاء واعلن المتمردون ولاءهم واعلموا بذلك الكوفة والبصرة والفسطاط<sup>(٣)</sup>.

ويصف ميور الوضع الصعب الذي تحمل تبعاته الإمام علي (عليه السلام) بالقول:

((لم يفرش الدرب بالورد لعلي لا في الداخل ولا في الخارج وكان امامه المعاناة والقلق))<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد (ميور) بان الإمام عليا (عليه السلام) كان مجبرا على تطبيق سلطة القانون وضرورة معاقبة الرجال الذي تلطخت ايديهم بدم الخليفة عثمان (رضي

(١) Muir ,The Caliphate , its Rise,Decline and Fall,Beirut,١٩٦٣,P.٢٤٨.

(٢) Muir ,The Caliphate,... , P.٢٤٨.

(٣) Ibid , P.٢٤٩.

(٤) Ibid , P.٢٤٩.

الله عنه)، ولكنه حاول ان ينتظر لما ستسفر عنها الامور، وكان في هذا الانتظار هلاكه، فقد تجاوز الخمسين من العمر بينما كان في سنينه المبكرة قويا.

وعلى الرغم من ان الإمام عليا (عليه السلام) قد اذان عمل قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وعدّه خيانة عظمى - والكلام لـ (ميور) -، ((الا انه لم يتخذ خطوة لمعاقبتهم، واعطى الاذن الصماء بالعناد والاهمال))<sup>(١)</sup>.

ان وصف ميور لموقف الإمام علي (عليه السلام) بهذا الوصف، لانه ذكر في اثناء عودة ابن عباس (رضي الله عنه) من الحج سمع بنصيحة المغيرة بن شعبة للإمام علي (عليه السلام) بضرورة ان يترك عموم العمال في مناصبهم حتى تستقر اوضاع الدولة، لكنه رفض على الرغم من الحاح ابن عباس بضرورة ابقاء معاوية على الاقل لما له من تاثير وكلمة مسموعة عند اهل الشام<sup>(٢)</sup>.

ويذكر (ميور) ان الإمام عليا (عليه السلام) قد ارسل عمالا من خاصته ليحلوا محل العمال السابقين في عموم الدولة الا انهم استقبلوا بعدم الرضا، ونتيجة لذلك فقد تباحث مع طلحة والزبير هذا الامر وتوصل الى ضرورة ارسال رسائل الى كل من معاوية وابي موسى ((الاشعري))<sup>(٣)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان الولاة الذين عينهم الإمام علي (عليه السلام) على الأمصار الإسلامية كانوا من المسلمين المعروفين بالورع والتقوى ولا يرتبطون به بصلة قرابة باستثناء عبد الله بن عباس.

(٢) Ibid,P.٢٥٠

(٢) Ibid , P.٢٥٠.

(٣) Muir ,The Caliphate,...., P.٢٥١.

فكان جواب ابي موسى كما يصفه ميور فيه تعابير موالية للدولة، في الوقت نفسه حذر الخليفة من الاستياء الذي يحيط به من اهل الكوفة، اما الاتصال بسوريا فكان مقطوعا تماما لاسابيع ولم يتم الرد من معاوية، وبدأ يظهر على المسرح مشهدا غريبا هيا له معاوية وتمثل باثارة الناس من اجل الثأر لمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)<sup>(١)</sup>.

وينتقل (ميور) بعد ذلك في ما اورده الى محور مهم من محاور معركة الجمل، وتمثل بدور عائشة (رضي الله عنها) في هذا الموضوع، فقد ذكر انها وفي اثناء عودتها من مكة الى المدينة سمعت خبر مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، صرخت اعيدوني الى مكة، لقد قتلوا الخليفة وسوف اخذ بثأره، بينما كانت هي جزءاً من الفتنة واثارت السخط ضد الخليفة، الا انها لم تشترك في الهجوم، وحاولت ان تبعد اخاها (عبد الرحمن بن ابي بكر) بدعوته لمرافقتها الى مكة، ولم تنس عائشة موقف الإمام علي في اثناء حادثة الافك، لذلك كان يسعدها نجاح الزبير بديلا عنه، فعملت على اثارة الناس في مكة في الوقت الذي وصل فيه كل من طلحة والزبير، وهكذا فعل التحريض فعله وبتأثير بني أمية الهاربين من المدينة او المقيمين في مكة. وهناك العديد من الناس الذين استمعوا الى حديث طلحة والزبير، اذ كانا يحثان العامة على الاخذ بثأر الخليفة المقتول<sup>(٢)</sup>.

ويتابع (ميور) القول بان البصرة كانت وجهة اتباع عائشة وطلحة والزبير وكان ميول اغلب سكانها الى طلحة كون عاملها الاخير ابن عامر هو صديقا للخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ودار نقاش حول موضوع من سيكون خليفة في

(٤) Ibid , P.٢٥٢.

(١) Ibid,P.٢٥٤-٢٥٦.

حالة الانتصار، طلحة ام الزبير، لكن عائشة (رضي الله عنها) ارجأت ذلك الامر، ودعت عبد الله بن الزبير ليؤم المصلين وتترك مسالة اختيار خليفة المستقبل الى حين انجلاء الموقف<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك ذكر (ميور) مسير عائشة (رضي الله عنها) باتجاه البصرة وعند مرورها باحدى المناطق سمعت نباح كلاب فسألت سائق بعيرها عن اسم تلك المنطقة فاجابها انها تسمى منطقة (الحوآب)، وعلق (ميور) على هذا الموقف بالقول: ((برق في ذاكرة عائشة شيئا قاله محمد بشأن كلاب الحوآب، فصرخت (اعيدوني) فانيخ جملها وقفزت من هودجها على عجل صارخة (واحسرتاه، واحسرتاه، لقد سمعت رسول الله يوبخنا عندما كن نحن نساءه محيطات به في يوم ما (اه لقد عرفت أي منكن ستبج عليها كلاب الحوآب) انها انا، انها انا))<sup>(٢)</sup>.

واكدت عائشة لاصحابها انها لن تتحرك خطوة واحدة بعد في هذه الحملة المشؤومة وقد حاول من حولها اقناعها ان السائس قد اخطأ باسم المنطقة الا انها لم تتحرك وبقي الجيش لمدة يوم كامل، ونودي من الجيش ان الإمام علي (عليه السلام) وجيشه قد اقتفوا اثارهم، فعم الرعب الاكبر، واسرعت عائشة الى الجمل واستانف المسير، واطاف (ميور) القول: ((لم يكن هذا الانذار المختلف لا اساس له من الصحة، فعندما وصلت الاشاعة حول الرجوع الى المدينة، رفض علي ان يتحرك ضد الساخطين ما دام ليس هناك فعل يهدد وحدة الإسلام))<sup>(٣)</sup>.

(٢) Ibid , P.٢٥٦.

(٣) Muir ,The Caliphate,...., P.٢٥١.

(٤) Ibid,P.٢٥٧.



ولكن وبعد مدة قصيرة والكلام لـ (ميور) ايضا، وصلت الاخبار للامام علي (عليه السلام) انهم قد واصلوا مسيرتهم باتجاه البصرة، ولذلك وقبل ان يجازف الخليفة باللحاق بهم ارسل رسله الى الكوفة ومصر طالبا منهم العون، وفي الوقت نفسه جرت مراسلات بين والي البصرة عثمان بن حنيف والتمردين، ودعا الى اجتماع لمعرفة هوى الناس، ونتيجة للهياج عرف ان هناك حزبا قويا يؤيد التمردين، انبثق مؤتمر مؤلف من طلحة المفضل لدى اهل البصرة والزبير وعائشة، وخطب الثلاثة بطريقة انفعالية ضد قتلة عثمان (رضي الله عنه) وكان الطرف الاخر صارخا ايضا باحتجائه ضد عائشة وهجومها على مدينتهم، وكان في عملها استخفاف بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخروج عن قداسة سترها واحتشام لقبها (ام المؤمنين)<sup>(١)</sup>.

وعرض (ميور) الجدل الذي سبق المعركة، والاتفاق الذي تم بين عثمان بن حنيف والتمردين، الا ان التمردين نقضوا العهد واستطاعوا التغلب على الحرس الشخصي لعثمان بن حنيف واعتقلوه ودار قتال عنيف في اليوم التالي اندحر فيه انصار الإمام علي (عليه السلام) واصبحت المدينة في يد طلحة والزبير، واصلوا ان أي شخص اسهم في الهجوم على الخليفة عثمان (رضي الله عنه) سوف يتم اعدامه، وأعدم الكثير ولكن بقي ابن حنيف على قيد الحياة واطلق سراحه بعد ان تنفت لحيته وشاربه وحاجبيه، وفي هذه الحالة المزرية توجه العامل المطرود الى الإمام علي (عليه السلام). وفي هذه الاثناء ارسل العصاة انباء

(١) Ibid , P.٢٥٨.

انتصاراتهم الى سوريا وبعثت عائشة (رضي الله عنها) برسائل الى الكوفة والمدينة المنورة واليمن وطلبت فيها التنصل عن بيعة الإمام علي (عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك اسهب (ميور) في موضوع الرسائل التي بعثها الإمام علي (عليه السلام) الى الكوفة والبصرة، ووضح موقف ابي موسى الاشعري من الاحداث اذ دعا اهل الكوفة الى ملازمة بيوتهم وعدم الانجرار في هذا الصراع، ولكن كان لمجيء الإمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر (رضي الله عنه) للكوفة اثر فعال في حشد المؤيدين. اما ما كان يدور في ذهن الإمام علي (عليه السلام) تجاه هذه الاحداث عبر عنه المستشرق (ميور) بقوله:

((كان علي يروم السلام جهد الامكان، فقد كان رجل تسوية ومستعدا من اجل مصلحة الإسلام، وكان لديه الاستعداد ان يتناسى الاساءة الموجهة اليه))<sup>(٢)</sup>.

واضاف (ميور) انه لم يكن هناك اختلاف كبير لقطع امل الصلح، فشعار طلحة والزبير كان هو الانتقام من قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وايضا من اولئك الذين لم يقدمهم الإمام علي (عليه السلام) للعدالة في حينه، لكن عليا كان ملزما بتوقيت هذا الامر، ففي جيشه عدد كبير من الرجال الذين انتفضوا ضد الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وتطبيق العقوبة عليهم كما يريد خصومه امراً مستحيلا في حينه، ولهذا الاسباب توقف الإمام علي (عليه السلام) قليلا عند البصرة وارسل (صعصعة) مع بعض القادة المشهورين القادمين من الكوفة لمجادلة طلحة والزبير فقال صعصعة لهم: ((لقد قتلتم ستمائة رجل في البصرة ثارا

(٢) Muir, The Caliphate, ..., P. ٢٦٠-٢٥٩.

(٣) Ibid, P. ٢٦٢-٢٦١.

لدم عثمان وتريدون قتل ستة الاف رجل اخر، اين ستقف الحرب الضروس، الإسلام بحاجة الى السلام والهدوء، كفوا عن ذلك وستطبق سلطة القانون ويقدم المذبذبون للعدالة))<sup>(١)</sup>.

لذلك ادرك كل من طلحة والزبير الحقيقة وحتى عائشة، واعطوا وعدا ان كان هذا هو رأي الإمام علي (عليه السلام) فانهم موافقون، وكان الإمام علي (عليه السلام) سعيدا ببشائر نجاح التسوية السلمية. ولكن بين صفوف جنود الإمام علي (عليه السلام) مجموعة من البدو وفيهم عدد كبير من قتلة الخليفة، فادرك الإمام علي (عليه السلام) هذه المسألة واعطى اوامره بعدم انضمامهم الى السرايا المتقدمة تجنبا لتماسهم مع جيش الخصم الغاضب، وهؤلاء وعلى رأسهم الاشر اصبحوا منزعجين<sup>(٢)</sup>.

ويتابع (ميور) وصف الاحداث بالتفصيل ويذكر من بينها استمرار مفاوضات السلام بين الطرفين اذ التقى الإمام علي (عليه السلام) طلحة والزبير على ظهور الخيول فقال الإمام علي (عليه السلام) للزبير ((الم تقسم لي بالمبايعة)) فاجابه الزبير ((نعم ولكن السيف كان يلج اعناقنا وان مطلبنا الآن هو تنفيذ العدالة ضد قتلة عثمان)) فافاد علي من انه لا يقل عنهم طلبا لاحقاق الحق على القتلة ولكن ان تكون عقوبتهم في وقتها))، فاقنع الجيشان ان المفاوضات جارية وانهم سينامون الليل بامان افتقدوه لمدة اسابيع، ولكن حدث في الصباح هزة غيرت المشهد، فقد قامت في اثناء الليل سرية خيالة من القتلة حاملي الرماح بالاندفاع امام مخيم اهل البصرة وشعر كلا المعسكرين ان الاخر قد هجم عليه

(١) Ibid , P.٢٦٢.

(٢) Muir ,The Caliphate,...., P.٢٦٢-٢٦٣.

واستقر الجيشان احدهما مقابل الاخر وكما انتهى المتآمرون، وحاول الإمام علي ان يرجع جيشه<sup>(١)</sup>، ويعلق ميور على ذلك بقوله:

((لقد كانت مقابلة غريبة، فلاول مرة يرفع المسلمون سيوفهم بوجه بعضهم، وهذه تذكر بحالة العرب بالجاهلية فقط، واستبدل هذا التنافس القبلي بتنافس اخر وانقسمت العشائر واصبح القتال داخليا (فبني ربيعة من الكوفة يقاتلون بني ربيعة من البصرة، وبني مضر من هنا تقاتل بني مضر من هناك)، وهكذا حتى على مستوى العائلة الواحدة، وكان القتلة يحثون سرايا الكوفة للقتال))، ويعتقد (ميور) ان السبب في ذلك هو شعورهم ان عدم انتصار الإمام علي (عليه السلام) يعني ان مصيرهم الموت، وان ما جرى من عنف وعناد للقتال لا يمكن ان يعلل الالهذا السبب<sup>(٢)</sup>.

وينتقل (ميور) الى وصف التحام الجيشان، ويذكر ان الزبير الذي كان ((نصف راغب)) بالقتال، جعله لقاءه بالإمام علي (عليه السلام) ان يترك الميدان حسب وعده له، وقتل في وادي مجاور للميدان، واصيب طلحة بسهم في ساقه وحمل الى البصرة اذ مات هناك، ودار قتال عنيف حول الجمل وقتل حوله من قريش سبعون رجلا، وتم عقر الجمل وانسحب باقي العصاة (جماعة طلحة والزبير وعائشة) الى المدينة، وكان الهودج قد اصابته السهام من الكثرة بحيث اصبح كالقنفذ، وهكذا فقد هربت ((المرأة الشجاعة المتمردة)) على حد تعبير (ميور) دون ان تصاب بجروح<sup>(٣)</sup>.

(٣) Ibid,P.٢٦٣-٢٦٤.

(١) Ibid , P.٢٦٤.

(٢) Muir ,The Caliphate,... , P.٢٦٤-٢٦٥.

بعد ذلك يبدي (ميور) تقييمه لنتائج المعركة بكلام طويل يمكن اختصاره ببضعة سطور، فقد ذكر ان ((المذبحة)) في هذه المعركة المشؤومة التي سميت بـ (الجملة)، قتل فيها عشرة الاف شخص بالمناصفة بين الجانبين، واعطى الإمام علي (عليه السلام) اوامره بعدم مطاردة الهاربين او الاجهاز على الجرحى او السلب او اقتحام أي بيت، وحفر خندقا وارى فيه العدو والصديق معاً، وعسكر خارج المدينة ثلاثة ايام، ويصف (ميور) هذا الموقف بقوله:

((لقد كانت تجربة جديدة ان يدفن قتلى المعركة ليس ضد المشركين بل ضد المؤمنين، وبدلاً من ان يحسب علي عدد قتلاه تحدث بقلب سليم عن الجميع وعندما جلبوا له سيف الزبير لعن قاتله واسترجع في ذاكرته صولات حامله الذي بدع في استخدامه منذ بدايات الإسلام وصرخ علي (لطالما حمى جبين الرسول وازال السقم عنه)<sup>(١)</sup>.

ويستدرج (ميور) في بيان دور الزبير وطلحة وتأثير المسلمين عليهم نتيجة قتلهم، وان قتل الكثير من الصحابة كان خسارة للدولة، ويعزز (ميور) موقفه من هذه المعركة بقوله:

((لقد كان انتصار علي عملياً انتصاراً لقتلة عثمان المسندين من احزاب الكوفة، ولو اتفق علي مع الزبير وطلحة لكان موقف علي لا يضاهي، فقد كان دفنه لقتلى اعدائه دلالة على رفعه شبهاته المتقدمة))<sup>(٢)</sup>.

(٣) Ibid, ..., P. ٢٦٥.

(١) Ibid , P. ٢٦٦.

ورغم ما ذكره المستشرق (ميور) من تفاصيل دقيقة عن معركة الجمل والملايسات التي رافقتها، الا اننا نستشف من كلامه ما ياتي:

أولاً: ان الصبغة التي وسم بها (ميور) جيش الإمام علي (عليه السلام)، على انهم من قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وهذا يعد كلاما غير منصف، لان الذين حاصروا بيت الخليفة عثمان كان عددهم لا يتجاوز الستمئة شخص واغلبهم من المصريين بينما كان جيش الإمام علي (عليه السلام) يصل تعداده الى اكثر من عشرة الاف، فهل ان لهذا العدد الضئيل وان صح اعتقاد (ميور) بوجوده ضمن جيش الإمام علي (عليه السلام)، تأثيرا سحريا على مجموع الجيش ليقود هذه الالاف الى الموت دون ان يشعروا؟

ثانياً: ابرز (ميور) الاحداث التي وضحت الامور بشكل يقطع الشك في رغبة الإمام علي (عليه السلام) في السلام الى الحد الذي جعله يتجاوز الاساءة التي وجهت اليه والمتمثلة بما فعله طلحة والزبير وعائشة بواليه على البصرة عثمان بن حنيف وقتلهم الناس الابرياء في البصرة.

ثالثاً: ذكر (ميور) ان الإمام عليا (عليه السلام) كان متساهلا ولم يجبر احدا على بيعته، وهذا ما يؤكد ان هدفه من الحرب ضد طلحة والزبير لم يكن من اجل البيعة، لانهما سبق وان بايعاه، ولكنهما عاثا فسادا في حاضرة من حواضر الإسلام الا وهي البصرة وقتلوا واستولوا على اموال المسلمين بالقوة مما استدعي الوقوف بوجههم ومعاقبتهم على فعلتهم تلك، بعد ان القى عليهم الحجة بضرورة الرجوع الى طريق الصواب. واكد ميور ان الإمام علي (عليه السلام) كان مجبرا على تطبيق سلطة القانون.

رابعاً : اشار (ميور) الى ان الإمام عليا (عليه السلام) قد دفن موتى الطرفين، وفسر (ميور) ذلك انه من اجل ان يبعد الشبهات عنه، وفي اعتقادنا ان السبب يعود الى ان الإمام علي (عليه السلام) كان يعرف ان خصومه قد غرر بهم، هذا من جانب، ومن جانب اخر فهم مسلمون وليس بكفار ودفن المسلم لاخيه المسلم من مسلمات الامور.

خامساً : حمل (ميور) بعض اقرباء الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وعائشة جانبا كبيرا من المسؤولية في قتلهم اياه.

سادساً : من خلال ذكر (ميور) للظروف التي سبقت معركة الجمل، تبين له ولنا ان طلحة والزبير وعائشة قد احسوا باخطائهم، ولا سيما عندما تذكرت عائشة نبوءة النبي حول ما يجري لاحدى زوجاته في منطقة الحوآب، وكذلك طلحة والزبير عندما ذكرهما الإمام علي (عليه السلام) ببيعته التي في رقبتهما، ولكن يبدو ان الاحقاد قد اعمت الناكثين ودفعتهم الى مصيرهم المحتوم.

سابعاً : وصف (ميور) الإمام عليا (عليه السلام) بالعناد والاهمال نتيجة لعدم اخذه برأي المغيرة وابن عباس، والسبب واضح ويتلخص ان القيم الإسلامية التي يحملها الإمام علي (عليه السلام) القائمة على عدم مهادنة الاشرار الذين يحاولون الرجوع بالإسلام الى ادران الجاهلية، هي ليست نفس القيم التي يحملها المستشرق (ميور)، القائمة على ان الغاية تبرر الوسيلة.

ثامناً : ان التقييم العام لما كتبه عن معركة الجمل يمكن ان نصفه انه استخدم ما يمكن استخدامه من الموضوعية والالمام بكل جوانب الحدث، مما يجعله يتفوق

على غيره من المستشرقين في وصف حرب الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين وما سيذكره حول حرب صفين والنهروان.

ان الامر المهم الذي يمكن تشخيصه من خلال متابعتنا لما كتبه بعض المستشرقين عن معركة الجمل هو تركيزهم على احداث قد تبناها موقفا في تقييمهم لاحداث هذه المعركة، من بينها ان سبب حدوثها يعود الى مطالبة كل من عائشة وطلحة والزبير بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، بينما تشير الحقائق التاريخية الى اسباب كامنة غير ما هو معلن.

فموقف السيدة عائشة (رضي الله عنها) من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) كان واضحا، ويمكن وصفه بغير المنسجم او التحريضي، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال عدة وقائع تاريخية.

لقد ذكر اليعقوبي ان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبينما كان يخطب يوما، فقاطعته عائشة، وجاءت بقميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونادت:

((يا معشر المسلمين: هذا جلباب رسول الله لم يُبل، وقد ابلى عثمان سنته! فقال عثمان: رب اصرف عني كيدهن ان كيدهن عظيم))<sup>(١)</sup>.

ووصف الدكتور طه حسين السيدة عائشة انها كانت من اشد نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انكارا لسياسة عثمان، وقد انتقدته من وراء سترها وهو على المنبر عندما عاب عبد الله بن مسعود واسرف في عيه، كذلك لم تخف

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٧٥/٢.



اعتراضها على سيرة عمال الخليفة عثمان (رضي الله عنه) حتى ظن الكثير من الناس انها كانت من المحرضين على الثورة ضده<sup>(١)</sup>.

وحدد اليعقوبي الاطراف المحرضة على قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بثلاثة افراد وهم طلحة والزبير وعائشة<sup>(٢)</sup>. وهم بدورهم يضاف لهم معاوية بن ابي سفيان كانوا لولب المؤامرة ضد الإمام علي (عليه السلام)، ليتهموه بما ارادوه للخليفة عثمان من المصير الذي آل اليه.

فقد روى البلاذري ما نستدل به على اشتراك طلحة الى جانب غيره في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ففي اثناء هزيمة جيش الناكثين في مساء معركة الجمل ولما رأى مروان بن الحكم ذلك الموقف قال:

((والله لا اطلب ثاري بعثمان بعد اليوم ابداً)) وتربص لطلحة بسهم واصاب ساقه، والتفت الى ابان بن عثمان فقال له: ((قد كفيتك احد قتلة ابيك))<sup>(٣)</sup>.

وفي موقف سابق لطلحة تجاه الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فقد تخلى عنه ابان الحصار الذي فرض عليه، وذكر الطبري في هذا السياق بان الإمام علي (عليه السلام) قال لطلحة: ((انشدك الله الا رددت الناس عن عثمان ! قال: لا والله حتى تعطي بنو امية الحق من نفسها<sup>(٤)</sup>)).

(١) المجموعة الكاملة - الخلفاء الراشدون -، الشركة العامة للكتاب، طه (بيروت- ١٩٩٦م)، ٤٥٤/٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ١٧٥/٢.

(٣) جمل من انساب الاشراف، ٤٣/٣.

(٤) تاريخ، ٤٠٥/٤.

والواقع ان دافع طلحة وغيره للمطالبة بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) لم يكن ذاتيا بقدر ما هو بتحريض من عائشة من اجل قتال الإمام علي، وكان ذلك ضمن حملة اعلامية للنيل من الإمام علي (عليه السلام) وما اكتسبه من الهالة ودوره في نشر الإسلام<sup>(١)</sup>.

واشار الشيخ المفيد الى ملاسبات هذا الموضوع بالادلة الواضحة المستقاة من بطون المصادر التاريخية، واكد ان مقتل الخليفة عثمان هو ظاهر الاسباب التي ادت الى نشوب معركة الجمل، اما باطنا فبخلاف ذلك كما تدل عليه الاخبار، لان طلحة والزبير وعائشة هم الذين كانوا السبب في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) باجماع العلماء بالسير والاثار.

واورد الشيخ المفيد رواية تبين من خلالها ان الذين قدموا من مصر الى المدينة ليجهروا بعيوب الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد اجتمعوا وقصدوا عائشة واخذوا موافقتها من اجل الخروج ضد الخليفة<sup>(٢)</sup>.

ويروى ان الإمام علياً (عليه السلام) قد قدم النصح والارشاد لكل من طلحة والزبير وعائشة قبل المعركة عندما بعث لهم كتابا من المدينة الى البصرة يحذرهم فيه من نكثهم لبيعته، جاء فيه:

(١) بيضون، ابراهيم، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، مؤسسة بيسان، (بيروت - ١٩٩٩م)، ص ٦٢.

(٢) ينظر، الجمل، ص ١٤٥-١٥٠، اذ اورد الادلة التاريخية التي توضح رغبة كل من طلحة والزبير وعائشة بالقتل بل واشترك طلحة والزبير في حصار الخليفة عثمان وتحريض عائشة للناس من اجل التخلص منه.

((اما بعد: يا طلحة ويا زبير قد علمتما اني لم ارد البيعة حتى اكرهت عليها وانتم ممن رضي ببيعتي فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما انتما عليه وان كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما اليّ السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكفاكما المعصية، وانت يا طلحة شيخ المهاجرين وانت يا زبير فارس قريش رفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه فكان اوسع لكما من خروجكما منه قبل اقراركما، وانت يا عائشة فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين امرا كان عنك موضوعا ثم تزعمين انك تريدان الاصلاح بين المسلمين فخبيريني ما للنساء وَقُودُ الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين اهل القبلة وسفك الدماء المحرمة ثم انك طلبت على زعمك بدم عثمان وما انت وذاك عثمان رجل من بني امية وانت من تميم ثم بالامس تقولين في ملاء من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي الى بيتك واسدلي عليك سترك والسلام، فما اجابوه بشيء))<sup>(١)</sup>.

ولم يكن للوعظ والقاء الحجة حدود عند الإمام علي (عليه السلام) فقد دعا الزبير في ساحة المعركة وسأله عن السبب الدافع لقتاله، فاجابه بانه الطلب بدم الخليفة عثمان، فقال له الإمام علي:

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص، منشورات الشريف الرضي، (قم - ١٤١٨هـ)، ص ٧٠، ٧١؛ وينظر ابن الصباغ علي بن محمد بن احمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)، المطبعة الحيدرية، ط ٣ (النجف - ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م)، ص ٥٥، اذ ذكر رسالتين كل واحدة على حدة ارسلهما الإمام علي (عليه السلام) احدهما موجهة الى طلحة والزبير والثانية الى السيدة عائشة، ولم يدججهما في رسالة واحدة كما ورد في تذكرة الخواص لسبط الجوزي.

((قتل الله اولانا بدم عثمان))<sup>(١)</sup>، ﴿اما تذكر قول رسول الله (ص) لك﴾  
 ((يا زبير اتحب عليا فقلت وما يمنعي من حبه وهو ابن خالي فقال لك اما انك  
 ستخرج عليه وانت ظالم له))<sup>(٢)</sup>، فقال:

((اللهم بلى ولكني قد نسيت ذلك وبعد ان ذكرته لانصرفن ولو ذكرت  
 هذا قبل ما خرجت عليك، ولكن هذا تصديقا لقوله (صلى الله عليه وسلم) ثم  
 كر راجعا، فسألته عائشة (رضي الله عنها) عما جرى بينهما، فقال الزبير: والله  
 ما وقفت موقفا ولا شهدت مشهدا في شرك ولا اسلام الا ولي فيه بصيرة، واما  
 اليوم على شك من امري وما اكاد ابصر موضع قدمي، ثم شق الصفوف وخرج  
 بينهم وسلك طريقا طالبا مكة، فنزل على رجل من بني تميم يدعى عمر بن  
 جرموز المجاشعي، فضيفه وخرج معه الى وادي السباع ليوهمه بانه يريد مسابرة  
 ومؤانسته، وقتله غيلة واخذ سيفه وخاتمه ومضى به الى الإمام علي (عليه  
 السلام)، فلما وصل سلم عليه وهناه بالنصر، واخبره بقتله للزبير ابن العوام،  
 فقال له الإمام علي (عليه السلام) ابشر بالنار، فقال ابن جرموز:

انا لله وانا اليه راجعون انا ان قاتلناكم فنحن في النار، وان قاتلنا لكم  
 فنحن في النار؟ فقال الإمام علي (عليه السلام) ذلك شيء سبق لابن صفية))<sup>(٣)</sup>.  
 اما طلحة فهو الاخر قد القى الإمام علي (عليه السلام) عليه الحجة في  
 ساحة المعركة، ونصحه بضرورة استدراك الامر والكف عن محاربتة، فقال له:

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٥٠٥/٢.

(٢) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص ٦٣.

(٣) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص ٦٣.

((نشدتك الله هل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقول: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه<sup>(١)</sup>)؟ قال: نعم، وذكره، قال: فلم تقاتلني<sup>(٢)</sup>)؟ قال: لم اذكر وانصرف طلحة<sup>(٣)</sup>.

وتسجل الاحداث التاريخية موقفا للسيدة ام سلمة (هند بنت ابي امية) (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م) احدى ازواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نصحت فيه السيدة عائشة بعد خروجها لمحاربة الإمام علي (عليه السلام)، جاء في بعض منه: ((... قد علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال، ولا يرأب بهن اذا تصدع، جهاد النساء غض الابصار وضم الذبول، ما كنت قائلة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لو عارضك باطراف الجبال والفلوات، على قعود من الابل، من منهل الى منهل،... وقد هتكت حجابها الذي ضرب الله عليك، وتركت عهدها. ولو اتيت الذي تريدني، ثم قيل لي ادخلي الجنة لا استحييت ان القى الله هاتكة حجابا قد ضربه علي،...، ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنهشتي نهش الحية، والسلام))<sup>(٤)</sup>.

فاجابتها عائشة بالقول: ((ما اقبلني لوعظك، واعلمني بنصحك، وليس مسيري على ما تصنين، ولنعم المطلع مطلع فزعت فيه الي فتتان متناجزتان، فان

(١) احمد بن حنبل، المسند، ١ / ١٤٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢ / ٥٠٧، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ٢٥ / ١٠٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٧٣.

(٣) الخوارزمي، المناقب، ١٨٢، ١٨٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١ / ٧٦.

اقدر ففي غير حرج، وان اخرج مالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه،  
والسلام))<sup>(١)</sup>.

وركز المستشرقون عند دراستهم لاسباب الخلاف الذي كان بين الإمام علي (عليه السلام) وعائشة على سبب واحد وهو حادثة الافك المعروفة، وموقف الإمام علي (علي السلام) منها، في حين ان الإمام عليا قد شخص الاسباب التي جعلت من السيدة عائشة تناصبه العدا.

فقد روي انه عند وصول الإمام علي الى البصرة، جاءه رجال وقالوا له:

((يا امير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة بالمظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت؟))، فقال (عليه السلام) ساذكر لكم اشياء ليس لي في واحد منها ذنبا اليها<sup>(٢)</sup>.

ويمكن اختصار بعض هذه الاسباب التي وردت على لسان الإمام علي (عليه السلام) بالنقاط الآتية:-

اولاً : تفضيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي (عليه السلام) على ابي بكر (رضي الله عنه) وتقديمه اياه، مما اثار ضغينة السيدة عائشة (رضي الله عنها).

ثانياً : اوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بسد الابواب التي كانت في المسجد النبوي، بوجه كل الصحابة، الاباب الإمام علي، وكان من بين تلك الابواب التي سدت بابي ابي بكر وعمر (رضي

(١) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ٧٦/١.

(٢) الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤٠٩.

الله عنهما)، وعندما حدث لفظ في هذا الموضوع قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

((ما انا سددت ابوابكم وفتحت باب علي، بل الله عز وجل سد ابوابكم وفتح بابه))<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: عدم استطاعة كل من ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) من اقتحام حصن خيبر وتراجعهما، في حين ان الإمام علي (عليه السلام) تمكن من تحقيق ذلك<sup>(٢)</sup>، بعد ان قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ((سأعطي الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...))<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: عندما بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر (رضي الله عنه) بسورة براءة وامره ان ينبذ العهد للمشركين وينادي فيهم، فمضى حتى انخرق، فاوحى الله تعالى الى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يرده وياخذ الايات ويسلمها الى الإمام علي (عليه السلام)، فصرف ابا بكر (رضي الله عنه) باذن الله عز وجل، مما جعله يحمل شيئاً في باله على الإمام علي، وتبعته ابنته عائشة في ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) احمد بن حنبل، المسند، ٤ / ٤٥١ ؛ وفضائل الصحابة، ٥٨١/٢، ٥٢٨ ؛ النسائي،

الخصائص، ص ٩٨ ؛ الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤١٠.

(٢) الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤١٠.

(٣) احمد بن حنبل، المسند، ١ / ١٢٤ ؛ الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤١٠.

(٤) الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤١١.

خامساً : لما رُميت عائشة (رضي الله عنها) بما رميت في حادثة الافك، اشتد ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاستشار الإمام علياً في امرها، فقال له:

((سل جاريتها بريرة واستبرئ حالها منها، فان وجدت عليها شيئاً فخل سبيلها، فان النساء كثيرة. فامرني رسول الله ان اتولى مسألة بريرة واستبرئ الحال منها ففعلت ذلك، فحققت عليّ، والله ما اردت بها سوءاً، لكنني نصحت الله ولرسوله {صلى الله عليه وآله وسلم})<sup>(١)</sup>.

يضاف لما ذكر من اسباب، فان الدكتور طه حسين قد ذكر سببين منطقيين: اولهما ان زواج الإمام علي من السيدة فاطمة قد تكفل بان رزق منها الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، فكان بذلك ابا للذرية الباقية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يتح للسيدة عائشة الولد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مما اثار ضغيتها من الإمام<sup>(٢)</sup>. ثانيهما هو زواج الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام) من السيدة اسماء بنت عميس الخثعمية زوجة الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) بعد وفاته وهي ام محمد ابنه، الذي رباه الإمام علي ونشأ في حجره، واخو عائشة وكان من المواليين للإمام علي (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩٤/٩، وينظر، الشيخ المفيد، الجمل، ص ٤١٢.

(٢) المجموعة الكاملة، ٤٥٤/٤.

(٣) طه حسين، المجموعة الكاملة، ٤٥٤/٤.



## ((المبحث الثاني))

### حرب الإمام علي ضد القاسطين في معركة صفين

بعد ان ذكرنا ما كتبه (بودلي) عن معركة الجمل في المبحث السابق نراه يذكر معركة صفين، فقد اشار الى ان متاعب الإمام علي (عليه السلام)، لم تنته بانتصاره على عائشة (رضي الله عنها)، على الرغم من ان انتصاره جعله المسيطر على بلاد العرب وفارس ومصر، الا ان معاوية بن ابي سفيان كان حاكما للشام في حينه ويطلب بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ويتخذ من ذلك ذريعة لقتال الإمام علي (عليه السلام)، وقد شد من ازره انضمام عمر بن العاص وجنوده اليه، وكان سبب خروجه عن طاعة الإمام علي (عليه السلام) سبب شخصي وهو عزله عن ولاية (مصر) التي فتحها بذكائه ودهائه وقدرته.

ويضيف (بودلي)، وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان الإمام علي (عليه السلام) كارهاً لقتال هؤلاء كرهه لقتال عائشة، فبذل ما في وسعه لاحلال السلام، ولم يخرج من الشام الا بعد ان ايقن ان الامويين لا ييغون الا قتاله، فخرج على رأس تسعين الفاً<sup>(١)</sup>.

ويقارن (بودلي) بين قائدي الجبهتين، أي جبهة الإمام علي (عليه السلام) وجبهة معاوية بقوله:

(١) حياة محمد، ص ٤٢٤.

((كان موقفاً غريباً، فعلي بن عم النبي وزوج ابنته في جانب، على رأس جيش من المهاجرين الذين شهدوا بدرًا وأحداً وخيبراً، وفي الجانب الآخر معاوية ابن زعيم اعداء محمد يعاونه عمرو الذي قاد قريش ايضاً ضد محمد))<sup>(١)</sup>.

كان السبب الرئيس للنزاع حسب ما ذكره (بودلي) هو اتهام الإمام علي (عليه السلام) بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ويعلق (بودلي) على موقف الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من معاوية وعمرو بن العاص بقوله:

((وكان عثمان في ذلك الوقت العدو للردود للرجلين الذين يتأهبان الآن للثأر لمقتله))، وكان في كلا الجانبين مسلحون متعصبون، وقد دفع بوقوع الحرب بين الجانبين، ولكن حدث رفع جنود معاوية المصاحف على اسنة الرماح، أدى الى احجام جنود الإمام علي (عليه السلام) عن الهجوم الذي كان سيقودهم الى النصر، ولو ان هذه الحرب قد انتهت من الوجة العسكرية في صالح الإمام علي (عليه السلام)، الا ان معاوية قد كسب بدهائه السلام، وبدا كأنما الإسلام قد انقسم الى اجل غير محدود الى مطالبين في الخلافة متنافسين<sup>(٢)</sup>.

ان بودلي كان موضوعياً في كل ما ذكره عن الإمام علي (عليه السلام) خلال حربه مع معاوية في صفين، فقد شخص الاسباب الحقيقية التي دفعت بمعاوية وعمرو بن العاص لشن الحرب ضد الإمام علي (عليه السلام)، واستغرب ان يتقابل في الحرب طرفان، احدهما يمثل كل ما هو خير والاخر يمثل كل ما هو شر، ولو ان المسألة لا تستحق الاستغراب لان الخير والشر هما في صراع مستمر ما دامت الحياة.

(١) حياة محمد، ص ٤٢٤.

(٢) بودلي، حياة محمد، ص ٤٢٥.

اما المستشرق (هنري ماسيه) فيرى ان انتصار الإمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل جعله سيداً لإمبراطورية، ولكنها منقسمة على قسمين، بسبب تمرد حاكم سوريا قلعة الامويين، فسار الإمام علي (عليه السلام) بجيشه من الكوفة واجتاز الفرات الى الرقة اذ التقى بالجيوش الاموية في سهل (صفين)، وفي هذا المكان نصب معاوية بن ابي سفيان خيمة، واقسم السوريون امامها بالقتال حتى الموت، وبعد ثلاثة اشهر من المناوشات التي يتخللها بين الحين والآخر مفاوضات، فان القتال الحاسم كان يجري في صالح جيش الإمام علي (عليه السلام)، ولكن معاوية بن ابي سفيان وبمخدعة من عمرو ابن العاص برفع المصاحف على الرماح دعا الى حكم الله، استطاع فيها قلب موازين الحرب، واما اصحاب الإمام علي (عليه السلام) فقد خالفوه بقبول التحكيم مما جعل ذلك سبباً لخسارته الحرب، وان انتصار العمل الحازم ويقصد ماسيه بهم (الخوارج) قد تركوه<sup>(١)</sup>.

وجاء المستشرق (سيديو) بكلام يتطابق في معناه العام مع ما ذكره (هنري ماسيه)، فقد ذكر ان الإمام علي (عليه السلام) كان يرجو ان تكسر شوكة الفتنة بعد معركة الجمل، ولكن ذلك لم يتم بعد ان رأى في عينيه عدو بني هاشم، معاوية بن ابي سفيان في الشام قد اتحد مع فاتح مصر عمرو بن العاص، فتنازع معاوية مع صهر النبي (صلى الله عليه وسلم) على رأس ثمانين الف مقاتل، واستمرت المناوشات لمدة مائة وعشرة ايام، وهلك في هذه الحرب خمسة واربعون الفا من اصحاب معاوية وخمسة وعشرون الفا من جنود الإمام علي

(١) هنري ماسيه، الإسلام، ص ٦٤، ٦٥.

(عليه السلام)، وكان الإمام قد امر جنوده بعدم البدء بالهجوم وان لا يُجهز على الفارين، وان تُحترم الاسرى، ويعلق (سيديو) على هذه التوصيات بقوله:

((وذلك وفق ما اشتهر به علي من الكرم المثالي))، ورفض معاوية ما عرضه عليه الإمام علي (عليه السلام) ان تكون المبارزة بينهما فردية، بعد ذلك حدثت معركة متذبذبة في سهول (صفين) انتهت بالنزول عند رغبة جيوشهما في احالة نزاعهما الى التحكيم، ولكنه لم يجر في صالح الإمام علي (عليه السلام)، وابدى امتعاضه من نتائج التحكيم<sup>(١)</sup>

ولم يفصل كل من المستشرقين (هنري ماسيه) و(سيديو) في احداث معركة (صفين) بل اكتفيا بعرض الخطوط العامة لهذه المعركة وما آلت اليه من نتائج.

ويطل علينا المستشرق (الفريد جيوم) بمحدث مختصر عن معركة (صفين)، فيذكر، ان الإمام علياً (عليه السلام) وبعد تسلم الخلافة قد اعفى معاوية بن ابي سفيان من منصبه، لكن معاوية تجاهل هذا الامر، فاضطر الإمام علي لمقاتلته، ولم تكن هذه المعركة التي نشبت بينهما فاصلة، فبعد ان بدأت ملامح الهزيمة واضحة على جيش معاوية، اصطنعوا خدعة لينهوا بها الخلاف، فثبتوا المصاحف على اسنة الرماح، داعين الى تحكيم الله، فاضطر الإمام علي (عليه السلام) وبتأثير الورعين من جيشه الى قبول التحكيم مرغما الى اقصى حد، وقد تسبب

(١) تاريخ العرب العام، ص ١٢٧.

ذلك في غضب جماعة من المتعصبين الذين انكروا التحكيم على الخليفة، ولهذا تركوا الإمام علياً (عليه السلام)، وهؤلاء الذين سموا بالخوارج<sup>(١)</sup>.

أما ما ذكرته المستشرق (شتيفسكا) حول معركة (صفين) فقد كان مختصراً، فأشارت الى ان الامور قد انتظمت للإمام علي (عليه السلام) بعد معركة الجمل في كل من العراق ومصر واليمن ومكة والمدينة وفارس باستثناء الشام، الذي رفض حاكمها معاوية اوامر الإمام علي (عليه السلام) بالتحني عنها، وقد ارسل الإمام علي (عليه السلام) اليه عدة رسائل فلم يقبل البيعة، ولم يكتف بذلك وانما اخذ يطالب بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فخرج الإمام علي (عليه السلام) بجيش من الكوفة، وخرج معاوية ومعه عمرو بن العاص بجيش اخر<sup>(٢)</sup>.

التقى الجيشان بصفين وهي بلدة بين دمشق والعراق على جانب نهر الفرات الشرقي وحصلت بينهما وقائع كثيرة قتل فيها الكثير من الفريقين، في اخر الامر تمكن الإمام علي (عليه السلام) من ايقاع الهزيمة في جيش الشام وهم معاوية بالفرار فمنعه عمرو بن العاص من ذلك، وعمد الى حيلة رفع المصاحف في وجه الإمام علي (عليه السلام) واصحابه، ولكنها في الحقيقة -والكلام لـ (شتيفسكا)- كانت حيلة وخديعة من اصحاب معاوية عندما ايقنوا بهزيمتهم، واخيراً آل الامر للتحكيم، فمثل اهل الشام عمرو بن العاص، وكان معروفاً بالسياسة والحيل البارعة، ومثل اهل العراق ابو موسى الاشعري ولم يكن مثل عمرو في السياسة، ثم اتفق الحكمان بعد مفاوضات طويلة على خلع الإمام علي

(١) الفريديجوم، الإسلام، ص ٨١.

(٢) تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، ص ٦٠.

(عليه السلام) ومعاوية، ولكن ابا موسى خلع صاحبه بجذعة واما عمرو بن العاص فقد ثبت صاحبه<sup>(١)</sup>.

وكان المستشرق (روم لاندو) قد ادلى بدلوه فيما يتعلق بمعركة صفين، وبدأ كلامه عنها بذكر جانب من سياسة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الذي اسند في اثناء خلافته كثيرا من مراكز الدولة البارزة الى انسابه، وادى اتهامه بمحاباة ذوي قرباه الى مصرعه على ايدي جماعة كان على رأسهم محمد بن ابي بكر (رضي الله عنه) الذي بايع الإمام علياً (عليه السلام)، مما حمل معاوية بن ابي سفيان امير سوريا على اعلان الحرب ضد الإمام علي (عليه السلام)، ولكن وبجيلة من الحيل تمكن معاوية من اخضاع شرعية خلافة الإمام علي (عليه السلام) للتحكيم وفي نهاية الامر تم خلعه، وهذا الخلع ادى الى خروج جماعة من اتباع الإمام علي (عليه السلام)، مما ادى الى تقوية موقف معاوية بن ابي سفيان، وادعاؤه الحق في الخلافة فيما بعد، بينما كان عاملا من عمال الدولة حسب، ولكن عملية الخلع وضعت على قدم المساواة مع الإمام علي (عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

وتطرق المستشرق (روي لبككر) الى ذكر معركة صفين بعد ان ذكر جانبا من سياسة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) التي اثار فيها استياء كثير من المسلمين بتحيزه لبعض اقربائه وابناء عشيرته من الامويين، مما ادى الى قتله في داره، واصبح الإمام علي (عليه السلام) وهو ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وربييه وختنه خليفة، ولكن معاوية بن ابي سفيان الذي كان واليا

(١) تاريخ الدولة الإسلامية، ص ٦١

(٢) الإسلام والعرب، ص ٦٢، ٦٣.

على سورية رفض الاعتراف بخلافة الإمام علي (عليه السلام)، بحجة انه نال الخلافة عن طريق اغتيال الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وسعى معاوية للثأر من قتلة قريه المغدور، على حد تعبير (لبككر)، وقاد ذلك الموقف الى نشوب معركة (صفين) بين جيش الإمام علي (عليه السلام) وجيش معاوية بن ابي سفيان، وكادت جيوش الإمام علي (عليه السلام) ان تنتصر، ولكن موازين المعركة قد تغيرت بعد ان رفع اصحاب معاوية المصاحف على الرماح، واعلنوا ان الحل يجب ان يقرره ما هو في القرآن، فوافق الإمام علي (عليه السلام) على التحكيم وجاءت نتيجة التحكيم ضده، ولكنه لم يقبل بالقرار كونه قراراً غير عادل، وعلى هذا الاساس فقد استمر الإمام علي (عليه السلام) في الحكم بصفته خليفة المسلمين بعد ان فقد تأييد جماعة معاوية، وهناك من خالفه من اصحابه نتيجة لقبوله بالتحكيم، واستطاع ان يخدم فتنة هؤلاء المخالفين الخوارج<sup>(١)</sup>.

ويعقب المستشرق (جيمس هاستنكز James Hastnks) على الاوضاع بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، بوصفه اياها انها ادت الى احداث انقسام عميق في الإسلام، ويقول بعد ذلك:

((فمن ناحية كان هناك مغتصب قوي وهو معاوية بمطالبته التي لا تقاوم من اجل الانتقام لمقتل عثمان واثبات الخلافة، وهي اقدس سلطة في الإسلام، من ناحية اخرى كان ينتظم هناك انصار الحقوق الديمقراطية الذين تهيئوا لمقاومة معاوية واقامة الخليفة المنتخب في حينه وهو علي، الذي قام اتباعه بتزوير الحجج المتطلعة لاقامة الحق الالهي لعلي واهل بيته لكي يحكموا المجتمع الإسلامي،

(١) روي لبككر واخرون، دراسات اسلامية، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، دار الاندلس،

ودخل الجانبان في صراع مسلح،... وحدث التصادم الحاسم في معركة صفين، وفي ذلك الوقت تركت الادارة البارعة للفرصة الذهبية من جانب ممثل علي، ابي موسى، تركت علي من دون اصحابه. وقد انسحب جماعة حزب الحقوق الديمقراطية من ساحة المعركة وقاموا بتجاوزات فوضوية وكان ذلك عائقا لخلافة علي، وقد اطلق هؤلاء المنسحبين على انفسهم تسمية الخوارج<sup>(١)</sup>.

الذي يمكن تشخيصه من خلال الكلام المتقدم ل (جمس هاستنكز) هو،

امرین:

الامر الاول: اتهم اتباع الإمام علي (عليه السلام) بتزوير الحجج من اجل اثبات حقه واهل بيته في الخلافة، وهذا الكلام غير دقيق، وسبق ان عرضنا جانباً من الحقائق التي وردت على لسان مؤرخينا من كلا الطائفتين المعنيتين بالمشكلة في الفصل السابق.

الامر الثاني: اطلق هاستنكز لقب (انصار الحقوق الديمقراطية) او (حزب الحقوق الديمقراطية) على (الخوارج) ووصف انسحابهم عن الإمام علي (عليه السلام) على انه نتيجة لمؤامرة التحكيم، وما هو ثابت في اغلب مصادر التاريخ وكتابات بعض المستشرقين بان رغبة هؤلاء كان في التحكيم، في الوقت الذي حذر الإمام علي (عليه السلام) من هذه الخدعة.

واما المستشرق (شبولر) فقد ذكر بان انتصار الإمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل لا يعني انه كان بإمكانه حسم الامور بمجد السيف، فقد اخذ معاوية بن ابي سفيان بصفته اقرب الاقارب للخليفة المقتول عثمان (رضي الله

(٢) Hastings, James, Encyclopedia of Religion and Ethics, Volume X1, P. ٤٥٤.



عنه) على عاتقه الاخذ بثأره، واستلم قيادة الجماعة التي انقلبت ضد الخليفة المنتخب بحجة انه غير برئ بالكامل من جريمة القتل، وبالْحَقِيقَةُ والكلام لـ (شبولر) فان استعدادات معاوية في سورية والاضطرابات في مصر اجبرت الإمام علياً (عليه السلام) على الزحف الى الشمال لوضع حد فاصل لها، وفي اعالي الفرات وعند سهل (صفين) تقابل الجيشان لعدة اشهر انشغلوا فيها بالمناوشات من جانب وبالمفاوضات من جانب اخر، وكان الاندفاع لهذه المعركة قليلا من الجانبين بسبب انحدارهم من نفس الاصول او تربطهم قرابة دم، اضافة الى ان اعداد كبيرة من المقاتلين حتى وان لم يكونوا قياديين كانوا يتهيئون من اراقة دماء المسلمين، ولكن لم يتم حسم الامور الا عبر القتال، وعندما بدأ النصر يميل الى جانب الإمام علي (عليه السلام)، لجأ أعداؤه الى حيلة مآكرة دبرها عمرو ابن العاص، هي تحكيم القرآن بدلا من القتال، وأجبر الإمام علي (عليه السلام) على القبول بهذا المقترح وتم ((استغفال علي مرة اخرى، فبينما كان يظن ان التحكيم لا يتعدى الاعتراف بأحقية بالخلافة، استطاع حزب معاوية ان يتوصل الى ان يجعل كلا المتحاكمين في نفس الوزن))<sup>(١)</sup>.

ان الشيء الذي يؤاخذ عليه (شبولر) فيما قاله هو، ان عملية التحكيم قد تم من خلالها استغفال الإمام علي (عليه السلام)، والحقيقة غير ذلك لانه حذر من عملية رفع المصاحف قبل حدوثها، والدليل على ذلك قوله: ((انها كلمة حق يراد بها باطل))<sup>(٢)</sup>.

(١) Spuler , Geschichte Der Islamischen Lander ,P.١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر، نهج البلاغة، الخطبة / ٤٠.

ووصف المستشرق (بيتر مانسفلد) انتصار الإمام علي (عليه السلام) في معركة الجمل بأنه كان قصير الاجل، وعلى الرغم من انه كان مقاتلاً شجاعاً وقائداً صالحاً، الا انه لم يكن رجل دولة، اذ قام معاوية وبدعم من عمرو بن العاص بالثار ضده انتقاماً لمقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فسار الإمام علي (عليه السلام) لمواجهة المتمردين في معركة (صفين)، وعندما لاح له النصر قام بتبديده، حينما قام عمرو بتدبير خديعة رفع المصاحف، وكانه يسأل الله ان يختار المنتصر<sup>(١)</sup>.

ويضيف مانسفلد القول بان جماعة الإمام (عليه السلام) الاكثر تنسكاً اقعوه بان يوقف القتال، وجرى التحكيم من خلال ممثلين للطرفين، الا ان الإمام عليا (عليه السلام) لم يقبل بالقرار وادى ذلك الى خلاف حاد بين اتباعه، اضعف معسكره في النتيجة<sup>(٢)</sup>.

ان حكم المستشرق (مانسفلد) على الإمام علي (عليه السلام) بأنه ليس برجل دولة لا يمكن ان يوافق منصف عليه، لان ظروف الدولة الإسلامية في اثناء خلافته كانت معقدة اشد تعقيد ولا يمكن الحكم من خلالها على الإمام علي (عليه السلام) بهذا الحكم، ولو كانت الخلافة بيد شخص اخر يؤمن بجرية التعبير ويأخذ برأي اصحابه لفعل بمثل ما فعل الإمام (عليه السلام) في قضية التحكيم.

ويدي المستشرق (برسي سايكس) رأيه في معركة (صفين)، فإشار الى ان الإمام علياً (عليه السلام) وبعد انتصاره في معركة الجمل، عاد الى الكوفة وانخذها عاصمة لدولته، ثم جهز جيشاً كبيراً واجتاز دجلة وبلاد ما بين النهرين

(٣) Mansfeld ,Peter ,The Arabs ,P.٣٨

(١) Mansfeld , The Arabs ,P.٣٨

وعبر الفرات ليلتقي بجيش معاوية، وكان معاوية مستعداً للحرب، حيث جهز جيشاً كبيراً هو الآخر، وبعد محاولات غير مجدية للصلح ومناوشات متقطعة، بدأت معركة صفين في عام ٣٧هـ (٦٥٧م)<sup>(١)</sup>.

وتميزت هذه المعركة حسب رأس برسي سايكس بالكثير من الاعمال البطولية واحتدمت لمدة ثلاثة ايام بدون نتيجة حاسمة، واصيب معاوية برعب، ووافق على خديعة عمرو، فأمر رجاله برفع المصاحف على رماحهم، صائحين (الحكم لله، دع القرآن يحكم بيننا)؛ ولم يوافق الإمام علي (عليه السلام) بايقاف القتال لانه ادرك بان هذا العمل خدعة، الا ان رجاله المتعصبين هددوه بان يتركوه ان لم يوافق على التحكيم ويعين حكما لهم، وحتى في هذا الامر لم يكن للإمام علي (عليه السلام) الخيار واجبر ان يسلم اموره الى ابي موسى الاشعري الذي كان احد المؤيدين له، لكنه كان تعوزه الحماسة (فاتر الهمة)<sup>(٢)</sup>.

ويضيف (سايكس) بان الطرفين حددا مكان التحكيم، وذهب عمرو مثلاً لمعاوية، وابو موسى مثلاً للإمام علي (عليه السلام)، وتبعهم الاف من كلا الجانبين وتجمعوا ليسمعوا الحكم لكن الحكمان اتفقا سراً على ان يقوموا بعزل كل من الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وانتخاب خليفة جديد، فقام ابو موسى باعلان خلعه للإمام علي (عليه السلام) على الملأ، اما الداهية عمرو فاعلن انه يوافق على عزل الإمام علي (عليه السلام) ويشيب معاوية كوريث للخليفة عثمان ومطالب بدمه والخليفة من بعده.

ويعلق (برسي سايكس) على هذا الحادث بقوله:

·(٢) Persy Sykes , History of Persia , P , ٥٣٣ , ٥٣٤

(٣) Persy Sykes , History of Persia , P. ٥٣٤.

((كان التحكيم نجاحاً باهراً لمعاوية الذي نصب نفسه خليفة في دمشق وكان التحكيم ضربة شديدة لعلي، وعلى أية حال، فإن انصاره لم ينصحوه بالتخلي عن الخلافة، ولم يكن محظوظاً في حياته، فقد أجبر على التحكيم))<sup>(١)</sup>.

ان كل ما ذكره المستشرق (برسي سايكس) هو نقل لحقائق تاريخية وردت في مصادرنا الإسلامية ونقلها غيره من المستشرقين ايضاً، ولكن الشيء الذي يؤخذ عليه هو تقييمه لنتيجة معركة (صفين)، بوصفه اياها بانها كانت نجاحاً باهراً لمعاوية وضربة شديدة للإمام علي (عليه السلام)، فالمنصف في التاريخ لا يستخدم المقاييس نفسها التي استخدمها (سايكس) والداعية الى التعامل مع نتائج ملموسة على ارض الواقع، بل الانصاف ان يستبعد استخدام الغدر في الوصول الى تحقيق المكاسب مهما كانت مادية، اخلاقية، اجتماعية سياسية.

وفي اطار ذكره لمعركة (صفين) اشار المستشرق (مونتغمري واط) الى ان الإمام عليا (عليه السلام) قد سار بجيشه من العراق في منتصف عام (٦٥٧م) باتجاه معاوية بن ابي سفيان وحدثت المعركة، وبعد عدة ايام من القتال الضاري رفع جيش الشام المصاحف على الرماح، وفُسر هذا على انه التماس من الجانب الاخر، من اخوانهم المسلمين بان يقبلوا حكم القرآن، وكان هناك مجموعة قوية من جيش الإمام علي (عليه السلام) ارغمته، ليس فقط على وقف القتال، بل على الرضوخ الى التحكيم، واختيار شخصاً للتحكيم يمثل الإمام علي (عليه السلام) وهو ليس محباً له<sup>(٢)</sup>.

(١) Ibid , P. ٥٣٤.

(٢) Watt.M, Islam and the Integration of society ,P. ٩٧.

وقيم (واط) عملية التحكيم بقوله: ((العديد من النسخ لعملية التحكيم اعطيت فيما بعد من قبل المؤرخين المسلمين ومن الصعب معرفة وجه الحق فيها))<sup>(١)</sup>.

وعدم معرفة وجه الحق بالنسبة ل (واط) لا يمكن ان يلام عليه لان ذلك يتطلب دراسة مصادر التاريخ الإسلامي بامعان، وربما يتطلب منه لتحقيق هذا الهدف معرفة اللغة العربية للاطلاع على اكبر عدد ممكن من المصادر، وان كان ليس صعبا على مستشرق مثل (واط) الذي عرف بمؤلفاته عن الإسلام والمسلمين ومن بينها كتابي ﴿محمد﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿في مكة﴾ و﴿محمد﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿في المدينة﴾.

وعبر المستشرق (ولاستون) عن احداث معركة (صفين) بمفردات لغوية معبرة عن الحقائق، فقد ذكر بان الاوضاع قد استتبت للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد معركة الجمل، باستثناء منطقة واحدة كانت ترفع راية التمرد ضده، وهي سوريا، اذ استمر معاوية بتأليب الناس على الإمام (عليه السلام) وحثهم للاخذ بثأر الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، فارسل الإمام علي (عليه السلام) رسولا لمعاوية يامره بان يقدم الطاعة له، لكنه كان يرفض الاستماع لاي شخص عدا عمرو بن العاص، عامل مصر، الذي رأى من مصلحته ان يكون في صف معاوية، فنكث بيعة الإمام علي (عليه السلام) وباع معاوية، ولم تثمر جهود الإمام علي مع معاوية المتمرد، فتحرك الى الشام على رأس تسعون الفا

(٣) Ibid ,P.٩٧.

من المقاتلين، وتوقف في (صفيين) لمدة شهر (حزيران - تموز ٦٥٧م) محاولاً حل المسألة سلمياً إلا أن جهوده باءت بالفشل، وهكذا بدأ القتال<sup>(١)</sup>.

واصل (ولاستون) وصف معركة صفيين بالقول: ((راى محارب الإسلام ﴿يقصد به الإمام علي (عليه السلام)﴾ ان هذه المعارك حالة مرضية لا تتفق مع الضمير فدعى خصمه معاوية للمبارزة).

وذكر ولاستون كلاماً يصف فيه لسان حال الإمام علي (عليه السلام) وهو يرأس معاوية، فيقول له:

((الى متى يقتل هؤلاء الناس بيني وبينك، تعالى الى هنا اني اتحداك في اللجوء الى حكم الله وان الذي يقتل فيسيكون الامر كله للقاتل)) ((الا ان معاوية رفض الخروج لعلمه ان ليس هناك رجل برز لعلي (عليه السلام) وعاش)).

ووصف (ولاستون) ظروف المعركة وأشار الى ان ما تعرض له الإمام علي (عليه السلام) كان خدعة قد حذر منها وواعاها جيداً، بعد ان كان من النصر قاب قوسين او ادنى، ولكن بضغط المتعصبين من جماعته كانت النتيجة ليس في صالحه<sup>(٢)</sup>.

وفي وصف (ولاستون) لموقف الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفيين ودعوته معاوية للمنازلة الفردية دليل واضح على عدم دقة كلام بعض المستشرقين الذين ادعوا بان غاية الإمام (عليه السلام) من الحرب هي الخلافة وقد حشد اصحابه من اجل هذا الهدف.

(١) Wollaston , Half Hours,P.١٠٤.

(٢) Ibid. P. ١٠٤-١٠٥.

وتستعرض المستشرقة (فاغليري) تفاصيل دقيقة عن معركة (صفين)، لا تقل اهمية عن التفاصيل التي ذكرتها عن معركة الجمل، ولكن سنحاول التركيز على بعض الجوانب التي من خلالها يمكن معرفة انطباعها عنها.

تذكر ان الإمام عليّ (عليه السلام) كان يأمل استعادة ولاء حاكم سوريا عن طريق المفاوضات معه، لكن محاولته كانت عبثاً، حيث طلب معاوية تسليم قتلة عثمان استناداً الى الآية (٣٤) من سورة الاسراء<sup>(١)</sup> التي تمنع قتل النفس الا بالحق، ومن قتل مظلوماً فقد اعطى القرآن الحق لوليه، وفي حالة الخليفة عثمان، فان وليه هو معاوية<sup>(٢)</sup>.

وتقول (فاغليري)، ان المصادر التي تناولت موضوع الخلاف بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية يكتنفها الغموض باستثناء كتاب (واقعة صفين) لمؤلفة نصر بن مزاحم المنقري، الذي يذكر بان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد قتله الناس ((لاعماله الاستبدادية))، لذا فان القتل يجب ان لا يكونوا عرضة للعقاب، وتضيف (فاغليري) القول بان الواقع يشير الى ان الصراع ما بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية له اسباب اعظم من هذا الامر بكثير، ولكنها لم تحدد هذه الاسباب، لتنتقل الى وصف معركة (صفين) بعد ان اشارت الى ان

---

(١) الآية التي تقصدها فاغليري رقمها (٣٣) وليس (٣٤)، ونص هذه الآية هو ((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً))، الاسراء / ٣٣.

(٢) Vaglirei , the Encyclopadia of Aslam , V.١ , P. ٣٨٣.

الإمام علي (عليه السلام) لم يجد بداً من الهجوم العسكري، اذ تواجه الجيشان وحدثت مصادمات تخللها صلح في محرم سنة (٣٧هـ)<sup>(١)</sup>.

وعادت الاشتباكات وكاد نجم معاوية ان يافل، لولا نصيحة عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح، وتصف (فاغليري) عملية التحكيم بقولها: ((لم يتضمن هذا العمل المشهور في التاريخ الإسلامي الاستسلام)) وترى ان مهمة التحكيم هي تحديد فيما اذا كان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) مذنباً او غير مذنب، فاذا كان مذنباً، فان قتله عندها يعد عملاً عادلاً، لكنه اذا لم يكن قد ارتكب اخطاءً، فانه يكون عند ذلك مظلوماً ويكون لمعاوية الحق في الانتقام من قتله، ولم يكن هذا كل الامر، لان أي قرار بمصلحة معاوية سيتضمن حتماً خسران الإمام علي (عليه السلام) للخلافة<sup>(٢)</sup>.

وتذكر (فاغليري) ايضاً خسائر الطرفين وتاريخ التحكيم وما جرى بين عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري واحتجاجات بعض اصحاب الإمام علي (عليه السلام) على التحكيم، وخروجهم عليه.

ولو قيمننا ما كتبه فاغليري بشأن معركة صفين، نقول انها قد ادركت كل ما يتعلق باسبابها ومجريات احداثها ونتائجها، لتؤكد وكما اكد بعض من سبقها بان دخول الإمام علي (عليه السلام) هذه الحرب كان مرغماً، وحاول تفاديها لكن دون جدوى بسبب تعنت معاوية بن ابي سفيان.

(٣) Vaglirei, the Encyclopadia of Aslam, P. ٣٨٣.

(٤) Ibid. , P. ٣٨٣ – ٣٨٤.



وتناول المستشرق (دونلدسن) الذي اجاد في دراسته عقيدة الشيعة ومن خلالها معركة صفين، فيشير الى ان معاوية وبعد ما يقارب من ثلاثة اشهر، جمع مائة وعشرين الفاً وسار بهم وكانوا لا يريدون خلافه علي (عليه السلام) غير ان شعارهم كان (ياثارات عثمان)، والارجح انهم كانوا يلقون بعض التبعة في قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على الإمام علي (عليه السلام)، فلا يرونه لائقاً للخلافة وكتم معاوية ما بنفسه، ووصل جيشه الى وادي صفين على مقربة من الرقة، وقدم الإمام علي بجيشه بعد ان اجتاز المدائن والرقة، فوجد معاوية واهل الشام قد عسكروا في خرائب المدينة (أي صفين)، وهجم الإمام علي (عليه السلام) وهو في موقف غير ملائم وتمكن من بلوغ عين ماء قريبه من موقع المعركة<sup>(١)</sup>.

ويصف (دونلدسن) موقف الإمام هذا، بقوله: ((واباح كرمأ منه لاهل الشام ورود المشرعة واستسقاء الناس من طريقه))، فاعقب ذلك مفاوضة للصلح يتخللها بعض القتال، وكفوا عن القتال في محرم، ولم تبدأ معركة صفين الحقيقية الا في شهر صفر<sup>(٢)</sup>.

ونقل (دونلدسن) رواية عن المسعودي يحدد فيها مدة المعركة بمائة وعشرة ايام والوقائع بتسعين وقية، ويوضح ان هذه المدة الاجمالية لمعركة صفين وليس الايام الحاسمة في المعركة التي استمرت اسبوعين، ويذكر دونلدسن نقلا عن المسعودي بان عدد من قتل من اصحاب الإمام علي (عليه السلام)، سبعون الفاً

(١) عقيدة الشيعة، ص ٥١ - ٥٢.

(٢) عقيدة الشيعة، ص ٥١، ٥٢.

من اصل تسعون الفا كانوا معه، وكان معاوية في مائة وعشرون الفا، قتل منهم خمسة واربعون الفا<sup>(١)</sup>.

ويدي (دونلدسن) رأيا بشأن عدد القتلى من الطرفين بالقول:

((فاذا كان هذا ﴿العدد﴾ صحيحا فان الاسبوعين الاخيرين من القتال كانا ادمى الاسبوعين حقا فلا عجب اذن ان كره الناس الحرب وتداعوا الى الصلح)) وانفقوا على التحكيم في ١٣ او ١٧ صفر<sup>(٢)</sup>.

وتبنى دونلدسن وجهة النظر التي يقول فيها بان بعض المحاباة للإمام علي (عليه السلام) قد ظهرت في هذه القصة وان المعجيين به اضافوا هذه الحكاية بتبرير الفشل الذي اصابهم نتيجة التحكيم<sup>(٣)</sup>.

ويذكر دونلدسن بان هناك مجموعة كبيرة من القراء في جيش الإمام علي (عليه السلام) الذين يطعنون في الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبعض حكامه، وان هؤلاء الاعداء الالداد لحكم العرب لم يرضهم أي اتفاق، وبعد فشل التحكيم، احسوا ان ذلك لا يخدم مصالحهم في حالة بقائهم مع الإمام علي (عليه السلام)، مما دفعهم للخروج، ونتيجة لذلك سمو بالخوارج<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر، المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، التنبيه والاشراف، مراجعة عبد الله الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر، (القاهرة - د.ت)، ص ٢٥٦؛ دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص ٥٢.

(٢) عقيدة الشيعة، ص ٥٢.

(٣) عقيدة الشيعة، ص ٥٣.

(٤) عقيدة الشيعة، ص ٥٤.

اما دراسة المستشرق (فلهوزن) لمعارك الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين والقاسطين والمارقين في كتابه (تاريخ الدولة العربية) وتخصيصه فصلا منه تحت عنوان (علي والحرب الاهلية الاولى)، فقد كانت مميزة، استعان بها بمجموعة من المصادر الإسلامية، مستخدما المقارنة بين الروايات المختلفة للوصول الى الرأي الذي يقنع به.

بدأ فلهوزن حديثه عن معركة صفين بدراسة الظروف التي مهدت لها، وكان من اهمها مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ومحاولة ابن عمه معاوية بن ابي سفيان الاخذ بثأره، و اشار فلهوزن الى ان قوما حرضوا معاوية على الإمام علي (عليه السلام) اكثر مما سعى بنفسه لذلك، وكان في مقدمة هؤلاء الوليد بن عقبة، ابن عم معاوية الذي وجه اللوم اليه على اضاءة الوقت في المراسلات مع الإمام علي (عليه السلام)، لكن معاوية كان سياسيا بطبعه ولم يكن متعجلا ولا متلهفا على محاربة اهل العراق، لانه كان مهتدا في ذلك الوقت من الروم واهل مصر الذين كانوا مع الإمام علي (عليه السلام)، اضافة على عدم رغبته في الخلافة، وانما كان هدفه ان يحافظ على ولاية الشام وان يستولي على مصر التي لا يصح ان يتركها لخصومه و اراد بالسيطرة عليها حماية ظهره، هذا ما يعتقد فلهوزن<sup>(١)</sup>.

استعرض فلهوزن مسير جيش الإمام علي (عليه السلام) ووصلوله الى صفين واصتدام مقدمة الجيشين من اجل السيطرة على عين ماء، فتمكن الإمام علي (عليه السلام) من السيطرة عليها ولكنه سمح لجيش معاوية بالتزود بالماء<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الدولة العربية، ص ٧١.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ص ٧٣.

وتطرق فلهوزن الى تفاصيل المعركة، والى عملية عملية التحكيم بقوله:  
(وقبل اهل العراق ان يخذعوا، واكرهوا علياً على الكف عن القتال،  
وعلى ان يفاوض معاوية، وهددوه بالقتل ان لم يفعل ذلك))<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك يقوم (فلهوزن) بنقد بعض المصادر الإسلامية التي ذكرت معركة صفين، فيصف ما جاء به ابو مخنف بانه كان مطولا وهناك فراغا كبيرا بين مقدمات المعركة وبين الالتحام الحقيقي، على ان شهر محرم بقي خاليا من القتال، ولا يذكر ابو مخنف القتال الا في الشهر الذي قبله والشهر الذي بعده، ويخلص (فلهوزن) الى القول:

((ونحن لا نظفر، فيما يتعلق بسير المعركة الحقيقية، بصورة واضحة، ففي وصفها من الاضطراب الكبير مثل ما كان في مجراها، نعم، نحن نجد في كثير من الاحيان معلومات دقيقة عن تقسيم الجند وترتيبهم وقيادتهم، ولكن هذه الملومات غير متفقة فيما بينها،... ويتكون وصف هذا القتال من مجرد روايات متفرقة لحوادث عرضية، وهي روايات لا تبين الا ناحية واحدة، ولا ينجح الكاتب في محاولته ان يجعل منها وحدة منسجمة الاجزاء، فوصف المعركة يعوزه ارتباط بين الاجزاء))<sup>(٢)</sup>.

ويذكر (فلهوزن) بان نهاية المعركة توضح ان مالك الاشر كان البطل الحقيقي في ذلك اليوم:

(١) تاريخ الدولة العربية، ص ٧٤.

(٢) تاريخ الدولة، ص ٧٤ - ٧٥.

ويؤكد (فلهوزن) بان من الابطال الذين برزوا في القتال، الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن عمه عبد الله بن عباس، وكذلك القراء الذين اقتحموا الموت من اجل الإمام علي (عليه السلام)، فكانوا بدمائهم شهوداً له، وهو اقوى دليل على انه على حق<sup>(١)</sup>.

ويشير (فلهوزن) الى ان مصادره التي اعتمد عليها كانت من جانب واحد ولو انه حصل على كتابات الجانب الشامي فلعلها كانت تختلف عن حكاية ابي مخنف، وان كان يستبعد ان تكون اجدر بالثقة من رواية ابي مخنف<sup>(٢)</sup>.

ويعرض فلهوزن ما جرى في عملية التحكيم بين ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص وبعد التفصيل في ذلك يخلص الى القول:

((ولا بد من التنبيه على ما يشعر به الانسان من ان ابا موسى قد وقع على هذا النحو في شرك الخديعة، اما عمرو فقد غدر شائناً، ولا شك ان اكثر الناس حنكة ربما وقع في مثل الشرك الذي وقع فيه ابو موسى، واذا كان هناك خداع فهو من جانب عمرو، ولم يكن بالحقيقة بالرجل الذي يخدع. وهذه الحكاية في امر نهاية محكمة التحكيم غير جديرة بالتصديق))<sup>(٣)</sup>.

ومما يميز كتابات (فلهوزن) هو الاعتماد على موارد متعددة في ايراد الخبر الواحد، وكان حريصاً على نقل اراء غيره بامانة ومناقشتها بحيادية.

(١) تاريخ، ص ٧٦.

(٢) تاريخ، ص ٧٧.

(٣) تاريخ الدولة العربية، ص ٨٦.

وخصص فلهوزن جانبا من كتابه الاخر (الخوارج والشيعية) لدراسة نتائج معركة صفين التي وصفها بانها كانت نتائج بالغة الخطورة، اذ خدع فيها الظافر عن ظفره، فعندما لاح خطر الهزيمة في جانب جيش معاوية، رفعوا المصاحف على اسنة الرماح<sup>(١)</sup>.

ويستعرض فلهوزن الظروف التي مهدت واسهمت في بلورة حادثة التحكيم وموقف الإمام علي (عليه السلام) الراض لهذه الخدعة، ، ويعد فلهوزن الشبهات التي اثرت على ابي موسى الاشعري حول تواطئه مع معاوية، ويصفه بانه كان من اقدم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويضيف له صفات اخرى يخرج بنتيجة هي انه كان بعيدا عن الخيانة او التآمر، اذ وقف موقفا محايدا بين الفريقين في هذه الحرب الداخلية شانه شأن غيره، ولم يكن مؤيدا للإمام علي (عليه السلام) ولا لمعاوية وانما كان هواه نحو عبد الله بن عمر<sup>(٢)</sup>.

ويحاول فلهوزن ابعاد شبهات التآمر عن الاشعث بن قيس ايضا رغم قوله عنه بان اتهمه ايسر الى القبول من ابي موسى، فيذكر بان الاشعث قد تقدم وبحماس في الوساطة بين الفريقين في مرحلة عقد الصلح، وعمل كل ما في وسعه من اجل وضع صلح مكتوب بين الفريقين، ويتساءل فلهوزن: ((واذن:فاين الخيانة في مسلك الاشعث هذا؟ليس هو الذي بدأ التيار، وكل ما فعله انه سار

(١) ينظر، فلهوزن، الخوارج والشيعية، ص ٢٥.

(٢) ينظر، الخوارج والشيعية، ص ٢٦ - ٢٨.

فيه. لقد اندفع في امر الصلح وبرز في عملية اجرائه، وبهذا عاون على وقوع الكارثة، ولكن هذا ليس خيانة بعد))<sup>(١)</sup>.

ويخلص فلهوزن الى نتيجة مفادها ان البحث عن خونة في حادثة التحكيم لا جدوى فيه ولا محل له، وليس امرا بعيدا عن التصديق ان تكون حيلة رفع المصاحف قد طرأت فجأة على فكر عمرو بن العاص الداهية، بل ان الفكرة نفسها قريبة الورود الى الذهن ويمكن ان يكون لها سوابق<sup>(٢)</sup>.

ودليل فلهوزن في ذلك هو ان الرماح كانت تستخدم دائما كعلامات واشارات والقرآن هو راية الإسلام، فكان ذلك بمثابة تذكير لاهل العراق بانهم انما يقاتلون قوما رايتهم كرايتهم وهو كلام الله، ولم تكن اذهانهم في حاجة الى اعداد مسبق ليفهموا ذلك<sup>(٣)</sup>.

وتعد دراسة المستشرق (ميور) في كتابه (الخلافة - The Caliphate) التي لا يقل اهمية عن سابقه (فلهوزن)، من الدراسات الشمولية التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها عند دراسته لمعركة (صفين)، فقد اشار الى ان خلافة الإمام علي (عليه السلام) بعد معركة الجمل كانت مجزأة ومبتورة ما دامت سوريا (الشام) ومصر خارج سلطته، فارسل الإمام علي (عليه السلام) قيس بن سعد بن عبادة لاخلاصه له ولمهارته وبراعته، الى مصر، وتجنب ان ياخذ معه جنود وفضل ان يكتفي بسبعة من الصحابة، وعلى مقربة من مصر هرب عاملها المتمرد

(١) الخوارج والشيعة، ص ٣٠.

(٢) الخوارج والشيعة، ص ٣١.

(٣) الخوارج والشيعة، ص ٣١.

﴿عبد الله بن ابي سرح﴾ الى سوريا، وقدم المصريون ولاءهم الى الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، باستثناء جماعة، وبحكمة قيس تركهم لشانهم<sup>(١)</sup>.

ويواصل (ميور) وصف الاوضاع والعلاقة بين معاوية وقيس بن سعد والمراسلات التي حدثت بين الطرفين والتي تمخضت عنها ثبات ولاء قيس بن سعد الى الإمام علي (عليه السلام)، لذلك سعى معاوية الى اثار الضغينة بينهما، واتهم قيسا بانه انتهازي وعنده ليونة اتجاه الساخطين المصريين، ووصل هذا الكلام المحرض الى الإمام علي (عليه السلام)، فامر قيسا بالتقدم نحو الساخطين، وكان موقفه من هذا الامر، بان هذه الخطوة سابقة لاوانها، فعد الإمام علي (عليه السلام) ذلك دليلا على تواطئ قيس، فعزله عن منصبه وارسل محمد بن ابي بكر مكانه، وعاد قيس الى المدينة، ولكن مروان بن الحكم واخرون نغصوا عليه حياته وبدوا يسخرون منه، فصمم الذهاب الى الإمام علي (عليه السلام) لتوضيح الامور له، وبعد اتضاح الامر حظى بثقتة وجعله رئيس المستشارين، اما معاوية، فمن جهته قد انب مروان بشدة على دفعه لقيس، وقال له:

((لو جهزت عليا بمئة الف رجل لكان اقل شرا من عودة قيس اليه كمستشار))، وترسخت العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) وقيس مرة اخرى<sup>(٢)</sup>.

ويعقب (ميور) على هذه الحادثة بقوله:

(٤) Muire:the caliphate , P.٢٦٩.□

(١) Muire:the caliphate , P.٢٧٠.



((هذا الائتلاف وخطأ علي بعزل قيس عن مصر قوت يدا معاوية، وحتى انتصار علي في البصرة كانت له فوائده لمعاوية فقد ازاح عن المسرح طلحة والزبير، لقد كان موقف علياً حرجاً جداً))<sup>(١)</sup>.

وبعد تفاصيل يذكرها (ميور) عن تشكيلة الجيشين والظروف التي دفعت بمؤيدي الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان لشن الحرب، يبدأ بوصف مسير جيش الإمام علي (عليه السلام) من الكوفة حتى وصوله الى صفين، ويذكر بان الإمام علياً كان راغباً بتجنب اراقة الدماء واوعز الى قواته حال مواجهته العدو بالتوقف وعدم الاحتكاك به قبل ان تطرح الحلول السلمية، ولكن تخللت الايام الاولى بعض المناوشات، ولاحظ الإمام علي (عليه السلام) سيطرة معاوية على الماء، فشن هجوماً ازاح به جيش معاوية، بعد ذلك ارسل ثلاثة رؤساء طالبين من معاوية ان يقدم الولاء، لكنه رفض ذلك قبل ان يعاقب قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه)<sup>(٢)</sup>. وعندما وجد الإمام علي (عليه السلام) ان جميع محاولات التسوية قد باءت بالفشل، قدم قواته على شكل ثمانية ارتال منفصلة، كل واحد منها تحت امرة رئيس قبيلة بدوية، وكذلك قسم جيش معاوية الى عدة ارتال منفردة، وفي كل يوم يدخل الميدان رتل معين يقابله رتل من الطرف الاخر، واستمر القتال بهذا الشكل المنفرد لمدة شهر، وكان من الصعب حسم المعركة لان الطرفين يخشون ان تكون المعركة شاملة: ((ستدمر الإسلام جذراً وفرعاً في معركة ضروس))، واطلت سنة على هذا الحال، واعلنت بعد ذلك هدنة استغرقت شهراً في المفاوضات التي لم تسفر عن شيء كسابقاتها، اما

(٢) Ibid , P.٢٧١.

(٣) Ibid , p. ٢٧٣ – ٢٧٦.

الإمام علي (عليه السلام) فقد تعرض لضغط من البدو الغاضبين المحيطين به، واستأنف القتال واخذت تزداد ذراوته يوماً بعد يوم، وكان الإمام علي (عليه السلام) عازماً على حسم الموقف، وهكذا بعد عشرة ايام اعقبت المفاوضات التحم الجيشان وتقاتلا حتى الظلام ولم تحسم المعركة، ووضع الإمام علي (عليه السلام) نفسه في المركز مع اتباعه من رجال المدينة، والاجنحة كانت من رجال البصرة والكوفة اما معاوية فقد اقام سرادقاً في الميدان تحيط به خمسة خطوط من ذوي العمائم كحرس شخصي، وشن عمرو بن العاص بقوة من الفرسان هجوماً على جناح الكوفة وحدث ثغرة فيه، واصبح الإمام علي (عليه السلام) امام خطر وشيك ولام اهل الكوفة على جنهم<sup>(١)</sup>.

ويضيف (ميور) بذكر وقائع المعركة والاشادة بشجاعة الإمام علي (عليه السلام) ومالك الاشر ودورهما في القضاء على اربعة ارتال من اصل خمسة من جيش معاوية، فاراد معاوية الهرب بنفسه طالباً فرسه، وكان عمرو بجانبه، فحاول ان يشد عزمه، واستطاع الرتل الباقي لمعاوية ان يصمد في الدفاع عنه، وفي اثناء المعركة قتل عمار بن ياسر الذي سمع الناس بحقه مقولة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بماعناه ان عماراً سيقتل في جانب الحق<sup>(٢)</sup>، واثار مقتله الفزع في صفوف مقاتلي معاوية، لكن عمرو اجابهم ((ومن قتل عماراً غير علي وقتله عثمان الذين اتوا به الى المعركة))، وهذه الاجابة الذكية كما يصفها (ميور)، قد

(١) Muir , the caliphate , p. ٢٧٦.

(٢) نص حديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الصحابي عمار بن ياسر هو: ((تقتل عماراً الفئة الباغية عن الطريق، وان اخر رزقه من الدنيا ضياح من لبن))، المتلقي الهندي، كنز العمال، ٣٣٢/١١.

جنبت معاوية شراً مستطيراً، وكان القتال في هذا اليوم مريراً حتى ادركهم الليل، وفي اليوم التالي صمم الاشر على النصر باي ثمن واستمر بالهجوم وبعزم متواصل وشجاعة فائقة، وبدأ معاوية الميثب العزيمة بالحديث عن قتال بين بطلين من كلا الجانبين، فقال له عمرو ((اذن اذهب وتحدي علي))، فاجاب معاوية ((ليس هكذا، اني لا افضل ذلك لم يقهر علي رجل، لكنني بك سانجح))<sup>(١)</sup> فطرح عمرو الخدعة صارخاً ((ارفعوا المصاحف - ارفعوا المصاحف)) ووضح عمرو لمعاوية هدفه من ذلك بانه اذا رفض الخصم ذلك فسوف يدب بينهم خلاف، وان وافق على تحكيم القرآن سوف تتأجل المعركة، فوافق معاوية على ذلك، لكن الإمام علي (عليه السلام) تقدم الى جيشه صارخاً انها خدعة ارادها خوفاً من الهزيمة، فاجابه اتباعه وخصوصاً حفظة القرآن: (مهما كانت الحجة لقد دعينا الى كتاب الله ولا يمكن تجنبه))، واخيراً هددوا الخليفة غير المحظوظ على حد تعبير (ميور) بالقتل كما فعلوا مع الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وطلبوا منه سحب الاشر من ساحة المعركة الذي رفض في بادئ الامر قائلاً لهم بانه سيحقق نصراً عظيماً، لكن الشغب قد ازداد، فارسل اليه الإمام علي (عليه السلام) ثانية يأمره بالانسحاب، قائلاً له ((ما ينفع النصر بعد ان تفشت الخيانة))<sup>(٢)</sup>.

فانسحب الاشر مرغماً ودارت بينه وبين الجنود المنزعجين مشاحنة عيفة، وتدخل الإمام علي بينهم، ولكن الشغب قد استمر، وتم ارسال الاشعث رئيس قبيلة بني كنده يسأل معاوية عن معنى رفع المصاحف، فاجابهم معاوية بان يعود الطرفان الى ارادة الله كما جاء في كتابه، وكل جانب يعين حكماً ويجب

(٣) Muir , the caliphate , P. ٢٧٦ -٢٧٨.

(١) Muir ,the Caliphate , P.٢٧٨.

التمسك بقرارهم، فوافق جيش الإمام علي (عليه السلام) على ذلك واجبر الخليفة غير المحظوظ حسب قول (ميور) على التحكيم والاكث من ذلك تعيين ممثل عنه قد خذله، فقد نادى الجند بابي موسى عامل الكوفة (الانتهازي) الذي اقصي عن منصبه بسبب ضعف ولائه، حيث قال الإمام علي (عليه السلام) عنه:

((ان هذا الرجل قد تركنا مؤخرا وهرب وليس مثل بضعة اشهر، وقد تم العفو عنه ولم يقاتل معنا، هذا ابن العباس الاوفر تمثيلا وابن عم النبي اختاروه يحكم لكم)). وقال رؤساء البدو نبرتهم المتعجرفة الخشنة حسب تعبير (ميور)، لا احد منا غير ابي موسى.

ويصف (ميور) هذا الموقف بقوله: ((لقد كان خيارا مرا لعلني لكن لا حيلة له))<sup>(١)</sup>.

ويذكر (ميور) تفاصيل ما جرى في مؤامرة التحكيم وما حدث من ردود افعال من جانب اتباع الإمام علي (عليه السلام) بالخصوص، والذي قاد بالنهاية الى تحزب جماعة ضده وهم الخوارج.

ويمكن تقييم ما ذكره (ميور) بشأن معركة (صفين)، بانه استخدم اليات البحث التاريخي، من عرض مستفيض للاسباب التي ادت الى نشوب المعركة، والغوص في تفاصيل دقيقة عن احداثها، وابرز النتائج التي تم التوصل اليها، واكثر من التحليل والنقد، وذكر مصطلحات بحق الإمام علي (عليه السلام) مثل ((الخليفة غير المحظوظ)) توضح معرفته به بانه كان المتفوق على معاوية في الحرب

(٢) Ibid, P. ٢٧٩.

وقد اعتمد في ذكره لاحداث التاريخ على الطبري في اثناء رواياته التي خصت الصراع الذي دار بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية.

وتعد دراسة المستشرق (بترسن) في كتابه الذي يحمل عنوان (علي ومعاوية في الرواية المبكرة) الذي ترجمه الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي، من الدراسات المتميزة التي وقف فيها على احداث تاريخية تتعلق بمرحلة حرجة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية والمتمثلة بمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وما اعقبها من احداث، حتى يصل الى حقبة متقدمة من العصر العباسي، لقد سلك بترسن منهجا تحليليا بالتعامل مع الروايات التاريخية التي اعتمدها ونقلها من رواتها الكوفيين والسورين والمدنيين، فحدد اتجاه وميول هؤلاء الرواة وموقفهم من الصراعات التي حدثت ابان مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وتأثير هذه الميول في طبيعة تعاملهم مع الاحداث التاريخية التي زينت رواياتهم.

واسوة ببعض المستشرقين فقد قدم بترسن لموضوعه بدراسة الظروف التي مهدت لنشوء الصراعات في المجتمع الإسلامي وآثارها في طبيعة المشاكل التي دارت بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان، وكان في مقدمة تلك الظروف هو مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه).

لقد وصف بترسن مقتل الخليفة عثمان بانه حدث مهم جدا وكان بداية لعهد جديد في التاريخ الإسلامي، وعبر عنه بوصفه (فتنة) لم تقتصر آثارها على حدوث سلسلة النزاعات والصراعات المؤلمة والعنيفة في السنوات التي اعقبت

حدوثها وانما ادت الى الانقسام الدائمي للمجتمع الإسلامي ليتحول فيما بعد الى فرق متشاحنة فيما بينها يصعب المصالحة بينها<sup>(١)</sup>.

وهذا الانقسام حسب رأي بترسن قد أثير من قبل عناصر كامنة للتوتر تضم اطرافاً متعددة من ((المكيين المحمديين)) ورفاقهم المدنيين، وطبقة النبلاء القديمة في مكة تحت زعامة الامويين والجماعة العربية البدوية، وفي حقبة لاحقة الى حد ما، فان حالة التوتر هذه قد اججها جماعة جديدة مع الإمام علي بن ابي طالب، الذين وصفهم بترسن بانهم ممثلو مبدأ الشرعية لابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره كشخصية مركزية<sup>(٢)</sup>.

وشخص بترسن الاسباب التي ادت الى نشوء الفتنة خلال عهد الخليفة عثمان بقوله:

((ومع ذلك فلدينا ادلة، خلال عهد عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) ولا سيما خلال عهد خليفته عثمان، في تبرعم ونشوء حالة التذمر والاستياء بين تلك القبائل العربية التي قد اسهمت في التوسع بالفتح سواء من حيث النظام العسكري الصارم ام من حيث المنافع والامتيازات الاقتصادية التي حصدها وكسبتها الارستقراطية الإسلامية الجديدة في الحجاز خلال عهد عثمان، وقد حصده الامويون من عمليات الفتح ايضا))<sup>(٣)</sup>.

(١) بترسن، ايرلنغ ليدوك، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة - دراسة في نشأة ونمو الكتابة التاريخية الإسلامية حتى نهاية القرن التاسع الميلادي، ترجمة وتقديم وتعليق آ.د. عبد الجبار ناجي، مسودة كتاب تحت الطبع، (بغداد - ٢٠٠٦)، ص ٣٩.

(٢) بترسن، علي ومعاوية في الرواية المبكرة، ص ٣٩.

(٣) علي ومعاوية، ص ٤٠.

ويقتبس بترسن وجهة نظر المستشرقة فاغلييري من خلال احد بحوثها التي ابعدت فيها ان يكون انتخاب الإمام علي قد جاء نتيجة للاعتراف بمبدأ الشرعية، وانما كان بسعي البدو وبالاخص القبائل العراقية - والانصار من اجل الاستثمار والانتفاع من ملاسبات الصراع للرجوع بالمجتمع الإسلامي الى السبل القديمة الأكثر صلاحاً وتقوى<sup>(١)</sup>.

ويخلص بترسن الى القول: ((وعلى اية حال فان سلطة علي كخليفة لا يمكن المحافظة عليها الا بالتعاون مع الجماعات التي وقفت وراء قتل عثمان ولذلك فانه واجه مقاومة من المهاجرين المكيين الذين انتفعوا من التوسع))<sup>(٢)</sup>.

وكان على الإمام علي ان يواجه تمرد طلحة والزبير (ومن لف لفهما من اتباع عائشة)، اذا كانت مطالبيهما الغامضة الى حد ما للاصلاح - في نظر بترسن - معبرة عن رفضهما لانتخاب الإمام علي، ومهما يكن، فانهما لم يتمكنوا من تحقيق رغبتهما في تلك الظروف الصعبة، وقد تم ((قمع)) تمردهما في معركة الجمل<sup>(٣)</sup>.

ويرى بترسن ان رد الفعل الاموي القوي برئاسة معاوية ضد الإمام علي للاخذ بثأر الخليفة المقتول، كان الأكثر طبيعة والأكثر اهمية انطلاقاً من صلة القرابة التي بينهما، ولان الإمام علي يعد في جميع الروايات على انه له ضلع

(١) ينظر، علي ومعاوية، ص ٤٠.

(٢) علي ومعاوية، ص ٤٠.

(٣) علي ومعاوية، ص ٤٠ - ٤١.

بعملية القتل كونه قد مال (في الواقع) الى جماعة القائمين بعملية الاغتيال، وعلى هذا الاساس ينبغي ان يتعرض للشبهة<sup>(١)</sup>.

ومن جانب اخر يوضح بترسن وجهة نظر الإمام علي وانصاره الذين كذبوا ورفضوا الفكرة التي يستند عليها معاوية باتخاذ القرآن دليلا للاخذ بالثأر، ويرون ان احداث ((الاستبدادية لعثمان)) قد اعطت الفرصة للقتل عمدا، ولهذا ينظر الى معاوية على انه متمرد ضد السلطة الدينية الشرعية، فمن الواجب واستنادا الى القرآن مقاتلته حتى يرجع الى طاعة الله<sup>(٢)</sup>.

لقد وضح بترسن احداث معركة صفين ولجوء معاوية وعمرو بن العاص الى التحكيم، وكيف ان الإمام عليا قد اجبر على ذلك، مما ادى الى الانقسام في صفوف جيشه وظهور الخوارج الذين عدوا الاتفاق بين الطرفين خروجاً عن وظيفة الخليفة الدينية ولا ينسجم مع توضيحاتهم في القتال ضد تمرد معاوية غير الشرعي، وانهم لم يعترفوا الا بحكم الله في الصراع<sup>(٣)</sup>.

لقد تعرض الإمام علي الى اتهام الخوارج له بالكفر على اثر اتفاقية صفين مما ادى الى تصادم الطرفين في معركة النهروان بالقرب من الكوفة في تموز من عام ٦٥٨ م التي اندحر فيها الخوارج، ولكن الستين الاخيرتين من خلافة الإمام علي قد اتخذت شكلا من اشكال الانحلال المتصاعد - والكلام لبترسن - الى ان وقع ضحية لاغتيال خارجي في شهر كانون الثاني ٦٦١ م<sup>(٤)</sup>.

(١) بترسن، علي ومعاوية، ص ٤١.

(٢) علي ومعاوية، ص ٤١.

(٣) علي ومعاوية، ص ٤١ - ٤٢.

(٤) علي ومعاوية، ص ٤٢ - ٤٣.



ويقيم<sup>(١)</sup> بترسن نتائج الحرب الاهلية التي حدثت في الصراعات التي اعقبت مقتل الخليفة عثمان وفي اثناء خلافة الإمام علي (عليه السلام) بقوله:

((في هذه الحرب الاهلية فان المبادئ الاساسية للاسلام قد تصادمت وتضاربت في صراع غير قابل للمصالحة، وعلينا ان نتذكر بان حرب علي الدفاعية كانت ترمي الى (الابقاء على العقيدة والتزامه بان يتحمل القيادة الصحيحة وصولاً الى النصر<sup>(٢)</sup>) وان هذا الالتزام او التعهد قد ارتكز عليه بشكل طبيعي وذلك لانه كان عارفاً للدين، وهي مسؤولية دينية انعم بها الله عليه بصفته الإمام. ومن الجانب الاخر فقد ظهر ان موقفه من الفتنة قد اثر في حكمه المتعاصر لاعتباره ولقائه الديني الى درجة متميزة. فان مجرد الشك باحتمال تورطه او اشتراكه في مقتل الخليفة (ان كان هذا مظلوماً) يبدو انه قد اقنع او حث عدداً من صحابة محمد البارزين (من بينهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر) على الامتناع عن الاعتراف به وفضلوا البقاء على الحياد، مشابهة بدوره في اراقة دماء زملائه المؤمنين في معركة الجمل وصفين والنهروان فان ذلك قد اثار شكاً مستحلاً بخصوص دينه وعقيدته، وفيما يخص الخوارج فانه قد خسر دينه بسبب

(١) اعتمد بترسن في تقييمه لنتائج الحروب التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وفي اثناء خلافة الإمام علي (عليه السلام)، على وجهات نظر عدد من المؤرخين العرب والغربيين مضيفاً اليها ما يعتقد انه بهذا الشأن، ولغرض معرفة المصادر والمراجع التي اعتمدها في ذلك، ينظر الهوامش التي اعتمدها بترسن في اسفل صفحات بحثه التي اشرنا اليها فيما يتعلق بهذه الفقرة.

(٢) علي ومعاوية، ص ٤٣-٤٤.

قبوله التحكيم، وان حكميه ايضاً قد اعتبراً موقفه من الفتنة موقفاً توفيقياً من الناحية الدينية الامر الذي يجرده من الاهلية في الخلافة))<sup>(١)</sup>.

ويحدد بترسن اسباب رجحان كفة الامويين، ومن بينها ((تقويض دين علي))، وكذلك في خصال معاوية الشخصية، اذ يصفه بقوله:

((وفي هذه الحالة فاننا نجد ايضاً عدم وجود أي اساس للفكرة بانه ﴿أي معاوية﴾ طمع صراحة بالخلافة حتى فترة متأخرة جداً، ومن المحتمل انه ظل كذلك الى ان اعتبر الحكمان دين علي في محل تساؤل))<sup>(٢)</sup>.

ويصف الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي استنتاج بترسن هذا بانه غير صحيح، لان الإمام علياً لم يعرض نفسه للشبهة ولكن تسرع اتباعه وعدم الروية في اختيار الحكم الاوفق، من جانب، ومن جانب اخر ان ابن عباس او الاشر كما رأى الإمام، السبب في جعل ابو موسى الاشعري يخضع لخديعة عمرو، على الرغم من تحذير ابن عباس له، بتخليه عن صاحبه الإمام علي في الحكومة بقصد او بغير قصد، وينهي الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي كلامه بوصف موقف ابن عباس بقوله ﴿والله اعلم﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) علي ومعاوية، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) علي ومعاوية، ص ٤٤.

(٣) عبد الجبار ناجي، هامش في ص ٤٤ في أثناء رده على استنتاج بترسن.

ويخلص بترسن الى الاعتقاد بان النتيجة بتفوق معاوية يعود الى دهائه السياسي والى ترويه الرزين والى تسامحه، وجميع هذه الطبقات تمثل مفهوم العرب للحلم<sup>(١)</sup>.

ولم يكن بترسن دقيقا في وصفه وتقييمه لشخصية معاوية بن ابي سفيان بانه كان حليما ومتسامحا، لان ما فعله معاوية يعد غدرا وقد جاء ذلك على لسان الإمام علي (عليه السلام) حينما وصفه بانه ليس بادهى منه ولكنه كان يغدر ويفجر.

ولم تقتصر دراسة المستشرق بترسن على الروايات التاريخية وانما اعتمد اضافة لها على القطع الشعرية التي اسماها بالرواية الشعرية، وحاول من خلالها استنباط بعض المواقف التاريخية التي توضح الاخفاق او النصر والمدح والذم والمكر او الوفاء في الحرب التي دارت بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية او في مسألة التحكيم.

على سبيل المثال وفي مفاوضات التحكيم يذكر بترسن ابيات شعر<sup>(٢)</sup> قالها الشاعر الاسود بن هيثم في وصف موقف ابو موسى الاشعري، جاء فيها:

لقد تداركت الوفود باذرح      وفي اشعري لا يحل له غدر  
ادى امانته ووفي نذره عنه      واصبح فيهم غادراً عمرو

(١) علي ومعاوية، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) هذه الابيات الشعرية نقلها بترسن عن، ياقوت الحمودي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق مزيد الجندي، دار الكتب العلمية، (بيروت - د. ت)،

يا عمرو ان تدع القضية تعرف ذل الحياة وينزع النصر  
ترك القرآن مما تأول آية وارتاب اذ جعلت له مصر

يفسر بترسن قول الشاعر بان ابا موسى لا يعد مسألة التحكيم فشلاً او اخفاقاً، وانما الذي اخفق هو عمرو فقد تخلى عن الحكم وسوف يحرم عون السماء وانه حاد عن القرآن وانحرف وفضل الحصول على امتياز عندما وعد بالحصول على ولاية مصر<sup>(١)</sup>.

ويوضح بترسن معنى هذه الايات بقوله:

((ان وجهة النظر هذه حول اجتماع اذرح في الواقع تنسجم تماماً مع الموجودات النفسية التي عبرت عنه الرواية الثرية الكوفية للجيل اللاحق. وانكار عمرو للعقيدة او تبرأ عمرو من العقيدة امام الوعد باعطائه مصر وهو امر رأيناه بالفعل، وقد تم التشديد عليه ايضاً،...وبكلمة اخرى لدينا دليل مضاف آخر بان الرواية العراقية في مرحلة مبكرة جعلت من عمرو بن العاص المحرك الاول والاساس في التمرد ضد حكم علي المقبول من الله))<sup>(٢)</sup>.

ويعقب الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي على وجهة نظر بترسن،  
بالقول:

((...ان البروفيسور بترسن قد نجح الى درجة كبيرة في تلخيص معنى الايات نثراً ومن الناحية التاريخية ومع صعوبة الترجمة فانه استعان كثيراً بما

(١) علي ومعاوية، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) علي ومعاوية، ص ١٠٥.

ترجمه كيتاني لهذه الايات. غير ان الايات الشعرية توحى بان هناك رأياً غير الذي رآه البروفسور بترسن))<sup>(١)</sup>.

ان خلاصة ما ذهب اليه المستشرقون الذين كتبوا عن معركة صفين يتمثل بتركيزهم على نقطتين اساسيتين، الاولى، ان هدف معاوية من هذه الحرب كان هو المطالبة بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، والثانية، ان ما جرى في عملية التحكيم هو خدعة قد حاك خيوطها عمرو بن العاص ووقع في شباكها ابو موسى الاشعري بعد ان كان النصر من جيش الإمام علي (عليه السلام) قاب قوسين او ادنى.

فيما يتعلق بالنقطة الاولى فقد ورد في بعض مصادرنا ومراجعنا التاريخية عكس ما ادعاه معاوية، اذ كان نفسه راغباً في التخلص من الخليفة عثمان.

لقد ذكر البلاذري انه عندما طلب الخليفة عثمان اثناء الحصار الذي فرض عليه معونة معاوية، فبعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له:

اذا اتيت ذا خُشْب<sup>(٢)</sup> فاقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يري ما لا يري الغائب، فاقام بذئ خُشْب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد الى الشام بالجيش الذي ارسله معه، وانما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعوا الى نفسه))<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد الجبار ناجي، في هامشه للتعليق على ما ورد في كلام بترسن بشأن آيات شعر الاسود

بن الهيثم، ص ١٠٤.

(٢) ذي خُشْب، خُشْب، وادي على مسيرة ليلة من المدينة، ينظر، ياقوت، معجم البلدان،

٤٢٦/٢.

(٣) البلاذري، انساب الاشراف. ٢١٥/٢.

ويذكر الطبري في تاريخه: ((فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب الى معاوية بن ابي سفيان وهو بالشام: اما بعد فان اهل المدينة كفروا واخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث الي من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربص به...))<sup>(١)</sup>.

ويحلل الدكتور ابراهيم بيضون موقف معاوية بانه كان استغلالاً للظروف ووجد فيها الفرصة النادرة لتحقيق اهدافه التي لن تقف عند حدود ولاية الشام التي طال حكمه لها، وانما كانت الخلافة، ولا يبدو ذلك غامضاً لمن يعين النظر في سلوك معاوية خلال المحنة الى حاقت بعثمان، دافعاً بالامور الى التعقيد، ومن ثم غير مبال بما يتهدد قريبه الخليفة من الخطر<sup>(٢)</sup>.

اما ما يتعلق بالنقطة الثانية التي اشار المستشرقون اليها فهي، ان ما جرى في تحكيم صفين على انه خدعة، فقد عارض بعض مؤرخينا القدامى والمحدثين هذه الفكرة، وعدوا ما تعرض له ابو موسى الاشعري على انه ليس بخدعة.

لقد وصف ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) خدعة التحكيم على انها رواية ركيكة، واستبعد ان يكون ابو موسى ضعيف الرأي، بل وصفه على انه كان رجلاً تقياً، فقيهاً وعالماً<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ، ٣٦٨/٤.

(٢) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص ٧٣.

(٣) ابو بكر (ت ٤٥٣هـ)، العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٧٤.

ويعزز هذا القول ما ذكره الدكتور طه حسين من انه لو كان ابو موسى مغفلاً لما اختاره الخليفة عمرو بن الخطاب لولاية احد الامصار، ولما اختاره اهل الكوفة ليكون والياً عليهم اثناء الفتنة التي ادت الى مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)<sup>(١)</sup>.

ويدي الدكتور نايف معروف رأيه بهذا الخصوص، فيذكر ان شهود التحكيم من كلا الطرفين كانوا من اكابر اقوامهم، فليس ممكناً ان ينظلي عليهم هذا الخداع الفاضح، ويستدل معروف بما اورده ابن مزاحم المنقري والطبري وسواهما من تحذير ابن عباس لابي موسى الاشعري قبيل اعلان قرار التحكيم، اذ قال له: ((ويحك اني لا اظنه قد خدعك، ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه، فيتكلم بذلك الامر قبلك، ثم تكلم انت بعده، فان عمرو رجل غدار))<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك يخلص الدكتور معروف الى القول: (فهل بعد كل هذا يجوز ان تنظلي حيلة عمرو بن العاص على ابي موسى؟)<sup>(٣)</sup>.

ورغم صحة الاستنباط الذي توصل اليه الدكتور معروف، الا ان هذه الرواية لا ترقى الى درجة الصحة، وكل ما اراده الوضاعون منها هو ان يثبتوا صفة الغدر في شخصية عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتنة الكبرى، ١٠١/٢، ١٠٢.

(٢) ابن مزاحم المنقري، نصر، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط ٣ (مصر - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص ٨٤ - ٨٥، الطبري، تاريخ، ١١٣/٣؛ ينظر.

(٣) معروف، ناجي، الخوارج في العصر الاموي، نشأتهم وتاريخهم، عقائدهم، ادبهم، دار الطليعة، ط ٤ (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص ١٠٠.

ويذهب الدكتور حسن ابراهيم حسن الى ان المؤرخين يظلمون ابا موسى حين يرمونه بالغفلة وقصور الرأي، لانه قد تم اختياره عن اهل العراق ونصح لهم ولكن الصدفة هي التي فعلت فعلتها بان خالف رأيه رأي الإمام علي (عليه السلام) وبني هاشم، ويضيف الدكتور حسن ان رأي ابو موسى لم ينفرد به لوحده وانما كان رأي طائفة كبيرة من معاصريه، وفوق هذا وذاك يعتقد ان ما قام به عمرو بن العاص من مبايعة معاوية لم يكن كافيا وحده لتثبيت صاحبه، بل ان هناك امورا جديرة بالذكر قد دفعته لذلك واهمها اضطراب جند الإمام علي (عليه السلام) الذي اراد تجديد الحرب على معاوية بعد موقعة صفين وانشقاق الخوارج عليه وكذلك اتحاد جند معاوية والتفافهم حوله وتفانيهم في نصرته، اذ عمل منذ توليه بلاد الشام في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) على الاستئثار بخيراتها وجلب حوله طائفة من الانصار بالعطايا والمنح<sup>(٢)</sup>.

ويجزم المؤرخ هشام جعيط القول: ((من الخطأ التام ان نرى في ذلك خدعة شيطانية لتجنب الهزيمة... فلم يكن معاوية مغلوبا، ولا كان على طريق الانهزام، انما كان يستعمل فقط اللغة الوحيدة الممكن فهمها، لغة الرمز، كما انه يلتجئ الى المرجع المشترك الوحيد، مرجع القرآن))<sup>(٣)</sup>.

(١) ابو الشباب، احمد عوض (الدكتور)، الخوارج تاريخهم، فرقهم، عقائدهم، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ١٠٠.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط ١٥ (بيروت - ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م)، ج ١/٣٠٦.

(٣) الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة خليل احمد خليل، دار الطليعة، (بيروت، د.ت)، ص ٢٠٣.



ويعتقد الباحث ان ما آلت اليه نتائج التحكيم فان لم يكن خدعة فهو امر قد مهد له ابو موسى نتيجة لاتفاقات سرية قد جرت بينه وبين معاوية او محاولة منه للانتقام من الإمام علي (عليه السلام) الذي رفض تقليده ولاية الكوفة ابان فتنة الخليفة عثمان وهذا ما يفسر موقفه المحايد في معركة الجمل وعدم وقوفه الى جانب الإمام علي (عليه السلام)، يضاف الى هذا وذاك ما كان يامله ابو موسى في وصول نسيبه عبد الله بن عمر الى الخلافة، ليكون اكثر قرابة من مركز السلطة.

## ((المبحث الثالث))

### حرب الإمام علي (ع) ضد المارقين (الخوارج) في معركة النهروان

اخذت قضية الخوارج في دراسات المستشرقين حيزا يستحق الوقوف عنده والتدقيق فيه، فقد تعامل المستشرقون الذين تناولوا هذا الحدث التاريخي بشكل يختلف عما جرى في تعاملهم مع حرب الإمام علي (عليه السلام) ضد الناكثين والقاسطين، والسبب في ذلك هو ان هذه القضية تتضمن جوانبا فكرية غالبا ما يجد الباحث فيها فرصة لابتداء رأيه.

سنحاول في هذا المبحث بيان الجوانب الفكرية التي ركز المستشرقون عليها في دراساتهم لهذه الحرب اكثر من الخوض في تفاصيلها التي يمكن الحصول عليها بالرجوع في ذلك الى مصادرنا التاريخية.

من بين المستشرقين الذي اشاروا الى الخوارج بشكل عابر ودون التفصيل هو المستشرق (بودلي)، الذي ذكر بان بعض الخوارج المتعصبين نظروا الى الانشقاق الذي حدث بين المسلمين على انه نقيض كل مثل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) العليا التي جاء بها، ويقود بالنهاية الى انهيار الإسلام، ورأوا ان المسؤولين عن ذلك هم الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص، لذلك تعاهدوا على ان يخلصوا بلاد العرب منهم، ولكن فشلت محاولتان، فجرح معاوية بجرح بسيط، وقتل شخص كان يؤم المصلين في مصر بدلا من عمرو بن العاص، ولم تنل السيوف التي قررت اغتيال الخلفاء كما يقول بودلي، الا علي، فقتل في العراق بمدينة الكوفة.

وقد شيد له قبرا فخما ومسجدا هائلا، ونشأت حوله مدينة جميلة تعرف بـ ((مشهد علي))، وهي اليوم إحدى أماكن الشيعة الرئيسة المقدسة<sup>(١)</sup>.

ولم يكن بودلي دقيقا بقوله: ((ولم تنل السيوف التي قررت اغتيال الخلفاء الا علي))، لانه جعل كل من معاوية وعمرو بن العاص في عداد الخلفاء اسوة بالإمام علي (عليه السلام) الذي بوبع من المسلمين وامام الملائم.

ويذكر المستشرق (برس سايكس) ان الإمام عليا (عليه السلام) لم يكن محظوظا في حياته، فقد اجبر على التحكيم في (صفين)، وموافقته على هذا الامر دعت باثنتي عشر الفا من جنوده الى الانشقاق عن جيشه، معتقدين بان مصلحة الإسلام العليا سلّمت الى محكمين كفرة، واقسموا ان لا يخدموا خليفة ابدا واصروا على مبدأ (لا حكم الا لله وحده)، لكن الإمام علي (عليه السلام) تعامل معهم بصبر كبير، بعد ذلك قام بتأجيل الحرب على معاوية وقرر مواجهة الخوارج الذين قاموا بارتكاب تجاوزات مريعة في حق المسلمين، وبعد مداوات طويلة تفرق الكثير منهم نابذين القتال، الا ان (١٨٠٠) الفا وثمانمئة منهم رفضوا كل اساليب التفاوض والحجج وقرروا القتال الى اخر قطرة من دمائهم<sup>(٢)</sup>.

واكتفى (برسي سايكس) بهذه السطور في حديثه عن الخوارج ولم يذكر أي شيء عن معركة النهروان التي قضى فيها عليهم باستثناء القلة الذين فروا.

(١) حياة محمد، ص ٤٢٦.

(١) Percy Sykes , History of percia , P.٥٣٣,٥٣٤.

ويحلل المستشرق (واط) السبب الحقيقي في رايه الذي دفع الخوارج للانشقاق عن الإمام علي (عليه السلام)، على الرغم من وعوده لهم باعطائهم بعض الامتيازات، فيقول بصدد ذلك:

((رغم تقديرنا لتمرد الخوارج فان نقطتين فقط تستحق الملاحظة، النقطة الاولى، هي ان هؤلاء الخوارج كانوا معارضين لعلي معارضتهم لعثمان والامويين، وهذا يميل او يدعم الفرضية بان استيائهم كان على البناء الاجتماعي وليس بالضرورة ضد شخص معين او عائلة حاكمة معينة، وصحيح ان علياً كان من غير الطبقة الارستقراطية في مكة....، وصحيح ان علياً كان له اصحاب كانت مواقفهم (على الاقل تغيرت بعض المواقف فيما بعد) مضادة تماماً لمواقف الخوارج او الخارجين ومع ذلك بقي عدااء الخوارج لعلي دليلاً على استيائهم من النظام ككل))<sup>(١)</sup>.

اما النقطة الثانية التي اشار اليها واط في سبب تمرد الخوارج فهي:

(ان في هذه الثورات او التمردات لمجموعة قليلة او عصابة قليلة من الرجال، اعاد الخوارج شيئاً جديداً مثل العشائرية او القبلية والتي كانت سائدة في حياتهم بوصفهم بدو. ولعل هذا ما غير مسارهم بلا ادراك منهم)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو ان تحليل (واط) كان مقنعاً ، لان الطبقة الارستقراطية التي سيطرت على مجريات الحكم واستئثارها بالسلطة والاموال في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وشعور اخرين بالحرمان قد ولد في نفوسهم كرهاً للسلطة

(٢) Wat , Islam and the Integration of society , P ,٩٧.

(٣) Ibid , P. ٩٧.

وانسحب هذا الكره حتى على الإمام علي (عليه السلام) رغم معرفتهم بتقواه وزهده.

ويعتقد المستشرق (ترتون) ان الخوارج يستحقون وقفة خاصة لانهم حسب اعتقاده احدى الطوائف الذين لازالوا لحد الان موجودين في عمان وافريقيا، وان موقفهم من بقية المسلمين يتمثل في كرههم لهم، ووصف (ترتون) موقف الخوارج من بعض الشخصيات بقوله:

((فهم يعتقدون بان عثماناً استحق القتل، وادانوا بعض الرجال العظام من المسلمين الاوائل، وادانوا علياً لانه لم يتورع عن قتال المتمردين قبل موته وقتل ما يقارب اربعة الاف ورع او متق (من الخوارج)، ولعنوا طلحة والزبير لانهم نقضوا العهود الغليظة لعلي ومن ثم قاتلوا جنده، وادانوا الحسن والحسين لانهما ساندوا والدهم المخطئ، ولعنوا معاوية لانه قاتل ضد علي ورتب الاحتكام الى القرآن وسفك دماء المسلمين ولعنوا ابا موسى الاشعري وعمرو لانهم من رتب الى عملية الاحتكام، ولعنوا يزيداً لانه نصب نفسه خليفة وقتل الحسين سبط النبي))<sup>(1)</sup>.

ويتناول المستشرق (ولاستون) قضية الخوارج بتفصيل اكثر نسبياً من سابقه، فقد وضع ان خدعة التحكيم في معركة (صفين) قد اغضبت مجموعة من انصار الإمام علي غضباً شديداً، ونمت مجموعة سميت بالخوارج انعزلت عن معسكر الإمام علي (عليه السلام) وكونت لها معسكراً قرب بغداد، وبدأ جمع الساخطين بالازدياد الى ان وصل الى خمسة وعشرين الفاً، ويذكر ولاستون انه كان من المستحيل على الإمام علي (عليه السلام) ان يترك مثل هذا الحشد

(1) A.S.Tritton , Aslam , Belef and Practices ,P. ٦٩.

المرعب من الساخطين كتهديد قائم لسلطته وقوته، ولم يكن هناك امامه خياراً الا ان يجبرهم على الخضوع، فتقدم بجيش كبير عليهم، وقبل ان يبدأ بمهاجمتهم، غرس راية في الارض<sup>(١)</sup> ونادى عليهم بصوت مدو من ياتي تحت هذه الراية سوف يجني الربح، واما من يريد ان يرجع الى الكوفة فله الامان، ويضيف ولاستون القول، وفعلاً نجحت ((الخدعة)) ولم يبق من المتردين سوى اربعة الاف رجل هاجموا جيش الإمام علي (عليه السلام) فهزموهم وقتلهم جميعاً عدا تسعة افراد، وفي هذه الموقعة التي حدثت في عام (٣٨هـ / ٦٥٨م) توحد العرب جميعهم تحت امرة الإمام علي (عليه السلام) عدا سوريا ولمدة تزيد على سنتين<sup>(٢)</sup>، وفي هذه الظروف اجتمع مجموعة من الخوارج في مكة ليتدارسوا حال امتهم ووطنهم وتوصلوا الى ان مرض الامة يكمن في الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو بن العاص، واقسموا ان يخلصوا من مثل هذا الخلاف ويعيدوا للامة الإسلامية السلام والوحدة وليس هناك أي طريق غير هذا، فتوزعوا فذهب الاول الى الكوفة والثاني الى دمشق والثالث الى مصر، فنجأ معاوية بعد اصابته بجرح خفيف وكذلك عمرو بن العاص بعد ان قتل نائبه في الصلاة، وتمكن عبد الرحمن بن ملجم من تحقيق هدفه بقتل الإمام علي (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

(١) الراية التي ذكرها ولاستون قد اعطاها الإمام علي (عليه السلام) الى ابي ايوب الانصاري ليقدمها راية امان للخوارج، فقال لهم:

((من جاء تحت هذه الراية فهو آمن، ومن لم يقتل ولم يستعرض، ومن انصرف منكم الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك الدماء))، ينظر، ابن الاثير الكامل، مجلد ٣/٢٢١.

(١) Wollaston , Half Hours ,P. ١٠٥.

(٢) Ibid ,P.١٠٥ -١٠٦.

ولم يوفق ولاستون في وصفه لكلام الإمام علي (عليه السلام) الذي وجهه للخوارج على انه خدعة، فلو تحرينا نص الحديث لوجدنا انه ينطوي على نصائح لهم بعدم الانزلاق في معصية الله.

فقد كلمهم الإمام علي (عليه السلام) بكلام طويل تضمن مواعظاً وتوضيحاً للحقائق، منه:

((الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة، ومكر وخديعة: اخواننا واهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان، واوله رحمة، وآخره ندامة، فاقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنا جذكم، ولا تلتفتوا الى ناعق نعق: ان اجيب اضل، وان ترك ذل...))<sup>(١)</sup>.

ويصف المستشرق (شبولر) الخوارج انهم ذوو عقول تشبه بعض متطرفي اتباع الإمام علي (عليه السلام) من الشيعة، وكانوا يشكلون العمود الفقري لجيشه ولكنهم عندما رأوا - وهم الذين اجبروه على القبول بالتحكيم - اذعانه الى تحكيم البشر الذي استفعل به ولم يترك الحكم الى الله، ويعنون بذلك (سيفه وسيوفهم)<sup>(٢)</sup>، بدأ الانشقاق في حزب الإمام علي (عليه السلام)، وترك قسم من الجيش معسكره وسموا بالخوارج، الذين رفعوا شعار الخليفة المتقي دون التطرق الى القومية او النسب الاجتماعي، واختاروا احدهم رئيساً لهم، وهذا الحزب الذي يمثل النقيض للاستقرارية العربية، بدأت اعداده تتزايد وكان مدعاة للقلق والاضطرابات، وهدد تنامي الإسلام وسلطة الدولة، فاستطاع الإمام

(١) نهج البلاغة، الخطبة / ١٢٢.

(٢) Spuler, Geschichte Der Islamischen Länder, P. ٣٧ - ٣٨.

علي (عليه السلام) القضاء عليهم في معركة النهروان بتاريخ ١٧ تموز عام ٦٥٨م (٣٨هـ)، ولكنه لم يستطيع ان يستأصل شأقتهم<sup>(١)</sup>.

اما المستشرق (نولدكه) فيبدو انه كان معجبا بافكار الخوارج، فاشار الى ان الصراع الذي حدث بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية ادى الى الفوضى ونشأ حزب راديكالي متطرف يؤمن بحق الجميع بالقيادة على ان يتم اختيار الافضل من بينهم، هؤلاء الاشخاص هم الذين يسمون بالخوارج، وحسب رأي (نولدكه) يحملون في الحقيقة جوهر فكرة الإسلام وقد طوروها الى اقصى حد ممكن وكانت لهم اراء سليمة في الاحقية بـ (الخلافة)، الا ان هكذا مبادئ كان من المستحيل ان تكون دولة خصوصا في الشرق، وكانوا من التطرف بمكان بحيث انهم نشروا افكارهم بعنف وحشي وشجاعة فائقة وحافظوا على الولاء للقناعة بشكل لافت للنظر، الا انهم سببوا معاناة كثيرة من دون ان ينتجوا شيئا<sup>(٢)</sup>.

ويضيف نولدكه القول، ان المجادلة حول الخلافة لم تجد اية ارضية صلبة لكنها استمرت لتمزيق عالم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتاريخ غني بهذا الموضوع لكنه ملون حسب اراء الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

وتصف المستشرقة (فاغليري) موقف الخوارج انهم كانوا يرون ضرورة ان يستمر الإمام علي (عليه السلام) بمقاتلة معاوية، حيث لم تحدث أي حقيقة لتغيير مجرى القتال، وخلال عودة الإمام علي (عليه السلام) الى الكوفة قام الافراد الذين نطقوا بعبارة (لا حكم الا لله، ولهذا السبب يدعون بالحكمة -) باقناع

(١) Spuler , Geschichte Der Islamisc Lander ,P.٣٨.

(٢) Noldeke, Sketches from Eastern History , P.٨٠.

(٣) Ibid ,P. ٨٠.



العديد من انصار الإمام علي (عليه السلام) ان التحكيم كان خطيئة تجاه الله، عن طريق استبدال حكم الله بحكم الرجال، وبعد قيام الخليفة بزيارة شخصية لهم استطاع ان يصلح بين المنشقين عن طريق تقديم بعض التنازلات لهم، فاعلن مجموعة مكونة من بضعة الاف تويتها في حروراء قرب الكوفة وهم الذين دعوا بالحرورين، وعلى اية حال والكلام لـ (فاغليري) وبعد عودة الإمام علي (عليه السلام) الى الكوفة، انكر من على المنبر التقارير التي تزعم ان لديه النية في خرق اتفاقية (صفين)، عندما علم انه ارسل ابا موسى للقاء عمرو، فقامت مجموعة من الخوارج يتراوح عددها ما بين (ثلاثة الاف ٣٠٠٠) او (اربعة الاف ٤٠٠٠)، بمغادرة الكوفة بالخفاء والتحق بهم بضعة مئات من البصرة، وقد اختار هؤلاء الخوارج نقطة التجمع لهم وهي النهروان<sup>(١)</sup>. ولم توضح فاغليري احداث هذه المعركة ونتائجها.

ويذكر المستشرق (دونلدسن) جانبا من معركة (النهروان) يوضح فيه بان جماعة الخوارج انشقوا عن الإمام علي (عليه السلام) وقالوا لا حكم الا لله وعسكروا في حروراء وبذلك سمو بالحرورين فبعث اليهم عبد الله بن عباس فحاججهم فرجع منهم قوم كثيرون وثبت اخرون على رأيهم وساروا الى النهروان وقتلوا في طريقهم عبد الله بن خباب، فسار اليهم الإمام علي (عليه السلام) فقتلهم بالنهروان وذلك سنة ثمان وثلاثين ثم انصرف الى الكوفة<sup>(٢)</sup>.

ويدي (دونلدسن) رأيه في هذا الموضوع بقوله:

(١) Vaglieri , the Encyclopedia of Aslam , P.٣٨٤.

(٢) عقيدة الشيعة، ص ٥٤.

((ان عليا الذي كانوا ياملون ان يكون المطالب بحقهم والمدعي عنهم ظهر انه عدوهم الالذ واصبح امر المقاومة المسلحة امرا غير ممكن فقد كان انكسارهم حاسما، ولكنهم كانوا يعرفون من هو المسؤول عن قتل ابائهم واخوتهم فلما نظروا ماتم من امر الدولة الإسلامية التي مزقتها الحروب الداخلية اخذوا ينظرون بعين الحقد الى الطموح الشخصي للرجال الذين اصبحوا يعتقدون انهم هم العثرة في سبيل الوحدة الوطنية<sup>(١)</sup> .

ويتناول المستشرق (فلهوزن) تمرد الخوارج بشيء من التفصيل، فيذكر انهم وفي اثناء عودتهم من معركة صفين متوجهين الى العراق، لام بعضهم البعض ولاموا الإمام عليا (عليه السلام) ايضا، وان كان لم يوقف المعركة الا اضطرارا. فلما دخل الكوفة خرج عليه اثنتا عشر الف رجل، واتخذوا من (حروراء) مقرا لتجمعهم، فسُموا بالخوارج او الحرورية، وكانوا محتجين على التحكيم وقالوا: ((لا حكم الا لله))، اما رؤسائهم فهم شعث ابن ربيعي الرياحي وعبد الله بن الكواء الشكري ويزيد بن قيس الارحبي، وهم اكبر رجال تميم وبكر وهمدان، واستطاع الإمام علي (عليه السلام) ان يقنع بعض هؤلاء بالعودة الى جانبه، وبذلك عاد الحرورية الى الكوفة لينضموا الى جيش الإمام علي (عليه السلام)، وزعم هؤلاء انه وعدهم بالعودة لمقاتلة معاوية بن ابي سفيان بالسرعة الممكنة، وعندما لم يتم ذلك، عدوه خرقا للاتفاق فخرجوا عليه من جديد وعينوا منهم خليفة عليهم استقلوا به عن الإمام علي (عليه السلام)، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الازدي، وبايعوه في اليوم العاشر من شوال عام (٣٧هـ) المصادف ٢١ اذار سنة ٦٥٨م، ثم خرجوا من الكوفة فرادى مستخفين واجتمعوا في النهروان

(١) عقيدة، ص ٥٤، ٥٥.

على جانب نهر دجلة، وعرضوا امرهم على خوارج البصرة الذين يصل عددهم الى خمسمائة رجل لينضموا اليهم<sup>(١)</sup>.

ويواصل فلهوزن حديثه فيذكر ان الإمام عليا (عليه السلام) قد جمع جيشه في معسكر قرب النخيلة، ودعا الخوارج للانضمام اليه، لكنهم رفضوا ذلك وطالبوه ان يشهد على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم، ويتوب الى ربه، فحاول ان يتركهم ويمضي لقتال اهل الشام، ولكن جيشه الح عليه ان يقاتل الخوارج، لان خوارج البصرة وفي اثناء توجههم الى النهروان، قتلوا عبد الله بن خباب بن الأثر، ابن احد السابقين الاولين من الصحابة وبقروا بطن زوجته، وقتلوا آخرين واعترضوا الناس، فاضطر الإمام علي ان يستجيب لرغبة اتباعه، بعد ان حاول اقناع الخوارج بان يدفعوا اليه القتلة<sup>(٢)</sup> ويبين لهم بانه واياهم في الحقيقة غير مختلفين، وانما يريد ان يحمل السيف حكما بينه وبين اهل الشام اعدائه واعدائهم، فاجابوه:

((لو بايعناكم اليوم حكمتم غدا))، وكان قصدهم ان الإمام عليا (عليه السلام) وشيعته سيفعلون ما فعلوه في صفين من قبول التحكيم، ولم يقبل الخوارج باي شيء وتهايأوا للقتال، فتنادوا: الرواح الرواح الى الجنة<sup>(٣)</sup>.

وينقل فلهوزن رواية ابي مخنف التي يحدد فيها تاريخ موقعة النهروان في عام ٣٧هـ، ويذكر ايضا ان قادة الخوارج الثلاث الذين اشار اليهم انفا قد تركوا اتباعهم، ولم يكن الخوارج في الكثرة التي كانوا عليها في حروراء، ولم يبق منهم

(١) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ص ٧٩.

(٣) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٨٠.

سوى اربعة الاف، رجعت طائفة منهم متفرقين، فنزلت الكوفة، وقتل الباقرن باستثناء ثمانية اشخاص تمكنوا من الهرب<sup>(١)</sup>.

ويثبت فلهوزن بعد الرجوع الى اليعقوبي وابن الاثير والدينوري عدم ثقة كلام ابي مخنف فيما يتعلق بتاريخ معركة النهروان، ويذكر وبالاعتماد على كتاب (انساب) انساب الاشراف للبلاذري بان التاريخ الاكثر دقة هو يوم (٩ صفر) سنة ٣٨ هـ الموافق (١٧ حزيران ٦٥٨ م)<sup>(٢)</sup>.

وما تجدر الاشارة اليه ان فلهوزن قد فصل كثيراً في الحروب التي خاضها الإمام علي ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، مما دفع الباحث الى اختصار ما ذكره ما امكن اختصاره كون الاحداث التي ذكرها موجوده في مصادرنا التاريخية، ولكن تقييمنا لما ذكره فلهوزن هو انه كان محلاً أكثر منه ناقلاً للاحداث وقارن بين عدة مصادر في ايراده للحوادث التاريخية.

وخصص المستشرق فلهوزن كتاباً افرده لدراسة احوال الخوارج والاسباب التي دعتهم للخروج على الإمام علي (عليه السلام)، اذ قال عنهم:

((وقد يرى المرء من العار ان يأخذ الخوارج على علي هذا الموقف لانهم هم الذين دفعوه الى اتخاذه ثم طلبوا من بعده بالنكوص عنه، وهو امر لم يكن له وهو الحاكم ان يفعله فيتنكر لما سبق ان وافق عليه. لكن ذلك لم يكن من الناحية المنطقية

(١) تاريخ الدولة العربية، ص ٨٠.

(٢) فلهوزن، تاريخ، ص ٨٦؛ وينظر، البلاذري، انساب الاشراف، ٢/٢٥٥؛ بينما يذكر اليعقوبي في تاريخه، ٢/٩٣، بان معركة النهروان قد حدثت في سنة (٣٩ هـ)، لكن ابن الاثير في كامله، ٣/٢٤٢، يتفق مع البلاذري في السنة التي حدثت فيها المعركة وهي سنة (٣٨ هـ). ويختلف معه فقط في الشهر، اذ يذكر بانها حدثت في شهر رمضان.

تناقضاً ذلك ان علياً - ان طوعاً وان كرهاً - قد عقد ميثاقاً مع الشيطان (اعني مع معاوية) ولم يشأ نقض هذا الميثاق))<sup>(١)</sup>.

ويصف فلهوزن الخوارج على انهم كانوا حزباً ثورياً صريحاً يعتمصم بالتقوى، وعارض الرأي الذي يقول بانهم نشأوا نتيجة العصبية القبلية وانما كانت نشأتهم اسلامية، وانهم كانوا يجاهدون في سبيل الله وحده سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>. والاكثر من ذلك فقد رفعهم فلهوزن الى اعلى درجات التقوى، وانهم وقفوا في صف الدين بكل قوة، وفي فهمهم لمضمون الدين يختلفون عن سائر الناس، ويتميزون عن غيرهم بشدتهم في تقديم الدين على أي اعتبار اخر، فلا دولة على حساب الدين في رأيهم، وهم لا يحسبون انهم بهذا يمزقون شمل الجماعة، ويفتخرون بقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، ويرون ان الاقرار بهذا العمل هو بمثابة شهادة، ويمتحنون كل من يشكون فيه من انصارهم في هذه المسألة امتحاناً عسيراً، ويستحلون دماء خصومهم المسلمين، ولم يعد جهادهم ضد الكفار، بل ضد اهل السنة والجماعة من عامة المسلمين، اذ كانوا يرون في هؤلاء كفاراً، بل اشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس<sup>(٣)</sup>.

ويضيف فلهوزن القول ان مذهب الخوارج مذهب سياسي، غايته تقرير الامور العامة على وفق اوامر الله ونواهيها، بيد ان سياستهم ليست موجهة نحو اهداف يمكن تحقيقها، فضلاً عن انها منافية للمدنية<sup>(٤)</sup>.

ويبدو موقف فلهوزن من الخوارج اكثر وضوحاً من خلال قوله عنهم:

(١) الخوارج والشيعة، ص ٤٠.

(٢) ينظر، الخوارج والشيعة، ص ٤١.

(٣) فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص ٤٢- ٤٣.

(٤) الخوارج والشيعة، ص ٤٥.

((فالواقع اذن ان الخوارج ذوو نزعة فردية مغالية من نوع خاص تماماً. بالرغم من ان العلامة المميزة لهم كل التمييز هي الترجمة عن ايمانهم بالافعال وامتثاق السيف في سبيل اقرارها كلما اجتمع اثنان من رأي واحد، فانهم مع ذلك قد شاركوا في وضع الزندقة النظرية اعني علم الكلام. فقد كانوا يسألون عن مسائل تتجاوز نطاق الموروث من العقائد ويمادلون خصومهم بشأنها، فلم يتنكروا ابداً لاصلهم وهم القراء. ولاشك في ان الطبقة الاولى من علماء الكلام في الإسلام قد تاثروا بالخوارج))<sup>(١)</sup>.

ولم يغفل المستشرق (ميور) حرب الإمام علي (عليه السلام) ضد الخوارج، فيشير الى ان الإمام عليا (عليه السلام) حاول تجديد الحرب ضد معاوية بعد معركة صفين واجراء التحكيم، ولكن قبل ذلك كان ينتظره عمل اخر يجب ان يؤديه قبل التعامل مع عدوه فمنذ انصرافهم من حروراء وبدلا ان يهداوا وينخرطوا في الطاعة والسلام مع الإمام علي (عليه السلام)، ازداد الخوارج عدوانية وتمردا، وكان شعارهم عدم مبايعة احد غير الله الجبار المجيد، والمبايعة للإمام علي (عليه السلام) او معاوية هما اساءة الى الاسم العظيم، وعبروا عن عقيدتهم تلك بعبارة قصيرة هي (لا حكم الا لله)، وعبثا جادلهم الإمام علي (عليه السلام) من ان التحكيم قد اجبروه هم عليه بانفسهم، ولكنهم اجابوه وقالوا:

((حقا، لكننا تبرأنا من تلك الزلة، وعليك انت ان تبرأ او سنقاتل ضدك وحتى لو قتلنا فيسرنا ان نلاقي ربنا))<sup>(٢)</sup>.

(١) الخوارج والشيعة، ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) Muir , the Caliphate , P.٢٨٧.

ويضيف (ميور)، ان الإمام عليا (عليه السلام) كان حريصا على كسبهم واصغى الى حديثهم باناة، وتحلى بالصبر عند التعامل معهم، و اشار الى انهم احرار بدخول المساجد للصلاة، وسياخذون حصتهم من الغنائم في حالة دخولهم الحرب الى جانبه، وان لا يستخدم ضدهم القوة في حالة احجامهم عن المشاركة في أي عمل معلن، وبدلا من ان يهدي هذا العرض الى اعتدال الخوارج ورجوعهم الى الطريق السوي، زادهم تشجيعا وقرروا فورا ان يرفعوا (الراية الالهية)، وكانوا ينظرون الى تدخل سماوي وحتى وان هلكوا فان قضيتهم الصالحة يجب ان تنتصر في النهاية، وبعد شهرين من التحكيم بدأوا بالاتفاق مع متعاطفين معهم من البصرة وامروهم بمغادرة منازلهم خلسة، وبلغ عدد المتأمرين من البصرة خمسمائة متطرف تمكنوا من الهروب رغم مطاردة عامل البصرة لهم، والتحقوا بجماعتهم الذين غادروا الكوفة، واقنعوا اقدمهم ان يتولى قيادتهم وتجمعوا في النهروان، وبلغ عددهم اربعة الاف متطرف، ولم يدرك الإمام علي (عليه السلام) المغزى الخطر لهذه الحركة، وكان يامل منهم الانخراط مع اخوانهم الزاحفين الى قتال جماعة معاوية<sup>(1)</sup>.

ويذكر (ميور) بعد ذلك بان الإمام عليا (عليه السلام) قد خطب باهل الكوفة وادان بالتحكيم والحكمين بانهما قد جعللا كتاب الله وسنة نبيه خلف ظهورهم، وحثهم على العودة الى النصر الذي اجبروا على تركه، وعليهم الاستعداد مجددا للزحف باتجاه سوريا، ثم كتب رسالة الى الخياليين (الخوارج) في النهروان دعاهم فيها الى الالتحاق بجيشه الزاحف ضد عدوهم المشترك وعليهم العودة الى زمان صفيين حيث كانوا يقاتلون الى جانبه، لكنهم ردوا عليه برسالة يطلبون منه الاقرار بانه كان مرتدا وعليه التوبة، وعند ذلك فسوف ينظرون في الامر

(1) Ibid , P. ٢٨٨.

فيما بينهم<sup>(١)</sup>، وبضيف (ميور)، ان الإمام عليا (عليه السلام) حاول ان يتركهم وشانهم حين العودة من قتال معاوية، وجمع جيشا يقدر بـ (ستين الفا) من البصرة والتحق بهم ثلاثة الاف من مناطق اخرى، وبهذه القوة الجبارة كان الإمام علي (عليه السلام) مستعدا للزحف الى سوريا، الا ان هناك انباءً قد وصلتته تفيد بان الخوارج قد عاثوا في الارض فسادا خارج مخيمه، فطلب جيشه منه مقاتلتهم، ولا يمكن ترك هؤلاء المجرمين خلفهم خوفا ان تبقى بيوتهم عرضة لوحشيتهم، فافتتح الإمام علي (عليه السلام) بذلك وغير مسار جيشه وعبر دجلة، وتحرك صوب الخوارج، وعند وصوله قرب النهروان، ارسل لهم رسولا يطلب منهم تسليم المسؤولين عن الخراب والقتل الذي احدثوه لينالوا جزاءهم العادل، فقال لهم:

((سلمونا هؤلاء للعدالة وسوف تتركون حتى يكتب الله لنا النصر في سوريا وبعدها عسى ان يميل قلوبكم لنا من جديد))، فاجابوه بانهم مسؤولين جميعا عن ما مضى، وان سفك دماء الضالين الكافرين عدل<sup>(٢)</sup>.

حاول الإمام علي (عليه السلام) مجادلتهم عارضا عليهم الرحمة لمن التحق بصفوف جيشه، او عاد الى بيته بسلام، فاستجاب البعض للنداء، وتفرق جماعة منهم الى بلاد فارس المجاورة، وبقي الف وثمانمائة في الميدان، ويقول (ميور) بصددهم: ((وبصرخة قتال وحشية (الى الجنة) اندفعوا على رماح جيش علي وقتلوا. لقد كان افضل لسلام الإسلام الا ينجو من الاربعة الاف احد، فقد جرحت الافعى ولكن لم تقتل، وروح الخيالية (الخوارج) انتشرت بالعدوى وقضية الثيوقراطية استمرت بالاتساع بنشاط في الكوفة والبصرة رغم سربتها، وفي السنين اللاحقة اخذت عصابات من الخوارج المتمردين يظهرون بين الفينة والاخرى فجاة

(٢) Ibid , P.٢٨٨ - ٢٨٩.

(٣) Muir , the Caliphate , P.٢٨٩-٢٩٠.



في الميدان مدينين عليا ومعلنين ان ملك الله قريب، فيقتل الواحد بعد الاخر او يهرب))<sup>(١)</sup>.

وينهي (ميور) كلامه عن الخوارج بقوله:

((استمرت هذه التعرضات تزعج علي وقوته الذي اخذ يجني ثمار ضعف تسويته مع اعداء عثمان واهماله في تقديمهم للعدالة، وكان الخياليون (الخوارج) مخلصين بعقيدتهم الى درجة انهم لم يتصلوا باي حزب اخر ولم يتركوا أي هدف لعقيدتهم وراء ظهورهم ونحن نجدهم الان ولاحقا ﴿ في وقت المعركة التي يتحدث عنها ميور وعن من تبقى من الخوارج في العصور اللاحقة ﴾ يهاجمون الامبراطورية بعنف خطير الا انهم غالبا ما يهزمون))<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة الاراء بشأن معتقدات الخوارج وعوامل تمردهم على الإمام علي (عليه السلام) فقد اختلف المؤرخون عربا او غربيين اختلافا واضحا بهذا الشأن، فتعددت الاسباب لتتخصص عند بعضهم في الجوانب السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية اضافة الى السبب الرئيس في المشكلة المتمثل بمحادثة التحكيم.

يفسر بعض الدارسين ظهور الخوارج على اساس قبلي بحت، وحجة هؤلاء الدارسين ان الخوارج كانوا من البدو الذي تعزيتهم العصبية القبلية وعشق الحرية ورفض السلطة السياسية، ومن ثم فان لديهم رغبة في العودة الى تقاليدهم الاولى القائمة على الفطرة بعد ان فقدوا الثقة في الخلافة القرشية<sup>(٣)</sup>.

(١) Ibid, P. ٢٩٠.

(٢) Ibid , P. ٢٩٠ , ٢٩١.

(٣) Lewis , some observation on the significance of heresy in the history of Islam , Studia Islamic , vol.١,p.٤٧.

ويذكر باحث اخر بان اول موقف خطير تجلت فيه العصبية الجاهلية واسهم في تعزيز امر الخوارج فيما بعد، كان موقف الاشعث بن قيس، اذ اعترض على ترشيح الإمام علي (عليه السلام) لعبد الله بن عباس ليكون مثله في التحكيم<sup>(١)</sup>، فقال الاشعث:

((لا والله، لا يحكم فيها مضرين حتى تقوم الساعة))<sup>(٢)</sup>.

ويصف باحث اخر موقف الخوارج على انهم لم يرفضوا نظام الدولة السياسي قط وانما كان هدفهم اقامة دولة على اساس ديمقراطي، وبذلك كانوا (جمهوريو الإسلام) بلا مدافع على حد تعبير هذا الباحث<sup>(٣)</sup>.

ان الاعجاب بالخوارج لم يقتصر على المستشرقين فحسب بل ان بعض مؤرخينا العرب قد تآثر بافكارهم او ان اعجابهم كان تلقائيا لما رأوه في ظاهر شعارات ومعتقدات الخوارج.

فالباحث حسن ابراهيم حسن يصفهم انهم يمثلون الديمقراطية الإسلامية<sup>(١)</sup>.

تقلا عن بحث للدكتور محمود اسماعيل بعنوان (علي بن ابي طالب والخوارج) في كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت - ١٩٧٤م) ص ١٣٣؛ ابو زهرة، محمد احمد، المذاهب الإسلامية، المطبعة النموذجية، (القاهرة - دزت)، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابو النصر، عمر، الخوارج في الإسلام، منشورات مكتبة المعارف، (بيروت - ١٩٥٦م)، ص ١٨.

(١) معروف، الخوارج، ص ٥٩.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص ٥٠٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٠٢/٢.

(٣) Smith K the Ibadites. Moslem World , Vol , ١٢ , P.٢٨٤ ,

تقلا عن كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة، ص ١٣٣.

وحاول الدكتور محسن باقر القزويني الرد على ما ذهب اليه حسن ابراهيم حسن وكل من يشاطره هذا الرأي، بقوله:

((لا ندري سبب ابتهارهم بالخوارج لأنهم يشكلون فئة معارضة ام لانهم عارضوا الإمام علي؟، من جانب اخر نسأل الاستاذ حسن هل وجد في التاريخ ما يشير ولو بقدر اظفر ان الخوارج ديمقراطيون، فهل كان جوابهم لعبد الله بن خباب عندما قتلوه هو وزوجته وقتلوا جينها في رحمها عندما شموا منه رائحة الولاء لعلي، هل كان هذا عملهم ديمقراطياً))<sup>(٢)</sup>.

ان فكرة الدولة عند الخوارج على رأي احد الباحثين لم تتأثر بالنمط البدوي في الديمقراطية بقدر ارتكازها بالدرجة الاولى على مفهوم العدالة في الإسلام، وانهم يمثلون ((الفئة المؤمنة)) الحريصة على الالتزام بالكتاب والسنة دون تأويل او موازنة<sup>(٣)</sup>.

وباعتقادنا ان صفة الايمان التي اطلقها هذا الباحث على الخوارج لا تنطبق عليهم لانهم قد اهلوا دماء المسلمين قبل الكفار، دون ان يرتكبوا اثماً سوى ولائهم للحق او قولهم كلاماً منصفاً بحق الإمام علي (عليه السلام). وقد حرم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسلمين دماءهم واموالهم واعراضهم.

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ١/٣٠٧.

(٢) علي بن ابي طالب رجل المعارضة والدولة، دار العلوم، (بيروت - ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص ٣٤٢.

(٣) اسماعيل، محمود (الدكتور)، علي بن ابي طالب والخوارج، بحث ضمن كتاب علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة، ص ١٣٣.

## الخاتمة

بعد اتمام البحث بعون الله سبحانه وتعالى تمكن الباحث من الخروج بنتائج عدة نذكر منها الاتي:

١- اتسمت أغلب الدراسات الاستشراقية التي تناولت السيرة النبوية الشريفة بالتحامل المبني على اسس مخطوبة، بعضها مستمد من الخلفيات الفكرية لاصحابها فتكون بذلك احكاما متعمدة وقاسية، والبعض الآخر ناتجة عن جهل بالحقائق التاريخية فتعتمد على كل ما تردد من شبهات في بعض مصادرنا الاسلامية التي تجانب الحقائق، فتصدر احكاماً غير منصفة ومتحاملة.

٢- كان اغلب المستشرقين المتحاملين أحاديي النظرة والسبب في ذلك هو اعتمادهم على منهل واحد في ايرادهم للاحداث التاريخية المتعلقة بطرف معين دون الاخذ بما ورد من اخبار في مؤلفات الطرف الاخر المعني بهذه الحادثة، او استخدام المنهج النقلي وليس العقلي.

٣- لم تتوقف حملة التشويه ضد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بل استمر حتى مع اهل بيته (عليهم السلام).

٤- استطاع بعض المستشرقين وهم كثر من الظهور بمظهر المنصفين او العادلين لاتباعهم منهج البحث العلمي في دراستهم للتاريخ الاسلامي.

٥- على الرغم من حرص بعض المستشرقين على الظهور بمظهر الانصاف للامام علي (عليه السلام)، نجد ان ظاهرة الشك هي السائدة في كتاباتهم حول الامام علي (عليه السلام) ولا سيما فيما يتعلق بموقفه من مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

- ٦- اقتضى اغلب المستشرقين اثر بعض المؤرخين المسلمين بالتاكيد على ان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) لم يعين احداً قبل وفاته لخلافته.
- ٧- شخص بعض من المستشرقين الباحثين الاسباب الحقيقية التي ادت الى استبعاد الامام علي (عليه السلام) عن الخلافة بعد الرسول مباشرة وكذلك بعد وفاة الخليفتين ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما).
- ٨- تعامل اغلب المستشرقين مع الاسباب الظاهرة في اسباب حرب الامام علي (عليه السلام) ضد السيدة عائشة (رضي الله عنها) وطلحه والزبير في معركة الجمل دون تشخيص للاسباب الحقيقية.
- ٩- يكاد يتفق المستشرقون ويتبعهم بعض المؤرخين العرب على ان الامام علي (عليه السلام) لم يستخدم في ادارته للدولة المرونة السياسية التي استخدمها معاوية بن ابي سفيان لذلك يرون ان ذلك هو السبب في عدم نجاحه في الصراع مع معاوية. في حين ان الذي استخدمه معاوية هو ليس مرونة سياسية وانما المكر والخداع وشراء الذمم مقابل الحصول على كرسي الخلافة.
- ١٠- يعتقد اغلب المستشرقين ان الإمام علي (عليه السلام) هو ثاني من اسلم بعد زوج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) السيدة خديجة اعتماداً على ما تناقله مؤرخينا المسلمين.
- ١١- اشاد المستشرقون بشجاعة الإمام علي (عليه السلام) في المعارك التي خاضها سواء كانت في بداية نشر الاسلام وخاصة الى جانب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او في اثناء حروبه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين في خلافته.
- ١٢- اهم ما يمكن استنتاجه حول مواقف المستشرقين من الإمام علي (عليه السلام) هو انهم لم يضيفوا اليه شيء ولم يستطيعوا ان ينالوا منه بشيء، فهو رمز التدين والبطولة والوقوف بوجه دعاة الباطل.

## المصادر

### قائمة المصادر والمراجع

#### المصادر الاولية:

- خير ما يُتدأ به هو القرآن الكريم.

- نهج البلاغة، من كلام لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).

- ابن الاثير، عز الدين (١٢٣٢هـ/١٢٣٢م).

● الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،

ط٤(بيروت-١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- ابن اسحق، محمد بن اسحاق بن يسار (١٥١هـ/٧٦٨م).

● سيرة ابن اسحاق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت-

١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

- الآمدي، ابو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي (٦٣١هـ/١٢٣٣م).

● غاية المرام في علم الكلام، تحقيق مزيد المزيدي، منشورات محمد علي

بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت-

١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ/٨٦٩م).

● صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

- البلاذري، ابو جعفر احمد بن جابر (٢٧٩هـ/٨٩٢م).

- انساب الاشراف، تحقيق محمود الفردوس العظم، دار اليقظة العربية، (دمشق-١٩٩٧م).
- كتاب جمل من انساب الاشراف، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، (بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- البلخي، سليمان بن ابراهيم الحسيني القندوزي (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م).
- ينابيع المودة، تحقيق علاء الدين الاعلمي، (بيروت-١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
- السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية، (الهند-١٣٤٤هـ).
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).
- شرح مشكاة المصابيح، تحقيق الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٢هـ).
- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م).
- سنن الترمذي، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
- صفة الصفوة، تحقيق ابراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية ط٤(بيروت-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

- ابن ابي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد بن محمد المدائني (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

● شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجيل، (بيروت- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- الحاكم الحسكاني، عبد الله بن عبد الله بن احمد (من اعلام القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي).

● شواهد التنزيل بقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، (بيروت-١٩٩٣م).

- الحارثي، ابو محمد الحسن بن علي (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

● تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الشريف الرضي، مطبعة شريعت (قم-١٤٢١هـ).

- الحلبي، علي بن برهان (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م).

● السيرة الحلبية في سيرة الامين والمؤمن، دار المعرفة، (بيروت- ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- ابن حنبل، احمد (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).

● فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، تحقيق حسن حميد السنيد، المجمع العالمي لاهل البيت، مطبعة ليلي، (قم-)



(١٤٢٥هـ).

- المسند، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- المقدمة، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٣هـ).
- ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق الدكتور علي طويل، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٦هـ).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- سير اعلام النبلاء، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م).
- المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة للطباعة، (بيروت-د.ت).
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).
- تذكرة الخواص، منشورات مؤسسة الشريف الرضي، (قم-١٤١٨هـ).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٩٤١م).
- الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت-١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- السيوطي، جلال الدين (١١١هـ/١٥٠٥م).

- الدر المنثور في التفسير الماثور، دار الفكر، (بيروت-١٤٠٣هـ).
- ابن ابي شيبة، ابو بكر عبد الله (٢٣٥هـ/٨٤٩م).
- المصنف في الاحاديث والاختبار، الدار السلفية، بومباي، (الهند-١٤٠٢هـ).
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت١٤١٣هـ/١٠٢٢م).
- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة اهل البيت، (قم-١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- الافصاح في امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام)، دار المنتظر، ط٢ (بيروت-١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- الامالي، المطبعة الحيدرية(النجف-١٣٨٠هـ/١٩١٦م).
- الجمل - النصر لسيد العترة في حرب البصرة-، تحقيق علي مير، ط٢(قم-١٤١٦هـ).
- ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المالكي (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م).
- الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)، المطبعة الحيدرية، ط٣(النجف-١٣٨١هـ/١٩٦٢م).
- الصدوق، ابو جعفر محمد علي بن الحسين(ت٣٨١هـ/٩٩١م).

- عيون اخبار الرضا، تحقيق الشيخ حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي (بيروت-١٩٨٤م).
- معاني الاخبار، تحقيق علي اكبر الغفاري، دار المعرفة للطباعة، (بيروت-١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- طاش كبري زاده، احمد بن مصطفى (ت١٩٦٨هـ/١٥٦٠م).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، ط٢ (بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م).
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، ط٢ (الموصل-١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ/١١٥٣م).
- اعلام الوري باعلام الهدى، المكتبة الحيدرية، ط٣ (النجف-١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
- الطبري، محب الدين (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، (القاهرة-١٣٧٢هـ/١٩٥٣م).
- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

- تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد بو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر- د.ت).
- الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسين (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م).
- التبيان في تفسير القرآن، تصحيح وترتيب احمد شوقي الامين، المطبعة العلمية، (النجف-١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).
- تلخيص الشافي، مراجعة السيد حسين بحر العلوم، مطبعة الاداب، (النجف-١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).
- الرسائل العشرة، مؤسسة النشر الاسلامي، جامعة المدرسين (قم-١٤٠٣هـ).
- ابن العربي، ابو بكر (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م).
- العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وسلم)، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، (بيروت-١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين الشافعي (٥٧٣هـ/١١٧٧م).
- ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، ط٢ (بيروت-١٣١٨هـ).
- العسقلاني، الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- الاصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، (بيروت-د.ت).

- تهذيب التهذيب، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت-  
١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- الغزالي، ابو حامد (ت٥٥٥هـ/١١١١م).
- الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق الدكتور علي بو ملح، دار الهلال، (بيروت-  
٢٠٠٢م).
- الفخر الرازي، ابو عبد محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
- التفسير الكبير، (طهران-د.ت).
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ/٧٩١م).
- العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة، مطبعة  
الصدر، (قم-١٤١٠هـ).
- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).
- القاموس المحيط، دار الجيل، (بيروت-د.ت).
- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م).
- الامامة والسياسة، تحقيق علي شري، (بيروت-١٩٩٠م).
- القشيري النيسابوري، ابو الحسن مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).
- صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- القمي، ابو الحسن علي بن ابراهيم (من اعلام القرن الثالث الهجري/التاسع

الميلادي).

● تفسير القمي، (بيروت-١٤١٢هـ/١٩٩١م).

- ابن كثير، اسماعيل، (١٣٧٢م/٧٧٤هـ).

● البداية والنهاية، تحقيق الدكتور احمد بو ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت).

● تفسير القرآن الكريم، دار المعرفة، (بيروت-١٤٠٦هـ).

- الكنجي، ابو عبد الله محمد بن يوسف (قتل ٦٥٨هـ/١٢٥٨م).

● كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ط ٣ (بيروت-١٤٠٣هـ).

- ابن ماجه، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).

● سنن ابن ماجه، دار احياء التراث العربي، (بيروت-١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

● الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت).

- المتقي الهندي، غلي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م).

● كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار

الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت-١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م).

- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، مؤسسة الوفاء (بيروت-  
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- ابو مخنف، لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت١٥٨هـ/٧٧٤م).
- وقعة الطف، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر  
الاسلامي، ط٣(قم-١٤١٧هـ).
- المرتضى، الشريف، ابو طالب علي بن الحسين (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م).
- الشافي في الامامة، مؤسسة الصادق، (طهران د.ت).
- ابن مزاحم المنقري، نصر (ت٢١٢هـ/٨٢٧م).
- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة،  
ط٣(١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف.
- تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف  
(بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).
- التنبية والاشراف، مراجعة عبد الله الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر،  
(القاهرة-د.ت).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، (بيروت-د.ت).

- المغازلي، ابو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م).
- مناقب الامام علي بن ابي طالب، دار الاضواء، ط ٣ (بيروت-١٤٠٣هـ).
- المقرم، عبد الرزاق الموسوي.
- مقتل الحسين (عليه السلام)، مطبعة الاداب، ط ٤ (النجف-١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- المقرزي، تقي الدين بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الاموال والاحوال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحسين النميسي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٠هـ/١٩٩٠م).
- ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل (ت ٧١١هـ/١٣١١م).
- لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٥م).
- النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).
- تهذيب خصائص امير المؤمنين (عليه السلام)، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت).
- ابو نعيم، احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).
- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط ٣ (بيروت-١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- النووي، ابو زكريا محي الدين (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م).



- تهذيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت).
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
- نهاية الارب في فنون العرب، تحقيق عبد المجيد ترميني، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٤هـ).
- النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م).
- المستدرک على الصحيحين، تحقيق الدكتور محمد مطرجي، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م).
- السيرة النبوية، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (القاهرة-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- الهيثمي، ابن حجر (ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م).
- الصواعق المحرقة، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- الهيثمي، الحافظ علي بن ابي بكر (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدروشي، (بيروت-١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م).
- المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، ط ٢ (ق-١٤١٨هـ).

- اليعقوبي، احمد بن يعقوب (٢٩٢هـ/٩٠٤م).

● تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت-د.ت).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

● معجم البلدان، تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية،

(بيروت-د.ت).

### قائمة المراجع الحديثة:

- اسماعيل، محمود.

● علي بن ابي طالب والخوارج، علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت-١٩٧٤م).

- الاميني، عبد الحسين احمد.

● الغدير في الكتاب والسنة والادب، مؤسسة الاعلمي، (بيروت-

١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

- بدوي، عبد الرحمن (الدكتور)،

● موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٣ (بيروت-١٩٩٣م).

- البهي، محمد (الدكتور).

● الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، (بيروت-

١٩٧٣م).

- بيضون، ابراهيم.
- الامام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، مؤسسة بيسان، (بيروت-  
١٩٩٩م).
- بيضون، لبيب (الدكتور).
- الاعجاز العددي في القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت-  
١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
- الترميني، عبد السلام.
- الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام، (الكويت-١٩٨٤م).
- جرداق، جورج.
- الامام علي صوت العدالة الانسانية، (البحرين-١٤٢٣/٢٠٠٣م).
- حسن، حسن ابراهيم (الدكتور).
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل،  
ط١٥(بيروت-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- حسين، طه.
- الفتنة الكبرى، دار المعارف، (مصر-د.ت).
- المجموعة الكاملة-الخلفاء الراشدون، الشركة العامة للكتاب، طه(بيروت-  
١٩٩٦م).

- الحسيني، ادريس هاني.
- الخلافة المغتصبة ازمة تاريخ ام ازمة مؤرخ، (د.م-د.ت).
  - الحكيم، حسن عيسى (الدكتور).
  - الشيخ الطوسي، مطبعة الاداب، (النجف-١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
  - المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية، مطبعة القضاء، (النجف-د.ت).
  - الحكيم، رياض.
  - علوم القرآن دروس منهجية، المركز الاسلامي المعاصر للدراسات والترجمة والنشر، (بيروت-١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
  - الحوّا، محمد سليم.
  - في النظام السياسي للدولة الاسلامية، المكتب المصري الحديث، (القاهرة-١٩٨٣م).
  - الخزاعي، عبد الحسين.
  - امام وخليفة، مكتبة الالفين، (لندن-١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
  - الخطيب، عبد الكريم.
  - علي بن ابي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، (بيروت-د.ت).

- الدسوقي، محمد.
- الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، مؤسسة التوحيد للنشر، (قم-١٩٩٦م).
- ابورية، محمد (الشيخ).
- اضاء على السنة المحمدية، مؤسسة الاعلمي، (بيروت-د.ت).
- شيخ المضيرة ابو هريرة، دار المعارف، (مصر-١٩٦٩م).
- الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ).
- الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٦ (بيروت-٢٠٠٥م).
- ابوزهرة، محمد احمد.
- المذاهب الاسلامية، المطبعة النموذجية، (القاهرة-د.ت).
- الساعدي، نعمه هادي.
- الامام علي ومدرسة القرآن، مطبعة الآداب، (النجف-د.ت).
- السماوي، محمد التيجاني (الدكتور).
- الشيعة هم اهل السنة، مؤسسة الفجر، (لندن-١٩٩٣م).
- ابو الشباب، احمد عوض (الدكتور).
- الخوارج تاريخهم، موقفهم، عقائدهم، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- الشمري، عباس وهب.
- الاسراء والمعراج بين العقل والوحي، دار القارئ، (بيروت-  
١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
- الصرّاف، محمد محمود،
- زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، ط٣ (القاهرة-١٩٧٩م).
- الصغير، محمد حسين (الدكتور).
- تاريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، (بيروت-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- العاملي، محسن الامين.
- اعيان الشيعة، (بيروت-١٩٦٠م).
- العاملي، مصطفى قصير.
- الشورى والبيعة ودورهما في انعقاد الامامة الكبرى، المركز الاسلامي  
للدراسات، (بيروت-١٤١٤هـ/١٩٩٦م).
- العباسي، محفوظ.
- الغرب نحو الدرب باقلام مفكره، (بغداد-١٩٩٠م).
- عبد الحميد، صائب.
- تاريخ الاسلام السياسي والثقافي، مركز الغدير للدراسات الاسلامية،

(بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- عبد الحميد، عرفان.

● المستشرقون والاسلام، (بغداد-د.ت).

- عبده، محمد.

● شرح نهج البلاغة، دار المعرفة، (بيروت-د.ت).

- العسكري، مرتضى.

● الاسطورة السبأية كما تخيلها او اختلقها سيف بن عمر، (بيروت-١٤٢٤هـ).

● عبد الله بن سبأ واساطير اخرى، منشورات كلية اصول الدين، (بغداد-

١٩٦٨م).

- العقاد، عباس محمود.

● عبقرية الامام علي، (بيروت-د.ت).

- عقيقي، نجيب.

● المستشرقون، دار المعارف، ط٣ (مصر-١٩٦٥م).

- علي، جواد.

● تاريخ العرب في الاسلام، مؤسسة الشريف الرضي، (ايران-١٩٦٣م).

- علي، محمد كرد.

- الاسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ط٣(القاهرة-١٩٦٨م).
- الغزالي، محمد (الشيخ).
- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الكتب الحديثة، (القاهرة-١٩٦٣م).
- الغفار، عبد الرسول(الدكتور).
- الخبر اليقين في سيرة امير المؤمنين (عليه السلام)، (النجف-١٤١٧هـ).
- غلاب، محمد.
- هذا هو الاسلام، مطابع الشعب، (مصر-١٩٥٩م).
- فضل الله، محمد جواد.
- صلح الامام الحسن اسبابه ونتائجه، دار المثقف المسلم، (قم-د.ت).
- قاسم، اسعد (الدكتور).
- ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة، مركز الغدير للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٩٧م).
- قانصو، هنادي مشهور.
- الاسراء والمعراج رحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى السموات والارض، تحقيق الشيخ محمود قانصو، دار التيار



الجديد، (بيروت-١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

- القبانجي، احمد.

● خلافة الامام علي بالنص ام بالنصب؟، سلسلة ثقافة اسلامية معاصرة،

(د.م-د.ت).

- القزويني، محسن باقر(الدكتور).

● علي بن ابي طالب رجل المعارضة والدولة، دار العلوم، (بيروت-

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

- كاشف الغطاء، محمد حسين.

● اصل الشيعة واصولها، المكتبة الحيدرية، ط٧(النجف-د.ت).

- مراد، يحيى.

● معجم اسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٤م).

- المري، محمد جواد.

● الخلافة في الدستور الاسلامي، مطبعة الاتحاد، (بيروت-١٩٤٦م).

- المظفر، محمد حسن (الشيخ).

● دلائل الصدق، (قم-١٣٩٥م).

- معاش، كمال (الشيخ).

● فاطمة بين النبوة والامامة، (بيروت-١٤٢٤هـ).

- معروف، ناجي.
- الخوارج في العصر الاموي، نشاتهم وتاريخهم، عقائدهم، ادبهم، دار الطليعة، ط٤(بيروت-١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- مغلي، محمد البشير.
- مناهج البحث في الاسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، (الرياض-١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- مغنية، محمد جواد.
- امامة علي والعقل، دار نشر السجدة، (قم-٢٠٠٣م).
- الشيعة في الميزان، دار التعارف، (بيروت-د.ت).
- مهران، احمد بيومي(الدكتور).
- الامامة واهل البيت، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ط٢(قم-١٩٩٥م).
- الموسوي، عبد الحسين شرف الدين.
- الموسوعة (الفصول المهمة-ابو هريرة)، تحقيق مركز العلوم والثقافة الاسلامية، قسم احياء التراث الاسلامي، دار المؤرخ العربي، (بيروت-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- ابو النصر، عمر.

- الخوارج في الاسلام، منشورات مكتبة المعارف، (بيروت-١٩٥٦م).  
النعمة، ابراهيم.
- الاسلام وتعدد الزوجات، (الموصل-١٩٨٢م).  
- نقره، التهامي.
- مناهج المستشرقين، دار العلم للملايين، (بيروت-١٩٨٥م).  
- هاني، ادريس.
- محنة التراث الآخر، مؤسسة الغدير للدراسات والنشر، (بيروت-١٩٩٨م).  
- هيفا، راجي انور.
- الاسلام والغرب، دار العلوم، (بيروت-٢٠٠٥م).  
- هيكل، محمد حسنين.
- حياة محمد، مكتبة النهضة، ط٥(مصر-١٩٨٢م).  
- الوائلي، احمد (الدكتور).
- هوية التشيع، دار الكتب للطبوعات، (بيروت-١٩٨٧م).  
- ياسين، خليل.
- محمد عند علماء الغرب، مؤسسة الوفاء، ط٢(بيروت-١٩٨٣م).  
- يعقوب احمد حسن.

- النظام السياسي في الاسلام، مؤسسة انصار بيان للطباعة والنشر، (قم)-  
(١٤١٢هـ).

### الكتب المترجمة:

- آرنولد، السيرتوماس.
- الخلافة، ترجمة حسن حيدر الشيباني، مطبعة دار التضامن، (بغداد)-  
(١٩٦١م).
- ايرفنج، واشنطن.
- محمد وخلفاؤه، ترجمة الدكتور هاني يحيى، المركز الثقافي العربي، (بيروت)-  
(١٩٩٩م).
- بترسن، ايرلنغ ليدوك.
- علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، دراسة في نشأة ونمو الكتابة التاريخية  
حتى نهاية القرن التاسع الميلادي، ترجمة آ.د. عبد  
الجبارة ناجي، مسودة كتاب مطبوع على آلة  
الكمبيوتر، (بغداد-٢٠٠٦م).
- بروا، جان.
- محمد نابليون السماء، ترجمة محمد صالح البنداق، دار الانصاف للطبع  
والترجمة والنشر، (بيروت-١٩٤٧م).
- بروكلمان، كارل.

- تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت-١٩٥٣م).
- بودلي، رونالد فكتور.
- حياة محمد الرسول، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج، (القاهرة-١٩٦٤م).
- بوكاي، موريس.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، ط٤(بيروت-١٩٧٧م).
- جعيط، هشام.
- الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، ترجمة خليل احمد خليل، دار الطليعة، (بيروت-د.ت).
- جورجيو، كونستانس.
- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ترجمة الدكتور محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت-١٩٦٦م).
- جولد تسيهر، اجنس.
- مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي، (القاهرة-١٣٥٤هـ/١٩٥٥م).
- جيوم، الفريد.

- الاسلام، ترجمة محمد مصطفى، (القاهرة-١٩٥٨م).  
- حتي، فلب خوري.
- تاريخ العرب، نقله الى العربية، محمد مبروك نافع، مطبعة دار العالم العربي، ط٣(القاهرة-١٩٥٢م).  
- خودا بنخش، صلاح الدين.
- الحضارة الاسلامية، ترجمة علي حسني الخربوطلي، (بيروت-١٩٧١م).  
- دانتي، الجيري.
- الكوميديا الالهية، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، (مصر-١٩٥٥).  
- درمنغم، آميل.
- حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة احياء الكتب العربية، (القاهرة-١٩٤٩هـ/١٣٦٨).  
- دونالدسن، دوايت.م
- عقيدة الشيعة، ترجمة، ع.م، مكتبة السعادة، (مصر-د.ت).  
- دينيه، اتين.
- محمد رسول الله، ترجمة عبد الحلیم محمود، مطبعة دار الكتاب، ط٣(مصر-١٩٥٩م).  
- رسلر، ج.س.

- الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبد عون، مراجعة الدكتور احمد فؤاد،  
الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة-د.ت).  
- روي لبككر واخرون.
- دراسات اسلامية، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، دار الاندلس، (بيروت-  
١٩٦٠م).  
- ريشار، يان.
- الاسلام الشيعي، ترجمة حافظ الجمالي، دار عطية، (بيروت-١٩٩٦م).  
- سيديو، ل.أ.
- تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية،  
(القاهرة-١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).  
- شاخت، جوزف، وكليفورد بوزورث.
- تراث الاسلام، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت-١٩٩٨م).  
- شتروثمان، ف.س.
- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت افندي، (قم-د.ت).  
- شتيفسكا، يوجينا غيانه.
- تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها، منشورات المكتب التجاري للطباعة،  
(بيروت-١٩٦٦م).

- فايس، ليوبولد (محمد اسد).

● الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط٤(بيروت-١٩٥٥م).

- فلهوزن، يوليوس.

● احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام-الخوارج والشيعة- ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط٢(الكويت-١٩٧٦م).

● تاريخ الدولة الاسلامية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريذة، مراجعة حسين مؤنس، لجنة التأليف والنشر، (القاهرة-١٩٥٨م).

- كارليل، توماس.

● الابطال، ترجمة محمد السباعي، ط٣(مصر-١٣٤٩هـ/١٩٣٠م).

● محمد المثل الاعلى، ترجمة محمد السباعي، المكتبة الاهلية، ط٢(بيروت- د.ت).

- كونسلمان، جرهارد.

● سطوع نجم الشيعة، ترجمة محمد ابو رحمة، مكتبة مدبولي، ط٣(القاهرة- ٢٠٠٤م).

- لاندو، روم.



- الاسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت-  
١٩٦٢م).
- لوبون، غوستاف.
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية،  
ط٣(القاهرة-١٩٥٦م).
- ماسينيون، لويس.
- سلمان الفارسي والبواكير الروحية في ايران، ترجمة الدكتور عبد الرحمن  
بدوي، وكالة المطبوعات، (الكويت-١٩٧٨م).
- ماسيه، هنري.
- الاسلام، ترجمة بهيج شعبان، (بيروت-١٩٦٠م).
- مجموعة مستشرقين.
- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة، محمد ثابت افندي واخرون، (قم-د.ت).
- مشهدي، جعفر.
- حياة السيدة فاطمة الزهراء، ترجمة رياض الاخرس، (بيروت-١٤٢٢هـ-  
٢٠٠٢م).
- مورغان، كينث.و.
- الاسلام الصراط المستقيم، ترجمة محمود عبد الله يعقوب، مؤسسة فرنكلين

المساهمة للطباعة، (نيويورك-١٩٥٨م).

- نتنج، اتوني.

● العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام، ترجمة الدكتور راشد البراوي، مكتبة  
الاتحاد المصرية، (القاهرة-١٩٧٤م).

- هونكة، زيغريد.

● شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضوني وكمال دسوقي،  
(بيروت-١٩٦٤م).

- يون، جان ديون.

● الاعتذار محمد والقرآن، ترجمة عباس الخليلي، مطبعة الاقبال، ١٣٧٥هـ.

## المصادر الاجنبية

- Andrae,Tor,

●Mohammed the Man and his Faith,(London-١٩٣٥).

- Arnold,T.W,□

●the Preaching of Aslam,(London-١٩١٣).

- Binder,Leonard,

●the Ideological Revolution in the middle east,Department of  
political science University of Chicago-w.d.

- Edward Brown,

●Encyclopedia of Religion and  
Ethics,vo,١١,subject:BAB.BABIS.

- Emel Esin,
- Mecca The Blessed Madina the Radian Pual Eleck  
Productions,)Italy-١٩٦٣).
- Graham,Samuel Wilson,
- Modern Movements among Moslems,(London and  
Edinburgh-١٩١٦).
- Hastings,James,
- Encyclopedia of Religion ,v.x١.
- Monsfeld,Peter,
- The great Arab Explosion,(London-١٩٧٣).
- Morgoliouth,D.S,
- Encyclopedia of Religion and Ethics,printed in Great Britain  
١٩٥٧. v.١)subject:Khawarij.
- Muir,Sir William,
- The caliphate ,its Rise, Decline and Fall, (Beirut-١٩٦٣).
- Mohomet and Aslam,The Religious Tract Society,٥٦  
Patteenoster,٦٣ Sr,Paul Cruecryasd.
- Noldeke,theodor,
- sketches fromEstern History,Khyats oriental Reprunts,١٩٦٣.
- Patton,Walter.M,
- Encyclopedia of Religion and Ethics,subject:Shiahs.
- Rodinson,M,
- Mohammad,London,١٩٦٢.

- Soderblom,N,
- Encyclopedia of Religion and Ethics,vo,v\1\ subject:  
Incarnation Inroductory.
- Southern,R. W,
- Western views of Aslam in the middle Ages.(Cambridge,Mas-  
1962).
- Spuler,vonBartold,
- Geschiht Der Islamiciton, (London, Leidon, E.J.Brill-1952). هذا  
الكتاب باللغة الالمانية
- Stern,Gertrude,
- Marriage in Early of Islam,(London-1934).
- Sykes.Sir.Percy,
- History of Percia,Macmillan,third Edition, (London-1958).
- Tritton,A.S,
- Aslam Belef and Practieces Hutchinon,University  
Library,(London-W.D).
- Vaglieri.L.Veccia,
- The Encyclopedia of Aslam new Edition,Leiden,E.J.(Brill-  
1979).vol.1\subject:Ali Bin Abi Talib.
- Wallaston,Arthur,
- Half Hours with Mohammed,(London-1982).
- Wat,Montygomery,
- Aslam and Integration of Society, Routlud and gegan  
Paul,(London-w.d)

- www-http.ALshia.com

باللغة الفارسية:

المجلسي، محمد باقر، حياة القلوب، تحقيق سيد علي اماميان، انتشارات مؤسسة سرور، (قم-١٣٨٤هـ).

## البحوث والدوريات

- الصباح، رشا حمود.

● التصورات الاوربية للاسلام في العصور الوسطى وتأثيرها في الكوميديا الالهية، مجلة عالم الفكر، مجلد/١١، عدد/٣، ١٩٨٠م.  
- هادي، علي السيد.

● مناهج الكتابة في السيرة النبوية، بحث بعنوان (مشروع اعادة كتابة التاريخ الاسلامي)، مجلة المنهاج، (بيروت-٢٠٠٤م).

## الرسائل الجامعية

- بشير، مشتاق.

● تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن راشد، (جامعة بغداد-٢٠٠١م).

**Imam Ali (peace be upon him) in the orientalists writings  
(a historical study)**

**ABSTRACT**

The orientalists were interested in studying Islamic and Arab history during the past ages motivated by many factors some are religious or economic or political or scientific. Some religious characters had great share of this interest especially the great messenger Mohammed (peace and prayers be upon him and his decent household) to know an aspect of their tendency, this thesis entitled (Imam Ali ,peace be upon him, in the Orientalists writings - a historical analytic study-) was arrange to introduce the study of some orientalists about this subject and discuss it in the light of our historical sources.

The thesis contains four chapters, the first one deals with the subject of the orientalists and the study of the men's biography – the messenger Mohammed (peace and prayer be upon him), it includes two sections, one of them is entitled (The studies that are against the Prophet Mohammed [peace and prayer be upon him and his household]) and the second dealt with the fair studies.

While the second chapter is entitled (The Methods of the Orientalists in studying the personality of Imam Ali [peace be upon

## ABSTRACT

---

him]). It includes five sections all of them are about Imam Ali's priority in Islam and his marriage to (Fatimatil Zahraa) and his role in collecting the Holy Quran and his personal features in addition to something about him and chivalry.

As for the third chapter, (The Orientalists attitude towards the issue of Al khilafat, it includes three sections, the first of them explains the orientalist studies who support the idea that the prophet Mohammed (peace and prayer be upon him) had not appointed someone to succeed him, and the other deals with the studies that disapprove with this idea, while the third has explain the response to those who believes that he did not appoint someone to succeed him.

The fourth chapter is a conclusion to the chapters (The Wars led by Imam Ali against the disloyal and defectors) during his khilafat. It includes three sections, the first deals with Al-Jamal war and the second deals with war of Safeen, while the third on the Khawarij war in the battle of Nahrawan.

In preparing this thesis, I depended on the Arabic and foreign references and sources and also the translated ones. One of them the book of Ahmed Ibn Hambel (٢٤١ A.H), Saheeh Al-Bukhary (٢٥٦ A.H), Saheeh Muslim (٢٦١ A.H) and Al-Mustadrak Ala Al-Saheehain by the Nesayory (٤٠٥ A.H).

## ABSTRACT

---

The other references were (Al-Maghazy) by Ibn Ishaq (١٥١ A.H), (Al-Sira Al-Nabawia) by Ibn Hisham (٢١١ A.H) and Al-Balathery's (Ansab AL-Ashraf) (٢٧٩ A.H) in addition to Al-Tabary's (Tareekh Al Rusil Wal Mulook).

I also made benefit of the translated references to Arabic, the most important of them is (Al Shiia beliefs) of Donaldson and also the book of (Life of Mohammed) by (Amil Derminghem).

The other main sources are (Al-Khawarij and Al-Shiia) by the German orientalist (Julius Wellhosen). The foreign contributions have a role in this thesis, the main one is (The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall) by the orientalist Muir and another book in Germany by the German orientalist (Spuler) entitled (Geschichte Der Islamischen).





## منشورات مكتب المفتش العام في ديوان الوقف الشيعي

٢٠٠٨ - ٢٠١١ م / ١٤٣٠ - ١٤٣٣ هـ

- ١- الادارة المدرسية في الفكر التربوي الاسلامي / محمد كاظم الفتلاوي. - النجف الاشرف دار الضياء، ٢٠١٠.
- ٢- آراء العلامة السيد مرتضى العسكري في علوم القرآن / حسن محمود شكر العزاوي- النجف الاشرف، مطبعة دار الضياء، ٢٠١١م.
- ٣- الاسلام السياسي والدولة الاسلامية المعاصرة / د. صلاح عبد الرزاق.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٨م.
- ٤- الاسلام السياسي في اوربا / د.صلاح عبد الرزاق.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٨م.
- ٥ - اعتناق الاسلام في الغرب / د. صلاح عبد الرزاق.- بغداد مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.
- ٦- الاعجاز القرآني نحو رؤية معاصرة / الدكتور محمد قاسم لعيبي- النجف الاشرف، مطبعة دار الضياء، ٢٠١١.
- ٧- الاقتراع السياسي العام / ايمن جعفر صادق حمودي.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.
- ٨- الامام علي (ع) في كتابات المستشرقين / الدكتور حاتم كريم جواد- النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠١١.
- ٩- اهل القرآن وتأسيس النحو / الاستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان الشمري- النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠١١م.

- ١٠- الترقيم / د. جعفر صادق حمودي التميمي.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٨م.
- ١١- التطبيقات البلاغية في تفسير ابي السعود العمادي/د. جعفر صادق حمودي التميمي.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩.
- ١٢- ثورة الامام الحسين (ع) في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي (الجزء الأول) د. هادي عبد النبي التميمي-النجف- مطبعة دار الضياء، ٢٠١١م.
- ١٣- ثورة الامام الحسين (ع) في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي (الجزء الثاني) د. هادي عبد النبي التميمي- النجف- مطبعة دار الضياء، ٢٠١١م.
- ١٤- حق التعبير في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية/ ايمن جعفر صادق.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٨م.
- ١٥- حقوق الانسان في ضوء توجيهات اهل البيت (ع)/ الدكتور جعفر صادق حمودي التميمي وآخرون- النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠١٠م.
- ١٦- الخصائص الاسلوبية في الرسائل الشعرية الاندلسية/ د. جعفر صادق حمودي التميمي بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.
- ١٧- الرؤية السياسية للامام علي بن ابي طالب(ع) في عهده لمالك الاشر/د. ابراهيم العاتي النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠١٠م.
- ١٨- الشيخ عبد الكريم الجزائري ودوره الريادي في الاصلاح والجهاد/ مجموعة اساتذة. بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠١٠م (الجزء الاول).
- ١٩- الشيخ عبد الكريم الجزائري ودوره الريادي في الاصلاح والجهاد/ مجموعة اساتذة بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠١٠م (الجزء آء الاول والثاني).

- ٢٠- الشيخ عبد الكريم الزنجاني / محمد جواد جاسم الجزائري- النجف / مطبعة دار الضياء ٢٠١١م.
- ٢١- الصورة البيانية في التفسير الكبير للامام الرازي / د. جعفر صادق حمودي التيمي بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.
- ٢٢- عقوبة الجريمة في الشريعة الاسلامية / د.علي عبد الله الخطيب.- بغداد/ مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩.
- ٢٣- العلامة السيد محمد حسين فضل الله ومنهجه في تفسيره من وحي القرآن/ سناء عليوي عبد السادة الزبيدي- النجف الاشرف، مطبعة دار الضياء، ٢٠١١م.
- ٢٤- محافظة كربلاء: دليل مصور/ د. جعفر صادق حمودي التيمي.- النجف الاشرف دار الضياء، ٢٠١٠م.
- ٢٥- محافظة النجف الاشرف: دليل مصور/ د. جعفر صادق حمودي التيمي.- النجف الاشرف، دار الضياء، ٢٠١٠م.
- ٢٦- مستويات السرد الوصفي القرآني/ الدكتور طلال خليفة سلمان- النجف الاشرف مطبعة دار الضياء، ٢٠١١م.
- ٢٧- مشاريع ازالة التمييز الطائفي في العراق/ د. صلاح عبد الرزاق.- بغداد، مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.
- ٢٨- معجم الشعراء-العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع/ د. جعفر صادق حمودي التيمي.- النجف الاشرف، مطبعة مجمع اهل البيت، ٢٠٠٨م (الطبعة الثانية).
- ٢٩- موارد ابن ابي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة/ يحيى رمزي محسن/ بغداد: مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٨م.

٣٠- منهج نقد الحديث في كتاب الغدير / فلاح رزاق جاسم. - النجف الاشرف،  
دار الضياء ٢٠١٠م.

٣١- نظام الحكم والادارة في الاسلام / د. محمد علي الناصري. - بغداد، مطبعة  
دار الحوراء، ٢٠٠٩م.

٣٢- النقائص في العصر الاموي: دراسة اسلوية / د. جعفر صادق حمودي  
التميمي - بغداد- مطبعة دار الحوراء، ٢٠٠٩م.

